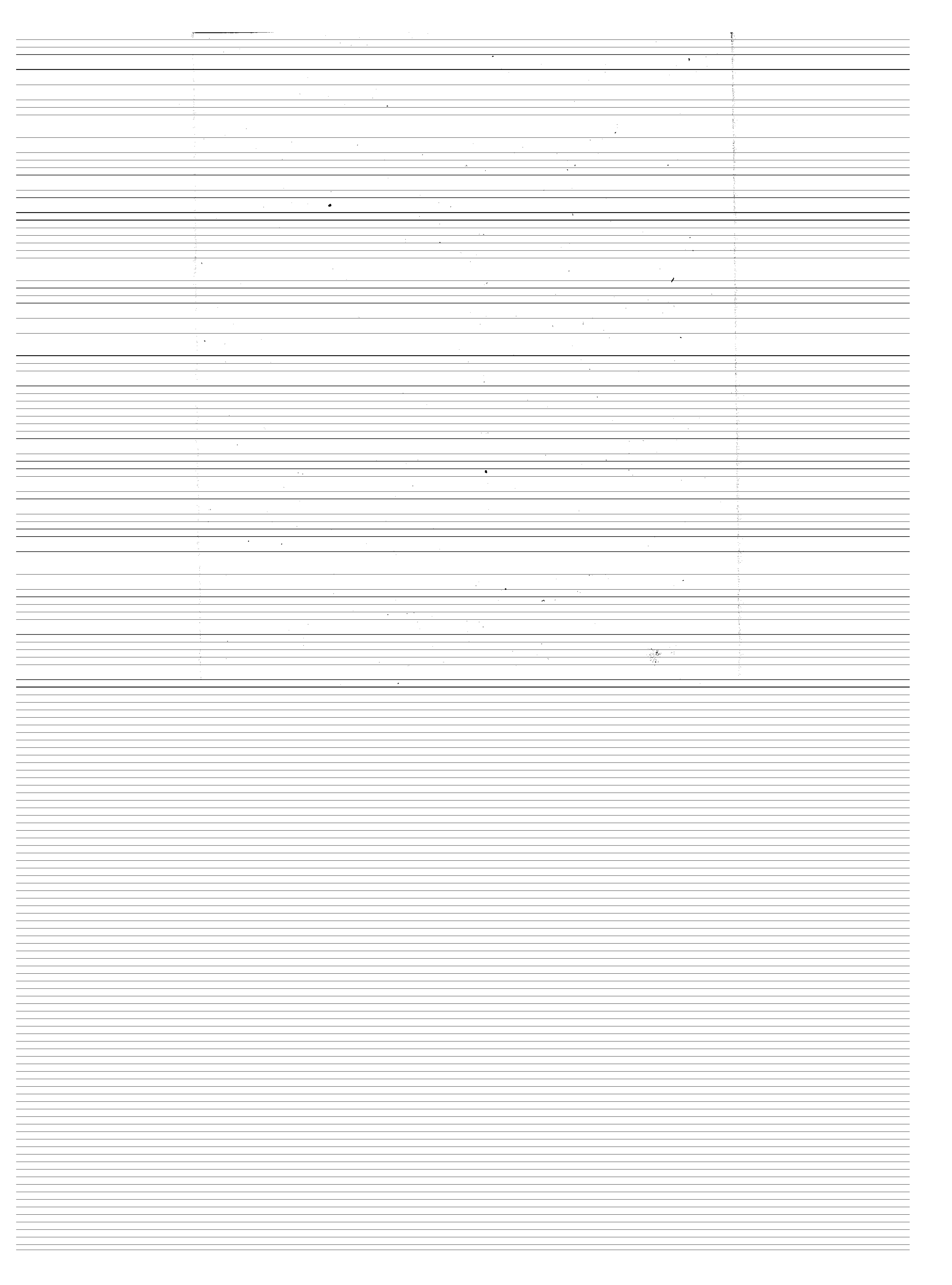


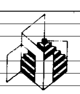
صحافة الأدب فى مصر

بين الثقافة والسياسة

د. مرعــى مدكــور

مايو
2002





الهيئة العامة لقصور الثقافة
كتابات نقدية   شهرية (122)

مايو ٢٠٠٢

التدقيق اللغوى : ممدوح بدران

رئيس مجلس الإدارة
أنس الفقى

أمين عام النشر
محمد السيد عيد

الإشراف العام
فكرى النقاش

كتابات نقدية

122

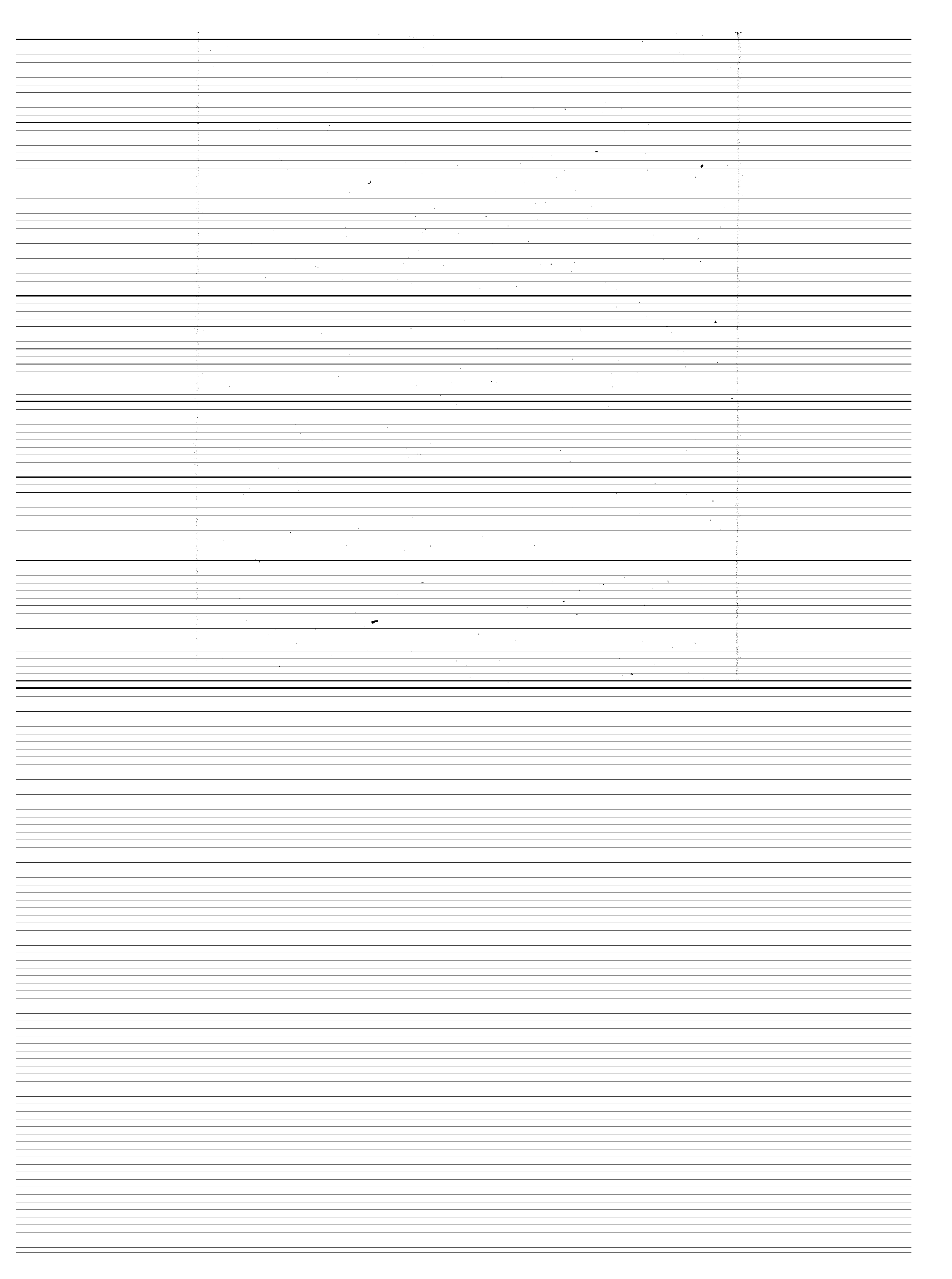
صحافة الأدب في مصر

د. مرعــــي مدكـــــور

المراســـلات : باسم مدير التـــحرير على العنوان التـــالى
١٦ أ ش أمين سامى - القصـــر العينى - رقم بريدى : ١١٥٦١

إهـــــــداء

إلى أحمد مرعى
إطلالتى الحميمة للمستقبل
وآفاقه الرحيبة الآملة.

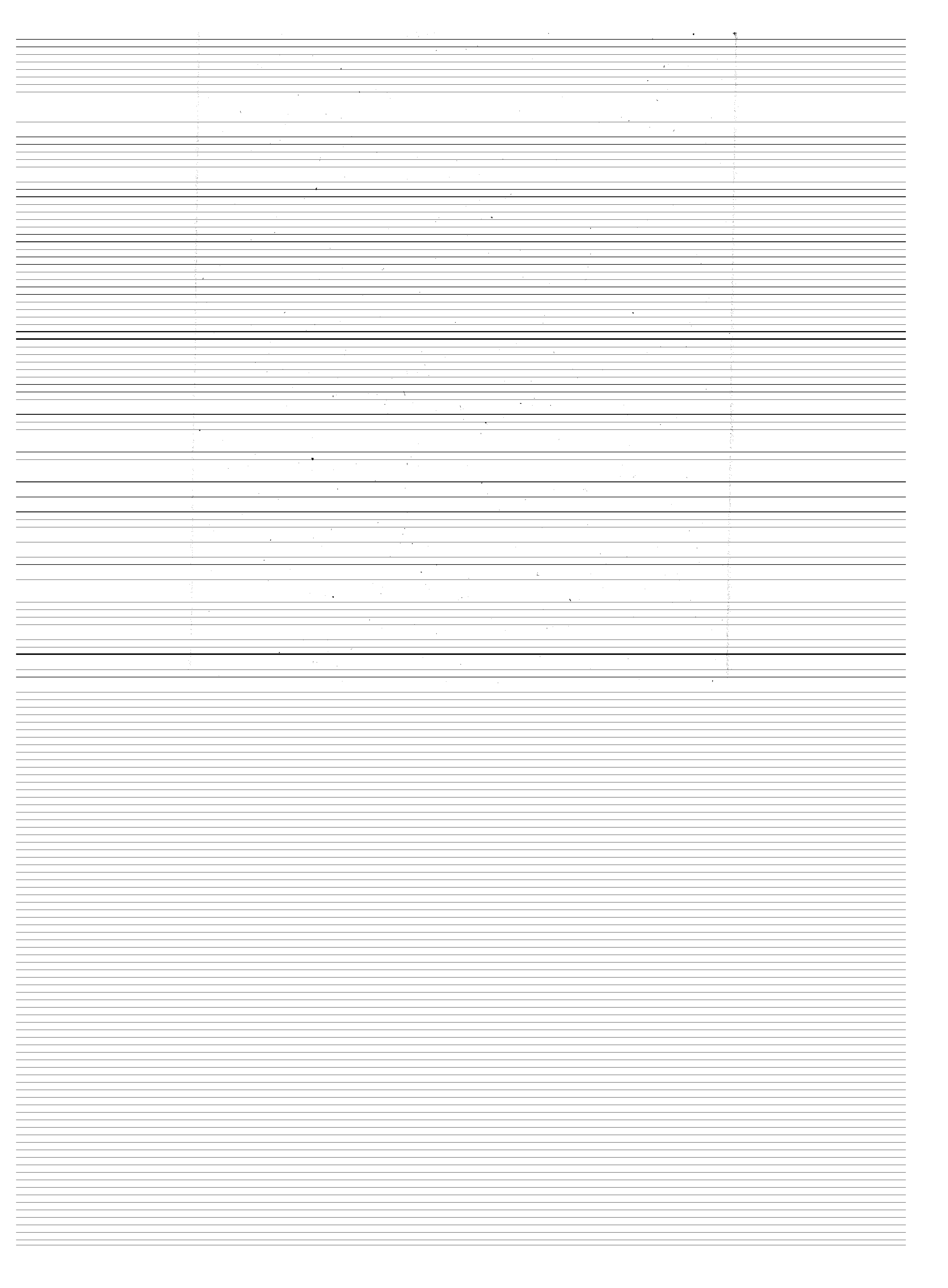


أمـــا قبـــل :

احـتـكت أوربا الوسـيـطة المظلمـة بحـضـارة العرب المشرقة واستعارت منها ما وسعها، ثم أخـذت تنمـيـه وتعـمـقـه فكانت النهـضـة الأوربيـــة التـى بدأت رحلة التطور الذى سـيـصل بنا فى النهـاية إلى الاسـتـعـمـار الأوربى الحديث.

* جـمال حمـــدان *

(شخصية مصر)



عندما يبدأ الحديث عن صحافة الأدب فإن الذهن ينصرف – فوراً – إلى النصوص الأدبية (الشعر والقصة والمسرح) فى المقام الأول؛ بالإضافة إلى العملية النقدية الصحيحة التى تعرف مساحة النص وتعيد اكتشافه وإضاءته للقارئ دون وضعه فى سلسلة من المسببات والتأثيرات والتصرفات الوسيطة.. لكن المدقق فى الصحافة الأدبية منذ فجر الطباعة فى مصر يجدها – فى جوهرها – لا تتضمن الأفكار الأدبية وحدها ، وإنما ينبغى التعامل معها على أنها واجهة ثقافية تقدم أسلوباً للحياة فى فترات معينة، من خلال إلقاء الضوء على النخبة المثقفة والمبدعة التى تساهم بشكل مباشر فى ابتكار ونقد ونقل الأفكار، وتحويل الإبداعات الفنية إلى محصلة ثقافية داخل إطارها الاجتماعى الذى أنتجت فيه.

فالصحافة الأدبية تعد مرآة عصرها، وهى ملاذ أهل السياسة والثقافة عندما تواجههم حصارات متعددة ومتنوعة؛

داخلية أو خاجية؛ كما تعد من جانب آخر نافذة فئة مزيّفة للوعى الجمعى؛ تتخذ منها طاقة للارتزاق والحصول على أكثر من قيمتها؛ هذه الفئة التى تندرج تحت قول الشاعر:

صدور مندفعة للأمام

يتبخترون بخيلاء

وقد ملأت صدورهم الشارات

وأقلام الحبر..

وفى بعض المجتمعات، وفى فترات معينة؛ تحاول الصحافة أن تؤدى واجبها على الوجه الأكمل فتقابل بمواجهات حادة لاقبل للقائمين عليها بمثلها؛ ووقتئذ تتخذ الصحافة من الأدب ملاذاً ومن القيمة اللغوية للنصوص الإبداعية مجالاً للرمز والخروج من أسر الرقابة بأشكالها المتعددة والمتنوعة التى تبدأ بالتوجيه؛ مرورا بالقانون، ووصولا إلى الرقابة الذاتية التى تعد أقصى وأقسى أنواع الرقابة.

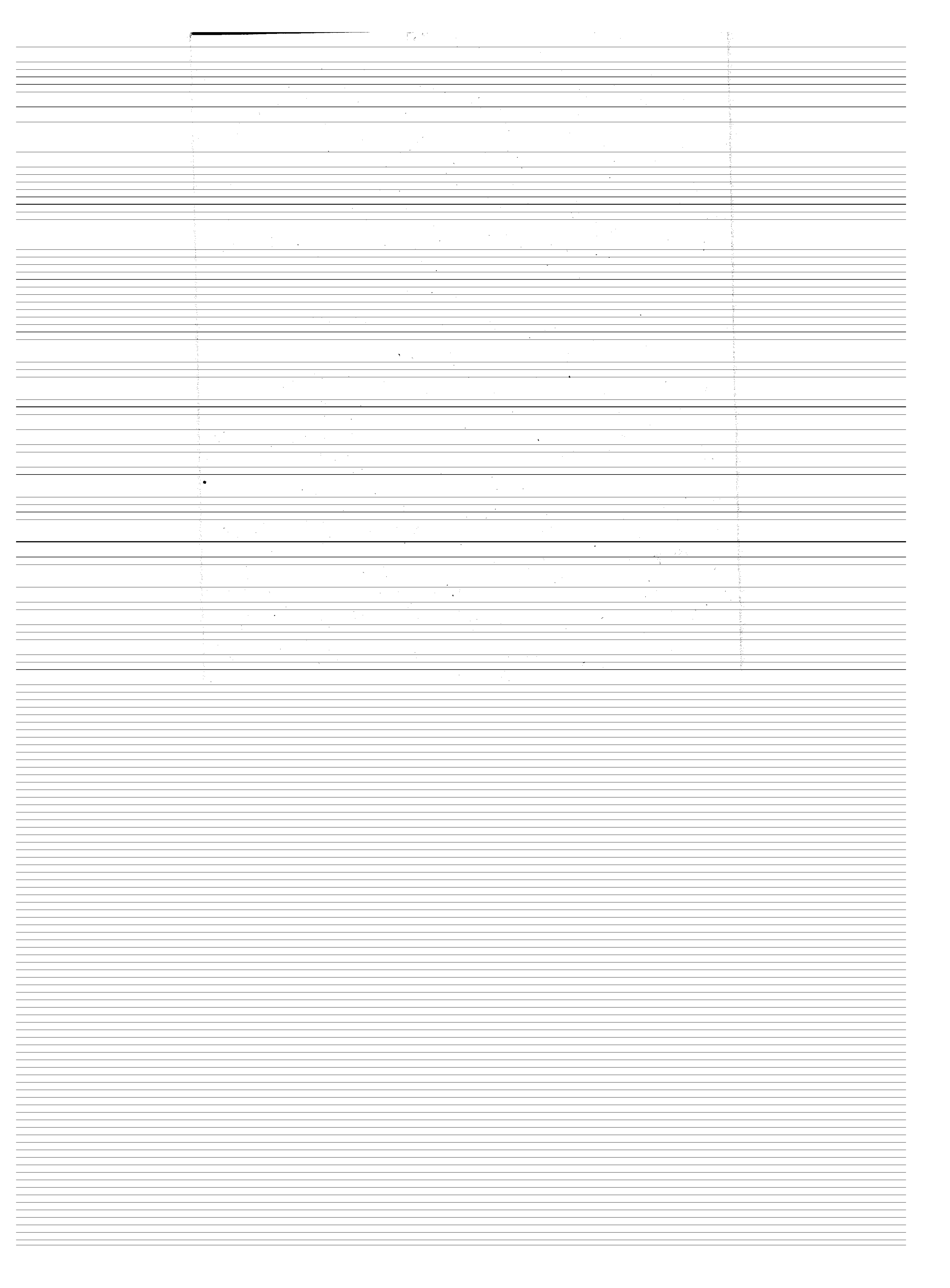
وهذه الدراسة محاولة لرصد نشأة وتطور صحافة الأدب، فى الصحافة المصرية منذ بواكيرها - على يد «بونابرتة» عندما حضر إلى مصر غازيا - عام ١٧٩٨م، فى محاولة لبيان أهمية هذه الصحافة وما قدمته للحياة الفكرية فى البلاد؛ إذ إن ما

تعبر عنه الصحافة الأدبية - بجانب العقيدة والمعرفة والقانون والعادات والتقاليد والأعراف - يشكّل الثقافة العامة فى حركتها وديناميتها.. وعندما تكون هذه الروافد الثقافية فى مسارها الصحيح واقعاً وتعبيراً عبر صحافة الأدب، فإننا سنحافظ - وقتئذ - على هُويتنا، ونحقق مكانة متميزة لنا على خريطة الدنيا،تليق بخصوصيتنا وتميزنا وعراقتنا الضاربة فى أعماق التاريخ.

لقد أصبحت الصحافة بشكل عام عبر إصداراتها المتعددة صناعة حياة يومية تؤدى وظائف متنوعة : اقتصادياً، واجتماعياً، وفكرياً، فى تواصل حميم مع قرائها، ثم توثقت هذه الدائرة الحميمية بين الصحافة وقرائها عبر المطبوعات والصفحات المتخصصة لتكتمل دائرة التواصل..

وما صفحات الأدب فى الصحافة المصرية إلا نموذجاً لهذه الحميمية والتواصل على درب الإبداع.

(المؤلف)



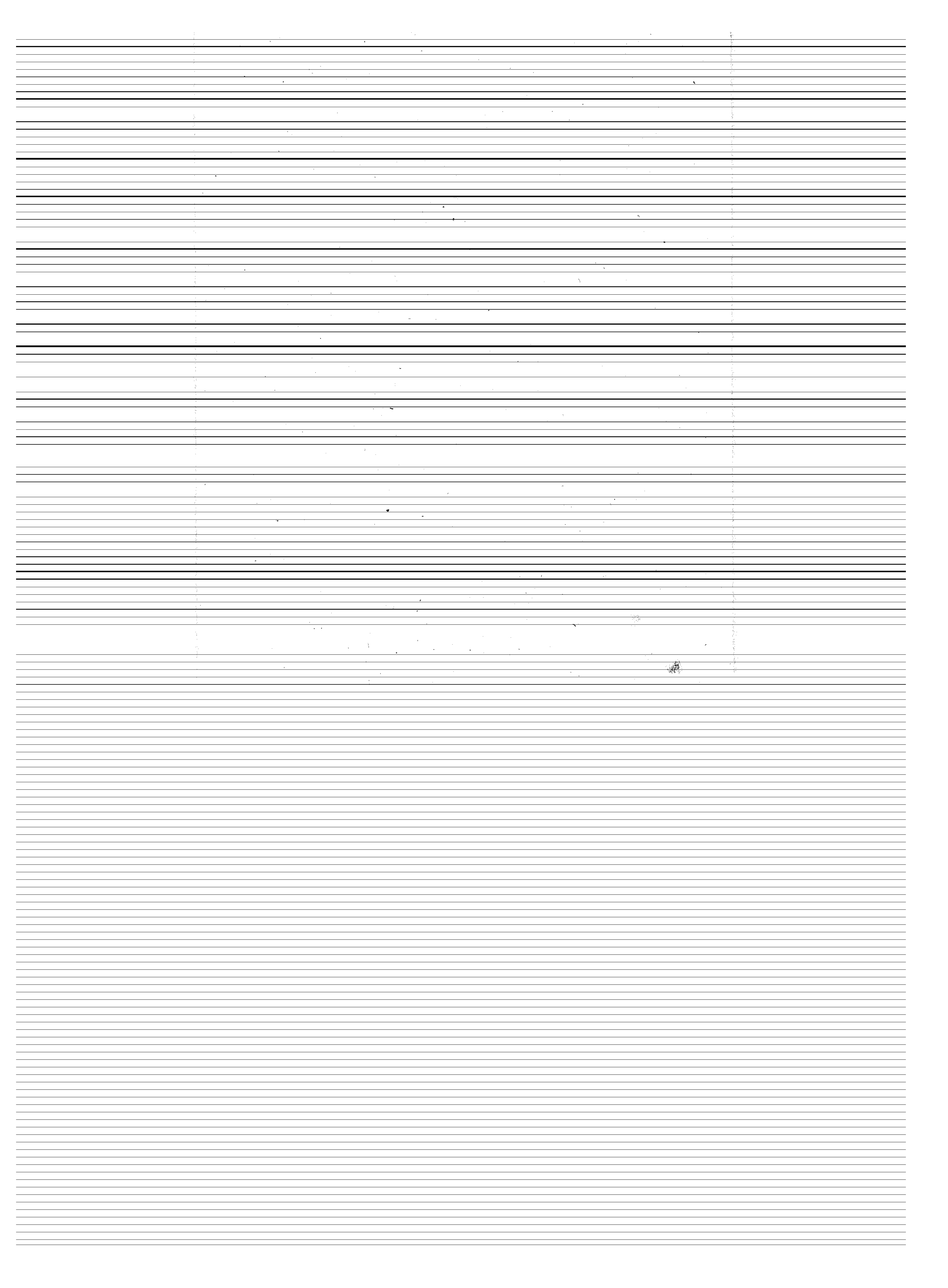
- ١ -

حرب الكلمات

لو كان الاستبداد رجلاً، وأراد أن يحتسب وينتسب لقال: «أنا الشر، وأبى الظلم، وأمى الإساءة، وأخى الغدر، وأختى المسكنة، وعمى الضرر، وخالى الذل، وخالتى الهم، وابنى الفقر، وابنتى البطالة، ووطنى الخراب، وعشيرتى الجهالة».

* عبد الرحمن الكواكبى *

(طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)



ظلت مصر حتى أوائل القرن العشرين؛ سبتمبر ١٩١٤م؛ خاضعة - اسماً - للإمبراطورية العثمانية التى سيطرت عليها منذ عام ١٥١٧م. وكانت السلطة المركزية فى تلك الامبراطورية قد بلغت من الضعف درجة كبيرة - منذ بداية القرن التاسع عشر - نتيجة المؤامرات المتعددة التى حيكت ضدها باعتبارها وحدة إسلامية تحت راية الخلافة، مما جعل القوى الفعلية الحاكمة فى مصر قبل تولى محمد على باشا عام ١٨٠٥م - وهى المماليك والباشوات والديوان - تتناحر فيما بينها لتضعف أية واحدة منها غيرها، ويكون لها - القوة المنتصرة - حق الانفراد بابتزاز أبناء الشعب بكل السبل.

وحل الركود على أوجه الحياة الفكرية فى مصر فى تلك الفترة ولم يسلم من ذلك سوى الأزهر الشريف باعتباره منارة للفكر الإسلامى، بل إن الأزهر عانى معاناة شديدة من ضغوط متعددة حتى ينحصر تأثيره داخل دائرته والدوائر المحيطة به

من محاكم شرعية وغيرها، ومن ثم خبا ما كان يمكن أن يقوم به هذا الصرح الإسلامى فى مواجهة ظلم وجور الولاة والحكام وأصحاب النفوذ من الأجانب ومنهم المصريون أيضاً؛ وإن ظل بدوره حارسا للعلوم الشرعية ولغة القرآن الكريم.

وفى الوقت نفسه كانت هناك تيارات استقلالية، يموج بها العالم، تنبع من التصور الرومانى للممارسة السياسية كما صاغه «شيشرون» فى كتاب (القوانين) ومن أفكار «فولتير» و «روسو» تلك الأفكار التى ظلت تلهب العقول فى بعض دول العالم حتى تفجرت منها شرارة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، إذ قامت الطبقات المتوسطة هناك بتصفية الإقطاع الأوربى ورفع شعارات «الحرية» و «المساواة» و «الإخاء» LIBERTE ,FRATERNIT ET EQUALITE كما كانت انجلترا - أيضاً - تزخر منذ زمن بحركات التحرر الفكرى، فالشاعر «جون ملتون» نشر كتابه (ايروباجيتكا) عام ١٦٤٤م وطلب فيه من البرلمان الإنجليزى منح الحرية الكاملة للكتابة، وقال إن من يخرّب كتابا فهو كالقاتل تماما [١] وساعد ذلك على صدور قانون الطبع والنشر هناك فى عام ١٧٠٩م: وهو القانون الذى أعطى حرية كبيرة للإعلام فى المملكة المتحدة.

وانطلقت سفن الإمبراطورية «العظمى» نحو الشرق فى سباق محموم ضد سفن الثورة الفرنسية صاحبة شعارات «دعه يعمل» و «دعه يتملك» و «دعه يحكم» و «دعه يعتقد» و «دعه يقرر مصيره» وغير ذلك من شعارات اصطلح على تسميتها (حقوق الإنسان وحرياته الأساسية) (٢) مع أن الإسلام قد كفل هذه الحقوق وغيرها قبل ذلك بأكثر من أحد عشر قرنا؛ عندما قدم حقوق الإنسان بصورة أعمق وأحق؛ إرساء لدعائم الحرية والعدل والمساواة بين البشر، وتكريما للإنسان فى كل زمان وفى كل مكان؛ سواء كانت هذه الحرية دينية تتيح للإنسان حرية اختيار عقيدته، أو حرية فكرية العقل فيها مناط التكليف، أو حرية مدنية تجعل للفرد كياناً ذاتياً وشخصية مستقلة، أو حرية سياسية تتيح للإنسان القادر الحق فى إبداء الرأى والمشورة وانتقاد سياسة الدولة ومراقبة سلطتها التنفيذية.

لقد تعددت رحلات الرحالة الإوروبيين إلى مصر فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ؛ أثناء مرورهم بها فى طريقهم إلى الهند كتجار أو كجنود يعملون فى خدمة شركة الهند الشرقية، أو الذين جاءوا لاكتشاف قلب إفريقيا بسبب روح الاستكشاف التى شاعت فى ذلك الوقت (٣)، وتعددت أيضاً

انطباعات هؤلاء الرحالة عن مصر؛ فمن نظرة تستجلب الذكريات والحنين إليها مثلما حدث مع «إيليس ايروين» عند مروره بمصر عام ١٧٧٧م ، مروراً بنظرة عملية نفعية لدى «جورج بولدوين» القنصل البريطانى العام الذى عمل بمصر فى الفترة ما بين ١٧٨٦ - ١٧٩٦م والذى كتب فى مذكراته أنه «يتحتم على انجلترا أن تشحن كل عام ما لا يقل عن ألفى مركب محملة بخيرات مصر إلى موانئ إنجلترا»، إلى النظرة الموضوعية المنصفة التى تحدث عنها «جورج وليام براون» بعد حضوره مصر عام ١٧٩٢م ماراً بها فى طريقه إلى الجنوب لكى يستكشف الحبشة، وتوقفه عند دارفور وعودته إلى مصر ثانية وانهماكه فى دراسة اللغة العربية وتأليفه كتابا عن البلاد يعد مدخلا للاهتمام الحقيقى والعملى للأوربيين بمصر [٤].

وعندما حضر «بونابرتة» إلى مصر غازيا؛ رفع شعارات إسلامية فى منشوراته وخاطب علماء الأزهر قائلا: [٥]

«قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون»، ونادى بالتمكين للسلطان العثمانى - صاحب الخلافة - والعمل تحت تاجه، وادعى «أن الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء

أعدائه. أدام الله ملكه» (٦).

حرب منشورات :

«بونابرتة» يعرف كيف تؤثر الكلمة المطبوعة، وبالتالى ما إن توغل بجيشه فى الأراضى المصرية - جهة القاهرة - بعد احتلاله الإسكندرية حتى يُكثف منشوراته، ويكتب مرسوما تلو مرسوم،وهذه المنشورات والمراسيم تبدأ بأنه يحفظ للمصريين إسلامهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لا إله إلا الله، ولا ولد ولا شريك له فى مُلكه: من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية».

ولا ينخدع المصريون بعزف الفرنساوية: غير المسلمين: على وتر العقيدة، بل تزداد المقاومة المصرية بالمتاح من متاريس وعصى ومقاليع أمام بربرية الغزاة الذين أمروا بأن «كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوية تحرق بالنار». !!.

وتستمر المقاومة فى مواجهة السلب والنهب باسم تأديب المماليك تارة وباسم حماية التجارة الفرنسية مرات أخرى، ويتوسل القائمون على أمر الحملة بوسائل اتصالية متعددة

للوصول إلى أعيان البلاد وقادة الرأى فيها: مرات عن طريق المُنادى، وبالخطابة فى المساجد، ويضيفون إلى الإتصال الشخصى مطبوعاتهم المتعددة؛ والتى قال عنها الجبرتى:

«إن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم، ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها فى جميع الجيش» [٧].

وقد كانت هذه المنشورات التى توزع أو تلصق على واجهات المساجد والمحلات وفى الأماكن العامة – بالإضافة إلى الصحيفتين اللتين صدرتا بالفرنسية وبعض صفحاتهما بالعربية – من أهم نتائج الحملة الفرنسية على مصر، إذ تُعد بالنسبة للطباعة فى مصر بمثابة «الحد الفاصل ونقطة التحول الفعلية الواضحة بين مصر العصور الوسطى ومصر العصور الحديثة» [٨] حيث عرفت مصر منذ ذلك الوقت وسيلة إعلامية جديدة أكثر جماهيرية ومؤثرة بشكل فاعل، أكثر من تأثير الصوت أو الانفعال تعتمد على الصناعة والتخطيط والعقل، وتؤثر – بشكل مباشر وغير مباشر – فى صناعة القرار.

***

الهوامش

١ – عبد العزيز الغنام، مدخل فى علم الصحافة، جـ ١ بيروت، دار النجاح: ١٩٧٢) ص ٣٩.

٢ – لويس عوض، ثقافتنا فى مفترق الطرق (بيروت، دار الآداب: ١٩٧٤) ص ٤١.

٣ – رشاد رشدى، مصر والمصريون، كتاب الجديد: صوت مصر، العدد (١) (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مايو ١٩٧٥) ص ٣٥.

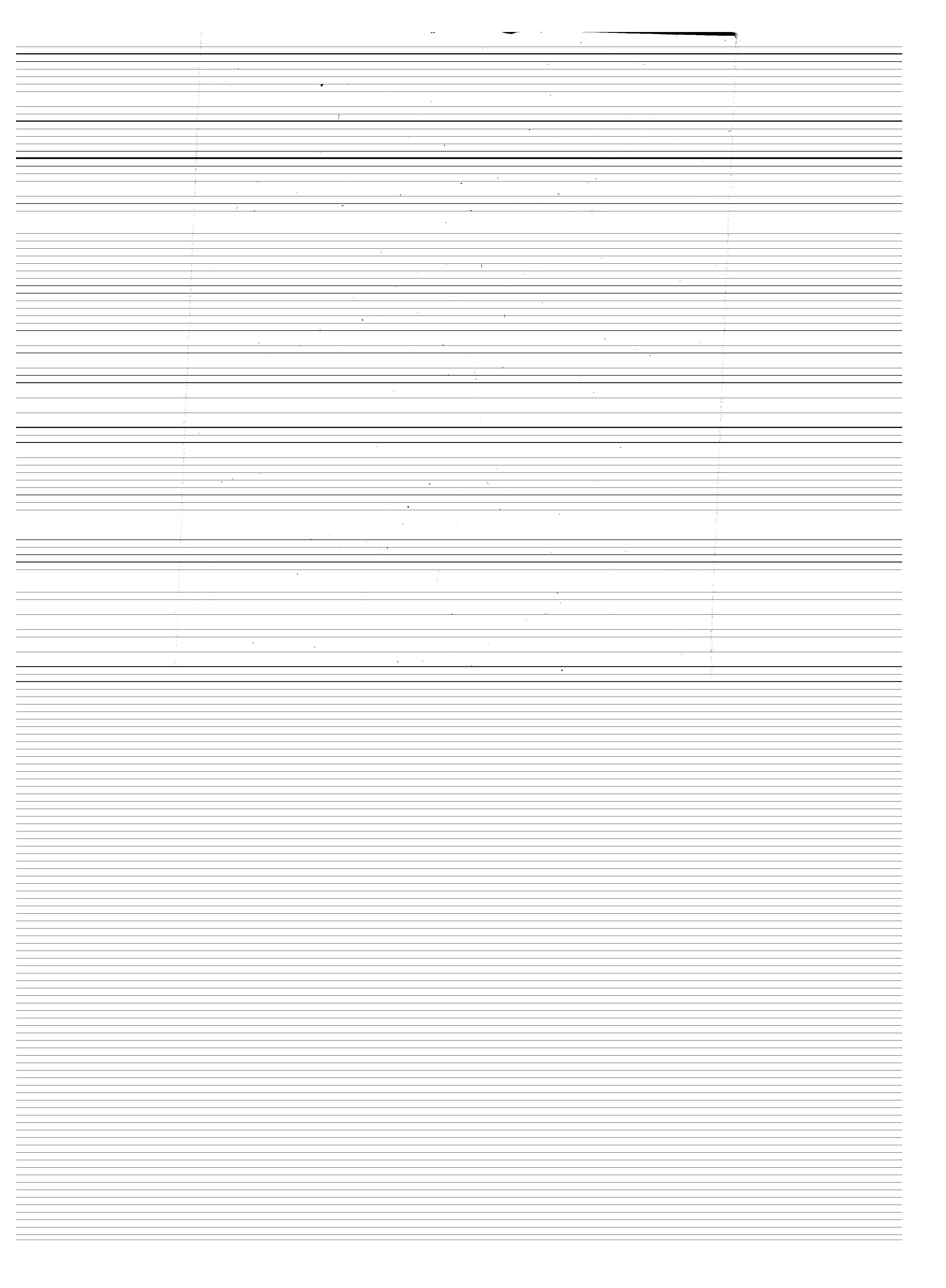
٤ – المرجع السابق ص ٣٧.

٥ – عبد الرحمن الجبرتى، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الأول (القاهرة، المطبعة الأهلية: ١٣٢٢هـ) ص ٢٤٦.

٦ – المرجع السابق، ص ٢٤٧.

٧ – عبد اللطيف حمزة، الصحافة المصرية فى مائة عام، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد «١٤» (القاهرة، دار القلم: د. ت) ص ٨.

٨ – أحمد حسين الصاوى، فجر الصحافة فى مصر: دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٥) ص ١٧.



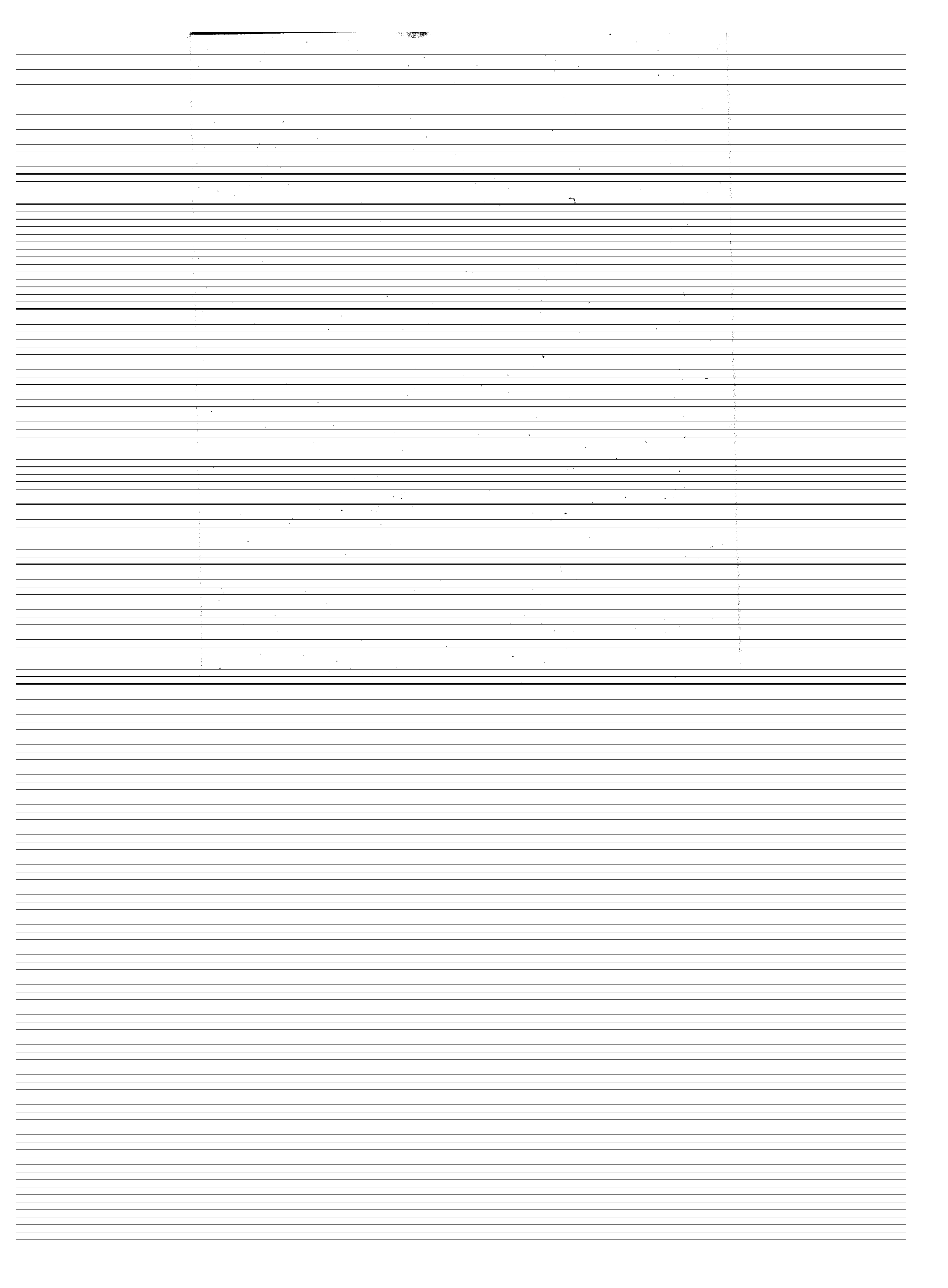
- ٢ -

بذور الأدب
فى صحافة الحملة الفرنسية فى مصر

الصحافة المثلى هى صحافة مستقلة فى آرائها، مخلصة فى نصائحها، أمينة فى أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره فى موضوعاتها وأخبارها.

*** عباس العقاد ***

(على الأثير)



عندما أقنع «نابليون بونابرتة» حكومة الإدارة فى فرنسا بجدوى حملته على مصر، لقطع الطريق على بريطانيا خشية الوصول إلى الهند ثم إنشاء مستعمرة فرنسية فى مصر؛ فإنه حمل معه على ظهر البارجة **L'orient** بالإضافة إلى العسكريين علماء فى تخصصات مختلفة: فلكيين ومترجمين وفنيين ومصورين، كونوا ما سُمى بلجنة العلوم والفنون [1] ثم ثلاث مطابع مزودة بالمعدات الطباعية لتكون إحدى الوسائل الإتصالية المهمة بين الحملة وبين جماهيرها؛ على النحو التالى:

١ – المطبعة العربية لطبع المنشورات والأوامر الموجهة للمصريين.

٢ – المطبعة اليونانية لمخاطبة الجالية الأكثر قربا لنفوس المصريين فى شؤون التجارة والاقتصاد، وهى الجالية اليونانية.

٣ – والمطبعة الثالثة للطباعة باللغة الفرنسية، لمخاطبة أفراد

الحملة من الفرنسيين أنفسهم.

وقد استخدمت الحملة هذه المطابع بصورة مثمرة، وبخاصة عند انتشار وباء الطاعون الذى تفشى فى البلاد عند مجىء الحملة إلى مصر، ولفت ذلك نظر «بونابرتة» إلى فعالية وخطورة هذا اللون من الإعلام الجماهيرى عن طريق الصحافة.. وبدأت المطبوعات البسيطة تحمل أنباء «الديوان» الذى أسسه القائد الفرنسى وضم إليه بعض الأسماء المؤثرة فى المصريين من قادة الرأى: وأغلبهم من المشايخ: «الشرقاوى» و«البكرى» و«الصاوى» والمهدى» و «الفيومى» و«السرسى» و«الدمنهورى» و«الشبرخيتى» و«الدواخلى»[٢] بالإضافة إلى ممثلين عن الفرنجة؛ منهم: «فوللار» و«كان» و«بودوف»[٣] وصدرت صحيفة (كوربيه دى ليجيبت Le **courrier de L'Egypt**) فى التاسع والعشرين من أغسطس من عام ١٧٩٨م[٤] للدعاية ونقل الأخبار وتوجيه الإرشاد للجنود الفرنسيين فى المناطق المحتلة بمصر[٥] وكانت هذه الصحيفة تصدر باللغة الفرنسية، إلا أنها كانت تنشر باللغة العربية – بجانب الأخبار العسكرية – المحاضر المصرية ، مثل: محضر وفاء النيل، ومحضر وقفة عرفات، وأخبار الديوان، وأخبار الأدب والفن فى مصر وفي فرنسا، وكتب فيها أدباء وشعراء وعلماء من

أعضاء الحملة فى مصر.

أدب رمزى :

اعتمد «بونابرتة» على الصحافة - وهو الذى يعرف قوة تأثيرها - فى استقطاب أهل الرأى فى مصر، على أساس أن الصحافة تعنى المشاركة الناجحة [٦] الفاعلة حتى يتم التوافق بينها؛ الصحافة، وبين جمهورها من جهة، ثم بينها وبين قيادة الحملة من جهة أخرى، فبدون هذا التوافق تنعدم فاعلية الاتصال[٧] وقد كان الأدب طريقة فاعلة لجذب الإنتباه إلى هذه الصحيفة، فرغم أن الصحيفة كانت تعد وسيلة اتصالية لربط جنود الحملة بحملتهم عن طريق الأخبار فى المقام الأول؛ إلا أن كثيراً من الأدباء والشعراء والعلماء الفرنسيين قد كتبوا على صفحات هذه الصحيفة، كما عرفت الصحيفة الأدب الرمزى، وتشبّعت فى بعض صفحاتها بالروح العربية فى النقد على طريقة (كليلة ودمنة)؛ إذ نشرت لشاعر فرنسى ملحمة - كما تذكر - جاء فيها [٨]:

«فى أرض غير أرضه

وفى غيابه استولى النمر المغتصب على السلطة

وفرض حكمه الإرهابى

ومن بين الحيوانات جميعها: الثعلب الماكر، والذئب الشرس

هما اللذان تبعاه فقط

سكان الأحراش المجاورة الأبرياء جمدهم الذعر

فلم يجسروا على الخروج إلى الفلاة

الحمل الوديع، والوعل الرشيق، والقرد الذى يلهو فى ألاعيبه

لم يكونوا قادرين على تجنب الموت.

القوى والضعيف كان الكل يشعر بنفس المصير.

كان كل شىء قد ضاع

حتى الأمل.

وفجأة: ظهر الأسد مرة ثانية

أسرع أفراد الشعب والتفوا حوله يرجون منه العون.

عندما علم بمصيبتهم تملك الذعر النمر.

ولكنه أراد أيضاً أن يترك السفاح الذى يكرهه حيا.»..

وتدور هذه الملحمة الرمزية حول تنافس القوى المختلفة على مصر، فالأسد هنا إشارة إلى فرنسا، والنمر يرمز إلى انجلترا، والثعلب يمثل تركيا، أما الذئب فالمعنى به هنا روسيا.

وهكذا كانت صحيفة «كورييه دى ليجيبت» الساحة التى

انطلقت منها أولى المعارك الأدبية فى مصر [٩] بجانب كونها تهتم بالاكتشافات التاريخية والأخبار الفنية والترفيهية والثقافية[١٠].

أما الصحيفة الأخرى التى أصدرتها الحملة الفرنسية فى مصر وكان لها تأثيرها – على الأقل لدى المتعلمين وأهل الرأى وقتها – فهى صحيفة «لاديكاد إيجبسيين» La Décade Egyptienne – العشرية المصرية – وصدر قرار إصدارها فى الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٧٩٨م، لتسجيل محاضر جلسات المجمع العلمى والبحوث، وظهر العدد الأول منها فى أكتوبر من العام نفسه، إذ نشرت الصحيفة الأولى للحملة – كوريبه دى ليجيبت – إعلانا عن الصحيفة الجديدة يقول «إنها ستتخصص فى المسائل الأدبية فحسب» [١١] وفى العدد الأول وضعت الصحيفة لنفسها إعلانا فى صدر صفحتها الأولى يقول إنها:

«جريدة للأدب والاقتصاد السياسى»

La D'ECADE EGYPTIENNE

journal Litteraire Et Déconnomie politique

والتزمت الصحيفة بأن تقصر موضوعاتها على المواد العلمية

والأدبية والفنية، وظهرت مقدمة العدد الأول منها؛ والتى حررها المواطن الفرنسى «تاليان» TALIEN؛ تقول: «إن العلوم والفنون قد أُهملت، وإن موضوعاتها من الموضوعات التى ستجد رحباً لدى الصحيفة»(١٢).

وكانت هذه الصحيفة تصدر باللغة الفرنسية؛ بالإضافة إلى بعض الصفحات التى تم طبعها باللغة العربية وحوت بعض أمثال «لقمان الحكيم» التى ترجمها إلى العربية «مارسيل»، كما نشرت قصيدة شعرية باللغتين: الفرنسية والعربية – تمجيداً للجيش الفرنسى – وكانت هذه القصيدة ركيكة ومريبة؛ نظمها «نيقولا الترك» وتقول بعض أبياتها: (١٣)

لله عصـــر قد زها   فلك السـعادة فيه دار
وجمال كوكـب الـ   جيش الفرنساوى أنار
يا حسنها من دولة   بالافتخار لها اشتهار
مقدامها ذو سطوة   تهدى الملوك له الوقار

ثم تمضى القصـيدة على هذا المنوال فى سـرد مـحـاسن الجيش الفرنسى فى مصر!!

وقد تم جمع أعداد الصحيفة – لا ديكاد اجبسيين – فى ثلاثة مجلدات خرجت من مصر؛ أو هُربت؛ إلى قادة الحملة،

وخرجت هذه النسخ من مصر بإيجابياتها وسلبياتها، وأصبح على الباحثين المصريين البحث عنها في غير بيئتها التي خرجت منها!!

جريمة العصور :

«إن العناية الإلهية أرسلتني إلى هنا على رأس جيشي هذا، وقد جعلت هذه العناية الإلهية نشر العدل وتحقيقه مطلبي، وتكفلت بظفري المستمر وجعلت من القدس مقري العام، وبعد قليل سوف تجعل مقري في دمشق وسوف أكون جاراً لبلد داود.

ياورثة فلسطين الشرعيين: إن الأمة العظيمة التي تنجب الرجال تناديكم الآن لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب، ولا لاسترجاع ما فقد منكم، بل لأجل ضمان مؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم ولكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين.

انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئا، ولم تثبط همة أبناء الأبطال أجدادكم، الذين كانت محالفتهم تشرّف أسبرطة وروما»(١٤).

هذا هو نص البيان الذي أصدره «بونابرتة» في عام ١٧٩٩م

أثناء حصاره عكا، وهذا البيان ينفي أن سبب الحملة قطع الطريق على انجلترا منعا لوصولها الهند، بل عندما يستولى «بونابرتة» على مصر فإنه يتجه شمالاً نحو عكا لتكون قاعدة انطلاقه لإسقاط الدولة العثمانية!!.

وتكشف الوثائق أن هذا القائد الفرنسى عقد اجتماعاً مع رؤوس يهود العالم – سراً – فى فرنسا؛ كانت محصلته مساومة مكشوفة: يعضد اليهود نابليون بالصرف على حروبه، على أن يقتسم الطرفان المغانم: لنابليون السلطة والمجد، ولليهود العائد المادى ونشأة إسرائيل فى فلسطين!!

ولكن بعد شهرين من حصار الفرنسيين عكا، وفشلهم وإصابتهم بداء الطاعون؛ عادوا إلى القاهرة، بعدها هرب «بونابرتة» – سراً – إلى فرنسا، وتم اغتيال القائد الثانى «كليبر» على يد الشاب السورى الذى يدرس فى الأزهر «سليمان الحلبى» أما «مينو» قائد الحملة بعد كليبر؛ فقد تزوج مصرية من رشيد وأعلن إسلامه!!

وما فعله «مينو» كان مخططاً للتقرب من المصريين، ولزيادة هذا التقارب وفعاليته أصدر هذا القائد مرسوماً – فى السادس والعشرين من نوفمبر عام ١٨٠٠م – يقضى بإنشاء صحيفة

عربية باسم (التنبيه) L'AVERTISSEMENT يتولى تحريرها «إسماعيل الخشاب» أمين محفوظات الديوان، واختلف المؤرخون في صدور هذه الصحيفة من عدمه، وأغلب الظن أنها لم تصدر[١٥] إذ إن الدلائل تشير إلى مجرد صدور المرسوم – فقط – بإصدارها لكن إجراءات هذا الإصدار قد تعثرت لما لاقته الحملة من حرب ضروس من السفن الإنجليزية بقيادة «نلسن»، كما أن الجبرتي مؤرخ تلك الفترة لم يذكر في كتاباته شيئا عنها.

وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٧٩٨م قد أحدثت صداماً بين ثقافتين مختلفتين: الثقافة العربية الإسلامية متمثلة في الأزهر الشريف بثورتيه العنيفتين الشعبيتين اللتين انطلقتا منه؛ والثقافة الغربية باستعلائها وضربها المدافع في مواجهة علماء الأزهر(رمز العقيدة الدينية) واستباحة حرمة هذه المنارة الإسلامية بخيلها وجنودها، فإن هذا الصدام قد نبّه أذهان المصريين إلى معطيات جديدة ضرورية لحماية العقيدة أيضاً، منها : البارود ، والمدافع، والكلمة، والمطبوعة التي تصل إلى أبعد من الصوت المواجهي.

لقد أظهرت المواجهة العنيفة بين الحضارتين أهمية مراجعة

كانت ضرورية لطرفى المواجهة: فالفرنسيون بدأوا البحث عن سبل جديدة غير الوقوف فى وجه مشايخ الثقافة الإسلامية، والمصريون تفتحت أذهانهم على مناقشات جديدة بجانب الدراسات الشرعية والقرآنية، وظهر أول منتدى – أو جمعية ثقافية – فى القاهرة؛ والذى أنشأه «دارجينال» أحد جنود الحملة بناء على أمر قائده، بالإضافة إلى ما تطلبته الحملة وأفرادها من حركة ترجمة، كما تنبه البعض – رغم قلتهم – إلى أهمية المنشورات التى أخرجتها المطبعة العربية خلال فترة الوجود الفرنسى فى مصر.

الهوامـــش

١ – أحمد حسين الصاوى، مرجع سابق، ص ٢٨.

٢ – عبد الرحمن الجبرتى، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

٣ – أحمد حسين الصاوى، مرجع سابق، ص ١١٧.

٤ – المرجع السابق، ص ٤٧.

و : محمود فياض، الصحافة الأدبية بمصر (القاهرة، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية: ١٩٦٦م) ص ٢.. ويذكر أن العدد الأول من الصحيفة صدر فى ٢٨ من أغسطس ١٧٩٨م.

و : صلاح الدين البستانى «صحافة الحملة الفرنسية بمصر»، صحيفة (الأخبار) فى ١٢/٦/١٩٧٠م، ويذكر أن العدد الأول من الصحيفة صدر فى ١٥ من أغسطس ١٧٩٨م، والأرجح أن التاريخ الأخير هو التاريخ الصحيح لصدور الصحيفة؛ حيث نشر «البستانى» صورة زنكوغرافية لتاريخ العدد.

٥ – إبراهيم عبده، جريدة الأهرام: ١٨٧٥ – ١٩٦٤ (القاهرة، مؤسسة سجل العرب : ١٩٦٤) ص ١١.

٦ – IBRAHIM IMAM. THE LANGUGE OF JOURNALISM (CAIRO, DAL EL NAHDA EL ARABIA: 1969) P 18.

٧ – صلاح الدين البستانى، مصدر سابق، ص٢.

٨ – إبراهيم عبده، تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية ١٧٩٨/ ١٨٠١ (القاهرة: ١٩٤٩) ص ٩٧١.

٩ – أحمد المغازى، الصحافة الفنية فى مصر: نشأتها وتطورها (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٨، ص ٣٣.

١٠ – المرجع السابق، ص ٣٤.

١١ – إبراهيم عبده، تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية، مرجع سابق، ص ٧٢.

١٢ – أحمد المغازى، مرجع سابق، ص ٣٤.
١٣ – صلاح الدين البستانى، مرجع سابق، ص ٢.
١٤ – عودة بطرس عودة، القضية الفلسطينية (القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة).
و : السيد فهمى الشناوى، «وعد نابليون لليهود سبق وعد بلفور بـ ١١٨ سنة»، مجلة «الدوحة» القطرية: أغسطس ١٩٨٥، ص ٣٥.
١٥ – أحمد حسين الصاوى،.مرجع سابق ، ص ٥٩.

(٣)

الأدب فى الصحافة المصرية
حتى الاحتلال الإنجليزى عام ١٨٨٢م

يابنى

إذا رأيت حربا جبانها يجرؤ، وشجاعها يجبن، وخسيس المحتد يتحكم فيها بكريم المحتد، ففر منها، وانأ إلى رابية وترقب الأحداث: تر أن فى الأمر خيانة.

* قس بن ساعدة الإيادى *



تنبهت الدول الأوربية – إثر الحملة الفرنسية على مصر – إلى أهمية هذه البلاد جغرافياً وتاريخياً وحضارياً، فاتجهت الأنظار إليها ، ليس لمجرد الاستطلاع ولكن للتوسع الاستعمارى فى المقام الأول ، وبذلك أضيفت قوة ثالثة إلى طرفى الصراع الحاد علي حكم مصر وقتذاك : المماليك والأتراك ، هذه القوة الجديدة تمثلت فى بريطانيا ليصبح الصراع على أشده بين القوى الثلاث ، ثم سرعان مايحسم المصريون الصراع لصالح الألبانى « محمد على باشا » والمناداة به والياً على مصر .

ورغم رحيل الفرنسيين عن البلاد ؛ إلا أن تأثيرهم فى مجال الحياة الفكرية ظل ملحوظاً داخل مصر ، كما تركت الحملة آثارها على كثير من المهتمين بالاكتشافات وحب المغامرة ووجهاء الثقافة خارج مصر أيضاً ..

ففى القاهرة كان المجمع العلمى المصرى ؛ الذى أسسه «بونابرتة » ؛ بعد دخوله القاهرة غازياً ؛ قد فتح الأذهان على مناقشات عن الحرية والديمقراطية والرأى والرأى الآخر ، ووجد الأزهريون أنهم – رغم رصيدهم الفكرى الدينى الكبير – لم يندمجوا فى الحياة العامة بل تقوقعوا على دروسهم التراثية فقط ، فى الوقت الذى قدّم فيه أعضاء المجمع العلمى جهوداً كبيرة فى خدمة الأدب والفن [1] وأخرجوا ذلك الكتاب النفيس الذى يعد – حتى يومنا هذا – فى مقدمة المراجع الثمينة فى مناحى الحياة المصرية وقتذاك ؛ وهو « وصف مصر » DESCRIPSION DE L'GYPTE الذى يشهد بكفاءة علماء الحملة فى هذا الجانب.

وهاهو المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى يتأثر أيضاً بهذه الصدمة الحضارية ؛ وتصبح كتابته « أدق وأكثر نقداً لسير الحوادث ورجالها مما كانت عليه قبل الحملة » وهاهم مئات من الفرنسيين قد آثروا البقاء فى مصر بعد رحيل الحملة ؛ ثم عملوا (الفرنسيون) فى الترجمة فى صحيفة (الوقائع المصرية) التى أنشأها محمد على باشا بعد ذلك ، كما أوفد محمد على البعثات إلى أوربا فى الفترة من ١٨١٢ إلىَ ١٨٣٢ م وقد انضم إلى طلاب البعثات رفاعة رافع الطهطاوى الذى سافر ليكون إماماً

لبعثة علمية فى فرنسا ؛ ولكن الأوامر صدرت في آخر لحظة بأن يُسمح له بالدراسة هناك .

ورغم أن تخصصات المبتعثين واتجاهات الترجمة فى عهد محمد على لم تكن تهتم بالناحية الأدبية ؛ إلا أن الطهطاوى كان رائداً فى هذا المجال ، إذ رسم الطريق لعلماء ومثقفى وأدباء عصره فى جرأة ليست مسبوقة فى مصر وقتذاك فقد أنشأ مدرسة الألسن عام ١٨٣٥ م، ثم قلم الترجمة عام ١٨٤١م ، كما عُهد إليه بتنظيم صحيفة (الوقائع المصرية) تنفيذاً لسياسة جديدة بهدف زيادة مواد الصحيفة ونشر المقتطفات الأدبية التى يختارها المحرر من أمهات الكتب العربية ؛ وإضافة مادة الأخبار الخارجية إليها نظراً لوفرة المترجمين .. وبدأ «الطهطاوى» عمله فى الصحيفة بأن جعل الموضوعات المنشورة باللغة العربية منها على النهر الأيمن من صفحاتها ، وظل على غرامه بالسجع والتمسك بزخرفة اللفظ ؛ وبخاصة إذا كان الموضوع الذى يتناوله له صلة بالأدب ، فالطهطاوى كان يقول الشعر ويكتب النثر، كما تصدى للكتابة السياسية فى محاولة تعريف « الوطنى» و«الوطنية » فى ذلك الوقت الذى حيكت فيه المؤامرات على البلاد – مصر – لترغمها على التقوقع في

الداخل والغرق فى مشكلاتها الداخلية دون إصلاح حقيقى لهذه المشكلات ؛ مع قطع شرايينها التى تربطها بمحيطها الطبيعي ؛ لتصبح لقمة سائغة للأجانب ، بعد أن قطعت مشواراً طويلا جعلها تقف على أبواب النهضة الحديثة فى مجالات العلم والصناعة والزراعة والتعليم ؛ تلك النهضة التى لفتت أنظار العالم وجعلت اليابان ترسل بعثة إلى مصر للوقوف على أسباب تقدمها ، فكان أن تكتلت الدول الكبرى لوأد هذه النهضة ، فتحرشت أساطيل فرنسا وانجلترا بالأسطولين المصري والتركى لتدميرهما فى موقعة «نوارين » البحرية عام ١٨٢٧م، ثم إرغام مصر على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠ لتحقق ماأرادته هذه القوى لمصر من إنكفاء إلى الداخل.

أما الأثر الثقافى الخارجى الذى أحدثته الحملة الفرنسية على مصر فإنه يتمثل في أن الحملة كانت الشرارة التى أسرعت بتحويل الاهتمام الأوربى جهة الشرق؛ حيث قامت حركة استشراق واسعة تزعمها « السير ويليام جونز »، وتمت ترجمة الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية عن البلاد ، وامتد سحر الشرق فى عيون الغربيين وزادت رحلاتهم فى تلك الفترة إلى مصر.

وإذا كان الطهطاوى قد جعل الأدب يأخذ مكانه فى الصحيفة العامة ؛ كما فعل عند توليه (الوقائع المصرية)؛ فقد تلازمت العلاقة بين الصحافة والأدب ، وتطورت هذه العلاقة بشكل ارتباطى فيما بعد ؛ لدرجة أن أصبحت الصحافة واحدة من مظاهر هذا الأدب[٢] .. لكن حلت فترة ركود فى الحياة المصرية في عهدى «عباس » ١٨٤٨ـ ١٨٥٤م و « سعيد» ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣م ، ثم بدأت لغة الأدب فى الصحافة تطورها الحقيقى في عهد إسماعيل ؛ الذى تّولى عرش مصر فى عام ١٨٦٣م ؛ إذ التفت – إثر توليه الحكم بعامين – إلى صحيفة (الوقائع المصرية) فأيقظها من جمودها ، ووفر لها الإمكانات لتصبح فى «عداد الجرائد المعتبرة» إدارة وتحريراً ، وأصبحت تصدر بانتظام مرتين كل أسبوع فى طبعة عربية حافلة بالمواد المتنوعة ولها ترجمة تركية تصدر فى طبعة منفصلة [٣] ولم يتوقف الاهتمام الإعلامى عند ذلك فقط، بل أصدرت حكومة الخديوى فى العام نفسه – ١٨٦٥م – صحيفة طبية شهرية باسم (يعسوب الطب) [**] لتكون أول دورية متخصصة من نوعها باللغة العربية، وصحيفة أخرى باسم (المجلة العسكرية المصرية) يكتب مقالاتها ضباط البعثة الفرنسية بالجيش المصرى ثم

يترجمها للعربية بعض أعضاء قلم الترجمة – ومنهم عبد الله أبو السعود و محمد قدرى – بإشراف رفاعة نفسه (٤).

وظهرت أهمية الأدب فى الصحافة وقتذاك، وأصبحت كلمة «صحفى» تعنى كلمة «أديب»، وتأكد هذا الاتجاه عندما تأسس مجلس شورى النواب؛ عام ١٨٦٦م ؛ وأوعز الخديوى إلى «عبد الله أبو السعود» بإنشاء صحيفة (وادى النيل) كجريدة شعبية علمية سياسية أسبوعية(٥) تصدر مرتين فى الأسبوع، وصدرت الصحيفة وضمت بعض صفحاتها فصولاً من كتب أدبية وتاريخية قديمة.

وقام أديبان كبيران هما: إبراهيم المويلحى وعثمان جلال بإصدار صحيفة (نزهة الأفكار) التى تميزت بطابعها الأدبى.

ولم يلبث ديوان المدارس (وكان يتولاه فى ذلك الوقت على باشا مبارك؛ الأديب والمؤرخ والمهندس وصاحب «الخطط التوفيقية») أن أصدر أول مجلة ثقافية عامة باسم (روضة المدارس) فى عام ١٨٧٠م، وتم اختيار «الطهطاوى» ليكون ناظراً لها ويشرف عليها ويوجهها ويرعى نشاطها، وعين لرئاسة تحريرها على فهمى رفاعة – ابن رفاعة الطهطاوى – ولم تكن المجلة كما يوحى اسمها وكما ورد فى كتابات كثيرة تؤرخ لها؛

خاصة بأطفال المدارس، لكنها مجلة فكرية تعنى بالعلوم والآداب «وتنشر أى مادة علمية من المواد النفائس، بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة، والمسائل المتأصلة والمتنوعة، أقرب تناولاً للمطلع المستفيد، وأسهل مأخذاً لمن يعاينها من قريب الفهم والبعيد»[٦] وكتب فيها صفوة من المثقفين والأدباء؛ منهم: عبد الله فكرى، وإسماعيل الفلكى، وعلى مبارك، وبدر الحكيم، ومحمد قدرى، و المرصفي وغيرهم، واتخذت المجلة بيتين من الشعر شعاراً لها؛ هما:

تّعلم العلم واقـرأ . . تحُز فخار النبوة

فالله قال ليحيى . . خذ الكتاب بقوة

جواز مرور

أمام ما مرت به مصر من مد وجزر، وأطماع ومؤامرات خارجية وقلاقل داخلية، وأصوات تتعدى الحديث فى الثقافة والأدب إلى الساسة والسياسة؛ وأهم هذه الأصوات جمال الدين الأفغانى *** الذى وفد إلى مصر منذ مارس ١٨٧١م ورحب به الخديوى إسماعيل وقتها ليُظهر أن مصر ملاذ من تضيق بهم دار الخلافة فى الآستانة: أصبح التعلل بالأدب فى ذلك الوقت

جواز مرور لإصدار صحف لها هوية سياسية، وهذا ما أقدمت عليه بالفعل صحيفة (الأهرام) عند التفكير فى إصدارها؛ إذ طلب صاحبها «سليم تقلا» الإذن له بإصدار صحيفة يقصرها على «البرقيات التجارية والعلمية، وينشر فيها نتفا من الكتب الأدبية والعربية، وبعض قصائد الشعر» [٧].

وتولى الشيخ «محمد عبده» إدارة صحيفة (الوقائع المصرية) وتحرير المقال الرئيسى بها منذ ١٩ من أكتوبر ١٨٨٠م. واستكتب فيها: أحمد عبد الرحيم، وعبد الله فكرى، ومصطفى سلامة، وسعد زغلول؛ وغيرهم من مشاهير الكتابة فى عصرهم، وخصص محمد عبده قسماً فى الصحيفة للأدب الاجتماعى هدفه النقد والتوجيه[٨] ويمتاز بالجرأة فى إبداء الرأى والصراحة فى النقد[٩] وتعددت الأفكار وتنوعت وطالبت بالتجديد فى طرح المسائل الفكرية، وكان لهذه الأفكار والرؤى المتعددة آثارها فى إيقاظ بذور الثورة فى النفوس والتحمس لها ضد الاحتلال وبخاصة عند مشاهير الأدباء، فهذا إبراهيم المويلحى يستضيف الأفغانى فى ندوة يعقدها فى داره ويحضرها الشاعر محمود سامى البارودى والكاتب الفَكِه محمد عثمان جُلال وغيرهما من كبار الكتاب وقتها.. كما كان الأدباء يجتمعون بالأفغانى فى

رواقه على قهوة أنطون؛ ومن هؤلاء الأدباء: محمد عبده، وسليم تقلا مؤسس صحيفة (الأهرام) وعبد السلام المويلحى، وعبد الله النديم الخطيب والمحدث الظريف[١٠] ووجدت أفكار الأفغانى هوى فى نفوس المصريين عن طريق المنتديات الأدبية وعن طريق الصحف – التى أوعز الأفغاني لمريديه بإصدارها؛ ومنها: جريدة (مصر) عام ١٨٧٧م و(التجارة) عام ١٨٧٨م لأديب إسحاق، و (أبو نضارة) – فى العام نفسه أيضاً – ليعقوب صنوع الذى اشتهر بعدائه للخديوى إسماعيل؛ منحازاً إلى الأمير حليم أحد أبناء محمد على والمنافس للخديوى؛ كما كان عداؤه أيضاً لانجلترا لصالح فرنسا!!

وقد تم نفى صنوع بعد إصداره صحيفته؛ ليغادر مصر إلى باريس وليواصل نشاطه المشبوه هناك[١١] من خلال صحفه[١٢]: (أبو نظارة زرقا) و (النظارات المصرية)، و(أبو صفارة) و(أبو زمارة) و(الحاوى) و (أبونظارة: لسان حال الأمة المصرية) و(أبو نظارة زرقا: لسان حال الأمة المصرية الحرة) و(الوطن المصرى) و(أبو نظارة : مصر للمصريين) و(التودد) و(المنصف) و(العالم الإسلامى)، هذه الصحف المتعددة التى لم تكن فى حقيقتها سوى صحيفة واحدة متعددة الأسماء!![١٣].

تكميم الأفواه

عندما تولى الخديوى توفيق عرش مصر فى يونيو ١٨٧٩م؛ كانت الصحف المتعددة تعنى أقلاما وكلاما يطلق عليه أهله: حرية الرأى والتعبير والنشر والصحافة، وهذا الكلام كان يقلق السلطة ويؤرقها.

ولإعادة الهدوء إلى البلاد أصدر الخديوى أمراً بنفى جمال الدين الأفغانى؛ بعد أن أدانه مجلس النظار المصرى بأنه «رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا» وفى الرابع والعشرين من أغسطس من العام نفسه صدّق الخديوى على نفى الأفغانى بالرغم من إعلان حبه له مراراً؛ لدرجة أنه قال له ذات مرة: [١٤].

«إنك أنت موضع أملى فى مصر أيها السيد»

ورغم رحيل الأفغانى؛ إلا أن الأفواه لم تصمت، وأصبحت الصحف أقوى تأثيرا مع أنها نحت منحى أدبيا فى تحريرها[١٥] حتى ما هو هزلى منها كان يصدر عن وعى بأحوال البلاد ولهدف محدد، فها هو النديم يحدد ملامح صحيفته (التنكنت والتبكيت)** على أنها:

«صحيفة أدبية تهذيبية، تتلو عليك حِكَماً وآداباً ومواعظ وفوائد مضحكات»

وها هى صحيفة (اللطائف)*** تصبح لسان حال العرابيين ويغلب عليها الطابع السياسي؛ لكنها لا تتخلص من الأسلوب الأدبى والشاعرى المميز والساخر للنديم، وتزداد أهمية الكلمة وقيمتها فى الصحافة؛ حتى أن «النديم» ينتقد الكلمات الرنانة التى تملأ صفحات طويلة ولا تقدم شيئا، ويسخر من ذلك فى قصيدة طويلة يقول فيها:

الأرض أرض . . والسماء سماء

والماء ماء . . والهواء هواء

والبحر بحر . . والجبال شوامخ

والنور نور . . والظلام عماء

والحر ضد البرد .. قول صادق

والصيف صيف.. والشتاء شتاء

والروض روض.. زينته غصونه

والدوح: دال ثم واو حاء

وكان حصاد ذلك تعدد أصوات عملت حكومة الخديوى على خنقها بإصدار أول قانون للمطبوعات فى مصر عام ١٨٨١م

«لإيقاف سيل الصحف الوطنية واندفاعها الثورى، والقضاء - كما يقول عرابى فى مذكراته المخطوطة - على حرية الصحافة»[١٦].

الهوامش

١ – عبد الرحمن زكى، القاهرة: تاريخها وآثارها (الدار المصرية للتأليف والترجمة: ١٩٦٦م) ص ٢٦٦.

* قام القاص والمترجم زهير الشايب بنقل الكتاب إلى العربية وصدر فى أجزاء عن مكتبة الخانجي، ثم صدر فى طبعة أخرى عن مكتبة مدبولى فى مصر.

٢ – أحمد حسين الصاوى، مرجع سابق، ص ٢٦٠.. نقلا عن: REYBAUD LOIS ET AUTRES. HISTOIRE SCINTFIQUE ET MILITAIRE DE L.EXPEDITION FRANCAISE EN EGYPTE. PARIS 1830.

٣ – محمد عبد العليم مرسى، «التربية فى اليابان المعاصرة»، مجلة الفيصل، العدد ١٠٠، شوال ١٤٠٥ هـ يوليو ١٩٨٥م ، ص ١١٥.

٤ – محمد جابر الأنصارى، «العروة الوثقى والمنار»، المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة، كتاب العربى، العدد: الثالث (الكويت، مطبعة جامعة الكويت: يوليو ١٩٨٤) ص ٨٠.

٥ – إجلال خليفة، اتجاهات حديثة فى فن التحرير الصحفى، جـ٢، ط١ (القاهرة، الأنجلو المصرية: ١٩٧٣) ص ٣٠٨.

٦ – أحمد حسين الصاوى، «روضة المدارس»، مجلة (الدوحة)، قطر، أغسطس ١٩٨٥م ص ٣٨.

** تعد المجلة أول مطبوعة طبية ظهرت فى الشرق العربى، وقد صدرت فى القاهرة تحت شعار «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» (سورة النحل: الاية ٦٩) والمجلة أسسها الدكتور محمد على البلقى الحكيم رئيس الأطباء فى مصر أنذاك، وكانت شهرية تصدر فى ١٦ صفحة، ثم بعد ذلك فى ٢٠ صفحة، ثم ارتفع عدد صفحاتها إلى ٢٤ صفحة، وتوقفت بعد وفاة مؤسسها الدكتور البلقى فى الحبشة عام ١٨٧٧م عندما كان يرافق الأمير حسن ابن الخديوى إسماعيل فى الحملة المصرية على تلك البلاد.

٧ – فيليب دى طرازى، تاريخ الصحافة العربية، جـ ١ (بيروت، لبنان: ١٩١٣م) ص١

و : محمود فياض، مرجع سابق، ص ٥.

و : عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق، ص ٢٧.

٨ – أحمد حسين الصاوى، «روضة المدارس»، مرجع سابق، ص ٤٠.. وقد صدر عددها الأولى فى ١٨ من إبرايل ١٨٧٠م.

*** لا تزال شخصية «الأفغانى» تثير جدلا حتى يومنا هذا، ولم يحسم ما أثير حوله ابتداء من حقيقته وجنسيته حتى عضويته المحفل الماسونى وقتذاك.

٩ – محمود فياض، مرجع سابق، ص ٣٦.

١٠ – محمد عبد الغنى حسن، عبد الله فكرى، سلسلة أعلام العرب، ٤٢ (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر: ١٩٦٥) ص ٦١.

١١ – عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص ٤٤.

١٢ – محمد فهمى عبد اللطيف، فلاسفة وصعاليك: كتاب اليوم، ٧٤ (القاهرة – مؤسسة أخبار اليوم: يناير ١٩٧٤) ص ١٦.

١٣ – لمعى المطيعى ، «أبو نظارة.. بعض مظاهر الخداع» ، صحيفة (الأخبار)، ١٧/ ٦/١٩٨١م. ويذكر لمعى الميطعى أن هذا الكاتب السياسى المسرحى الممثل المصرى المولود بالقاهرة فى عام ١٨٣٩م واليهودى الديانة، كان داعية فرنسا فى الشرق، وأنه كما كان يغير اسمه (صنوع: وتعنى بالعبرية: المتواضع) إلى «موليير المصرى» و «أبو نضارة» و «أبو نضارة زرقاء» على لافتات صحفه؛ فإنه أيضاً – فى باريس – كان يغير اسم مطبوعته دون مبرر إلى أسماء أخرى حتى ليحسبها مؤرخو الصحافة مطبوعات متعددة لا مطبوعة واحدة!!

١٤ – إبراهيم عبده، أبو نظارة، ط١ (القاهرة، مكتبة الآداب بدرب الجماميز: ١٩٥٣).

١٥ – لمعى المطيعى، مرجع سابق.. ويذكر نقلا عن:

أنور لوقا فى رسالته (أدباء ومسافرون مصريون إلى فرنسا فى القرن التاسع عشر) التى حصل بها على الدكتوراة من جامعة جنيف عام ١٩٥٧، أن تسلسل إصدار هذه المطبوعات كان على النحو التالى:

* فى أغسطس ١٨٧٨م أصدر «صنوع» العدد الأول من (أبو نضارة زرقا).
* فى ١٦ من سبتمبر ١٨٧٩م العدد الأول من (النضارة المصرية).
* فى ٤ من يونيو ١٨٨٠م العدد الأول من (أبو صفارة)

* في ١٧ من يوليو ١٨٨٠م العدد الأول من (أبو زمارة)
* في ٥ من فبراير ١٨٨١م العدد الأول من (الحاوى).
* في أبريل ١٨٨١ م العدد الأول من (أبو نضارة).
* في ١٨٨٢ - ١٨٨٤م أصدر (أبو نضارة زرقا).
* ١٨٨٣ أصدر (الوطنى المصرى).
* ثم عاد عام ١٨٨٥ يصدر (أبو نضارة)

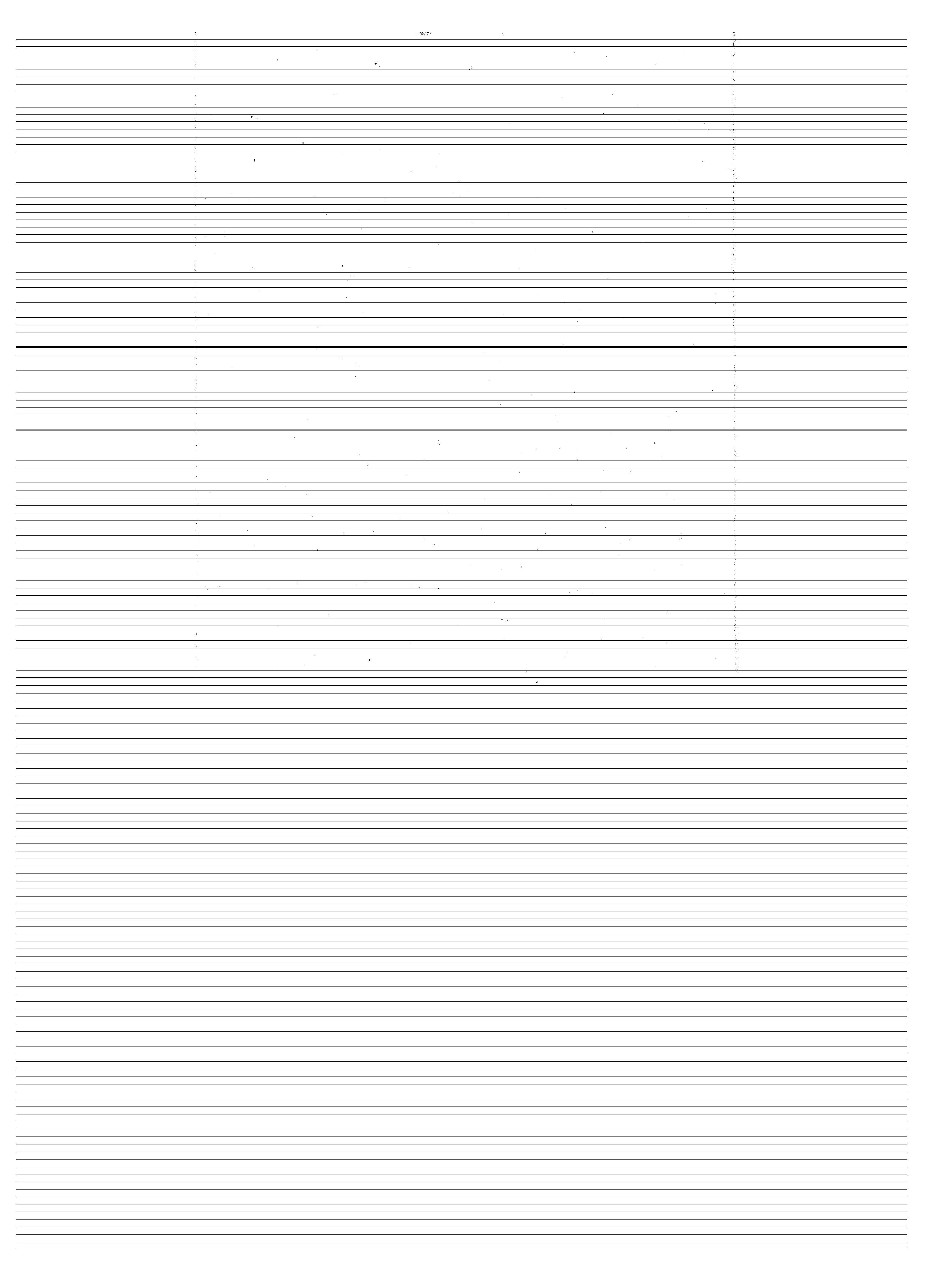
١٦ - عبد الرحمن الرافعي، جمال الدين الأفغاني: باعث نهضة الشرق، سلسلة أعلام العرب، ٦١ (القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر: ١٩٦٦) ص ٤٤.

١٧ - محمود فياض، مرجع سابق، ص ١٠.

*** صدرت في ٦ من يونيو ١٨٨١م.

**** صدرت في ٢٠ من نوفمبر ١٨٨١م.

١٨ - كامل زهيرى «الدور الثقافي الذى قامت به مجلة (العربى) خلال ربع قرن»، المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة، مرجع سابق، ص ١٦٢.



(٤)

الأدب فى الصحافة المصرية
منذ الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م
حتى ثورة يوليو ١٩٥٢

اكـفف لسـانك عن كل عـدةٍ ليس فى يدك
إمضاؤها، وعن تسديد أمرك بإظهار خبر لم
يكن إلا عن ضـرورة منك إلى ذلك، فـإنك لا
تزال مـصدقـاً فى عدتك أميناً على خبـرك؛
مالم توسم بالكذب والخلف

*** الهرثمى***

(مختصر سياسة الحروب)



تغلب الجيش الإنجليزى على العرابيين عام ١٨٨٢م؛ فتشتت المدافعون عن البلاد، واختفت الأقلام الوطنية عن أعين الحكومة، فهذا عرابى يتم نفيه مع صحبه خارج البلاد، و النديم – أدباتى الثورة العرابية – يختفى عن أعين البصاصين ولكنه يستمر فى نشر أشعاره وأزجاله فى أنحاء مصر ليلهب همم المواطنين عبر صحيفته (الأستاذ) لائما المثقفين وجُبنهم وتقاعسهم؛ حتى تم نفيه ثانية.. ولحق محمد عبده من منفاه فى بيروت بأستاذه الأفغانى فى باريس، حيث أصدرا معاً – الأفغانى و محمد عبده – صحيفة (العروة الوثقى)* باللغة العربية لتكون «جريدة سياسية أدبية تصدر كل يوم خميس» على أن يتم إعدادها وطبعها فى باريس؛ ثم توزع فى أرجاء العالم الإسلامى، وصدر العدد الأول منها فى ١٣ من مارس ١٨٨٤/١٥ من جمادى الأولى ١٣٠١هـ، وكان الأفغانى مدير السياسة لهذه الصحيفة؛ ومحمد عبده المحرر الأول لها.

وهاجمت (العروة الوثقى) الاحتلال الانجليزى لمصر بشكل خاص وسياسة انجلترا فى الشرق بشكل عام. وسرعان ما قرر مجلس النظار فى مصر - برئاسة نوبار باشا - منع الصحيفة من دخول البلاد؛ ومعاقبة من تضبط عنده نسخة منها، ولكنها كانت تتداول سراً رغم قرارات المنع والمصادرة.

ويرى المحتلون محاربة الأفكار بالأفكار المضادة؛ بجانب السيف والذهب؛ وأن تكون الصحافة - أيضاً - مجال نشر هذه الأفكار المضادة للثورة العرابية، فهذه مجلة (المقتطف) - التى أسسها فى بيروت فى عام ١٨٧٦ يعقوب صروف وفارس نمر - تعد مجالاً لصرف التفكير فى شئون السياسة إلى البحوث العلمية كالطبيعيات والعقليات وغير ذلك ، حيث انتقلت إلى القاهرة عام ١٨٨٥م، كما أنشأ «يعقوب صروف» و «فارس نمر» و «اسكندر مكاريوس» صحيفة (المقطم) عام ١٨٨٨م، وهى الصحيفة التى ساندت المحتل البريطانى ووقفت موقفا عدائيا من الحركة الوطنية المصرية؛ لدرجة أن مظاهرة طلابية خرجت من دار (الأستاذ) فى أوائل عام ١٨٨٣م لمهاجمة هذه الصحيفة بعد ماسمعوه من «النديم» عن اتجاهاتها الموالية للاحتلال [١].

ونجحت الصحف الموالية للاحتلال فى افتعال معارك جانبية

واستقطاب بعض الكتاب للكتابة على صفحاتها، وفى الوقت نفسه تعنتت السلطة مع الصحف غير الموالية لها، مما جعل البعض يحاول تفويت الفرصة على هذا التعنت بإصدار صحف متخصصة تهتم - كما تقول طلبات الترخيص لها - بالأدب وفروعه من قصة وشعر ومسرح ونقد.

وهكذا؛ تأثرت مطبوعات ذلك الوقت بالقوانين والضغوط المتعددة والمتنوعة مما كان له تأثيره على أنماط الصحافة واتجاهاتها فى ذلك الوقت؛ ففى العقد الأول من الاحتلال الإنجليزى لمصر فى عام ١٨٨٢م صدرت فى البلاد: ثلاث وخمسون مطبوعة مابين صحيفة ومجلة؛ منها : أربعون صحيفة علمية وأدبية وفكاهية، بينما الصحف السياسية أو العامة لم يصدر منها سوى ثلاث عشرة صحيفة فقط، فى حين أننا لو نظرنا إلى ماصدر من مطبوعات فى السنوات العشر السابقة على الاحتلال لوجدنا عكس ذلك تماما، حيث صدرت ثلاثون صحيفة سياسية، أما الصحف الأدبية والعلمية فلم تتجاوز ثلاث مطبوعات (٢) وهذا يبين مدى القيود على الصحافة العامة فى ذلك الوقت.

وليس معنى تعدد الدوريات المتخصصة أنها نأت بنفسها عن

السياسة؛ التى كانت الشغل الشاغل للوطنيين فى ذلك الوقت، فصحيفة (المؤيد) التى أصدرها الشيخ على يوسف فى عام ١٨٨٩م كانت ميدانا لصفوة من الشعراء والكتّاب فى ميدان السياسة وغيرها فقد نشر بها «المنفلوطى» مقالاته التى جمعها بعد ذلك فى كتابيه: (النظرات) و(العبرات)، كما نشر «الكواكبى» على صفحاتها فصولا من كتابيه: (طبائع الاستبداد) و (أم القرى)[٣] وقد كانت (المؤيد) فى الوقت نفسه ميداناً للأفكار السياسية التى أفرزت حزب «الإصلاح على المبادئ الدستورية» الذى لم يظهر رسميا إلا فى التاسع من ديسمبر ١٩٠٧م.

وفى عام ١٨٩٢ م ظهرت صحيفة (الأستاذ) للنديم، أما مجلة (الهلال) فقد صدر عددها الأول فى سبتمبر من العام نفسه فى إخراج صحفى بسيط؛ وعلى غلافها أنها «مجلة علمية تاريخية أدبية» وأوضح صاحبها جرجى زيدان سبب تسميتها بـ (الهلال) فى «فاتحة» العدد الأول: قائلا:

أولا : تبركا بالهلال العثمانى الرفيع الشأن شعار دولتنا العلية أيدها الله.

ثانيا: إشارة لظهور هذه المجلة كل شهر.

ثالثا: تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج فى مدارج الكمال؛ فإذا لاقت قبولا وإقبالا تصير بدراً كاملاً بإذن الله.

وتُعد مجلة (الهلال) المطبوعة العربية الثقافية الوحيدة من ذلك القرن– بجانب صحيفة (الأهرام) العامة – التى استمرت حتى اليوم.

وفى نوفمبر من ذلك العام (١٨٩٢م) صدرت مجلة (المنظوم) التى وصفت نفسها بأنها «مجلة علمية أدبية شعرية فكاهية غرامية تصدر فى اليوم الأول والخامس عشر من كل شهر» (٤) وقصرت نفسها على تناول الشعر والنظم بأنواعه المختلفة.

كما أعلن ويليام ويلكوكس فى ديسمبر من العام نفسه انتقال مجلة (الأزهر) إليه من بداية العام الجديد ١٨٩٣م؛ وطالب المهندسين أن يشاركوا فى الكتابة فيها وأبقى على اسمها (الأزهر) وبدأ منذ تسلمها يدعو لهدم اللغة العربية وإحلال اللهجة العامية محلها (٥).. وصدرت بعد ذلك مجلة (البيان) فى مارس ١٨٩٧م لإبراهيم اليازجى، ثم أصدر الشيخ رشيد رضا مجلة (المنار) فى عام ١٨٩٨م (والتى استمرت تصدر بانتظام حتى وفاته فى عام ١٩٣٥م) لتكون منبراً للإصلاح وفقا

لتصورات محمد عبده الذى كانت له اجتهاداته وتعمقه فى الفكر الإسلامى من ناحية المنهج واهتمامه بالجوانب الحضارية فى مسار النهضة من تربوية وتشريعية [٦].

وتبلورت التيارات الفكرية فى مصر - وقتذاك - فى ثلاث قوى؛ على النحو التالى: [٧]

١ - الطبقة الأرستقراطية التركية الممثلة فى : الخديوى، والقصر، والأتراك المقيمين فى البلاد.

٢ - الطبقة الارستقراطية المصرية التى أفرزها الاحتلال البريطانى؛ وقد أطلق على أفرادها أنهم (أصحاب المصالح الحقيقية) !!

٣ - طبقة الشعب والقوى الوطنية المنبثقة منه والمعبرة عنه.

ويضاف إلى هؤلاء قوى رابعة تتمثل فى المهاجرين من الشام إلى مصر فراراً من الكبت والتضييق عليهم، فنادى بعضهم بالحرية، والبعض الآخر استقطبته سلطات الاحتلال لمهاجمة السلطان عبد الحميد ودولة الخلافة، وبالفعل امتلأت بعض صفحات الصحف بقصائد هجاء فى دولة الخلافة؛ منها قول أحد الشعراء:

نرجو صلاح الترك قـــــد . . خابت أمانينا الكواذب

هى دولة ظلمت وليس العـ . . ـدل عن ظلــم بذاهــب

فـقد وجـدت هذه الأقـلام السـورية – خـاصـة – فى قـانون الصحافة الذى أصدرته دولة الخلافة (٨) وفى حركات التمرد فى الولايات التركية مبرراً للهجوم على دولة الخلافة التى قد ضاقت سلطاتها بكل شىء حتى بالنقط المتتابعة فى الكتابة، ووصل بها الحال أن ترسل للصحف تعليمات سرية متعسفة؛ منها (٩):

(أ) قبل كل شىء يجب تنوير الشعب عن صحة جلالة مولانا الملك الغـاليـة؛ ثم البـحث عن المحصـولات الزراعـيـة وعن تقـدم التجارة والصناعة في المملكة.

(ب) محظور على الصحف نشر أى شىء لم يقترن بمصادقة صـاحب الدولة وزير المعـارف؛ عـدا مـا لا يرى دولتـه مـانعـا من نشره من الوجهة الأخلاقية.

(ج) مـحظور على الصـحف نشـر أبحـاث مطولة مـهـمـا كـان نوعها – أدبية أم فنية – ولا يجوز إطلاقا استعمال كلمة (يتبع) أو غيرها من التعابير التى تدل على أن للبحث صلة.

(د) لما كان ترك الفراغ أو وضع نقط متتابعة فى المقال مما يسبب التشويش ويترك المجال لتقولات وفرضيات لا طائل

تحتها؛ فلا نسمح باستعمال ذلك فى المقال مطلقا.

(هـ) يجب أن لا يعطى أى مجال للطعن فى الشخصيات؛ إذا أسندت تهمة السرقة أو الرشوة أو القتل إلى أحد الولاة أو إلى أحد المتصرفين فينبغى كتمانها بسبب عدم إمكانيات إثبات أمثال هذه الأمور فى الصحف.

(و) محظور على الصحف نشر ظلامة أى أو أية جهة أو جماعة من الشعب تشير إلى سوء تصرفات موظفى الدولة، كما أنه محظور على الصحف الإشارة إلى أى شكاوى من هذا القبيل طرقت مسامع الذات الملكية المقدسة.

وظلت هذه التعليمات الصارمة سيفا على رقاب الصحفيين الشاميين فى بلادهم، حتى تم خلع السلطان عبد الحميد الثانى فى الثامن والعشرين من نيسان ١٩١٩م؛ إثر حركة تمرد مسلحة قامت بها جمعية الاتحاد والترقى.. وخلال هذه الفترة كانت مصر ملاذاً لهؤلاء الصحفيين والكتاب وإن كان البوح مغلفاً بالرمز الذى يستعصى - فى أحايين كثيرة - على أفهام الكثيرين من قرائه.

أقلام وأحزاب

أطل القرن الماضى – العشرون – على مصر ليجدها في دوامة صنعتها الأطماع الأجنبية فيها : تشبث بريطانى بمكتسبات الاحتلال، ومناورات فرنسية من أجل اقتسام الغنائم، وراية عثمانية – اسمية تطل بين الحين والآخر من أجل استرداد مصر إلى مظلة الخلافة الإسلامية.

وكانت الأقلام ؛ على كثرتها موزعة بين رؤى متعددة للواقع المصري محورها هذه القوى الثلاث، فصحيفة (المؤيد) للشيخ علي يوسف أفرزت حزب "الإصلاح على المبادىء الدستورية "الذي لم يظهر إلى الوجود بصفة رسمية إلا في التاسع من ديسمبر من عام ١٩٠٧، وصحيفة (اللواء) التي أصدرها مصطفى كامل فى يناير من عام ١٩٠٠م تصبح أهم جريدة سياسية ؛ وأصبحت في موقف الند والمنافسة للمطبوعات المصرية جميعها التي وصل عددها في ذلك الوقت ثلاث وخمسون جريدة ومجلة ؛ ويطالعها عدد كبير من المتعلمين من المصريين وقتذاك ؛ ثم يظهر تأثيرهذه الصحيفة (اللواء) بعد إصدارها بسبع سنوات عندما تم إعلان «الحزب الوطنى» على المبادىء التى كانت تنادي بها الصحيفة .. أما صحيفة

(الجريدة) التي صدر عددها الأول في التاسع من مارس من عام ١٩٠٧م لأحمد لطفي السيد، فكانت تنطق باسم كبار ملاك الأراضي وجماعة المثقفين المتغربين الذين كانت وجهة نظرهم تتلخص في أن مصالحهم تحتم عليهم الوفاق مع الاحتلال الإنجليزي ومهادنته ؛ فكانت الجريدة ناطقة باسم حزب الأمة الذي تكون فى الحادى والعشرين من سبتمبر من العام نفسه، وقد عبر أحمد لطفى السيد محرر (الجريدة) عن سياستها ؛ قائلا :[١٠]

«ما الجريدة إلا صحيفة مصرية شعارها الاعتدال الصريح.»

ومع أن (الجريدة) لم تكن تمثل تياراً تجديديا ؛ إلا أنها أفسحت صفحاتها للتيار الجديد في الأدب، وكتب على صفحاتها بعض الذين أثروا - فيما بعد - في الحياة الأدبية في البلاد، والذين حاولوا التخلص من الركود الأدبي من إغراق في الشكل والزخرف اللفظى الموروث منذ العصرين : الأيوبي والمملوكى، فنشرت قصائد متعددة لكل من : «شوقى» و«حافظ» و«إسماعيل صبرى» و«خليل مطران» و«عبد الرحمن شكرى» و«حنفى ناصف» و«أحمد نسيم» و«طه حسين» الذى نشر على صفحاتها بعض قصائده، أما فى النثر فقط طالع القراء على صفحاتها

كتابات: «محمد المويلحى» و«الرافعى» و«المنفلوطى» و«العقاد» و«هيكل» الذى نشر على صفحاتها فصول روايته (زينب) فى عام ١٩١٤م. و«مصطفى عبد الرازق» وغيرهم.

ورغم ما أتاحته (الجريدة) من مساحات لأقلام تألقت على صفحاتها؛ إلا أن محررها الأول «أحمد لطفى السيد» لم يكتب عن الأدب إلا مرة واحدة تناول فيها أحد كتب «الرافعى» -تاريخ آداب العرب - وفى هذا المقال يحاول لطفى السيد تعريف الأدب؛ قائلا: «لا يزال المعنى المدلول عليه بالأدب معنى عاماً شائعاً غير محدد الجهات حداً واضحاً فى الأذهان».

فكان معنى الأدب - وبالتالى تأثيره - عنده فى ذلك الوقت غائماً ومضبباً، هذا فى الوقت الذى كان للأدب مهمته الملموسة فى الحياة المصرية عند المثقفين؛ بل وتعداه إلى الظلال المؤثرة فى السياسة تأثيراً وتأثراً.

فهذا «عبد العزيز جاويش» يتولى رئاسة تحرير (اللواء) خلفاً لمصطفى كامل؛ منذ الثالث من مايو ١٩٠٨م؛ فيجعلها تشتعل وطنية بكتاباته وأفكاره وبما تنشره للآخرين على صفحاتها.

وعندما أطبقت الأزمة الاقتصادية على البلاد فى عام ١٩٠٨م؛ أحدث ذلك ردود أفعال تطالب بمهادنة المحتلين وتهاجم

«المتعصبين أمثال مصطفى كامل»!! وما (حزب الأحرار) الذى تكون فى الثامن عشر من مارس من العام نفسه؛ إلا رد فعل يدعو للمسالمة والمهادنة مع الإنجليز، ورغم ذلك لم تهدأ الأزمة؛ إذ بحث المحتلون عن منغصات للأمة المصرية تفرق وحدتها وتشتت كلمتها المنادية بإنهاء الاحتلال، وعرفوا أن ضرب الوحدة الوطنية المتأصلة لدى المصريين سبيلهم إلى تحقيق أهدافهم، وقد وجدوا - بالفعل - فى بعض «الأقباط من يأتمر بأمرهم، ويضع نفسه فى خدمة سياستهم» [١١] كما وجدوا فى بعض الصحف: ومنها: (مصر) و (الوطن) بوقاً لنشر مقالات تحقق الهدف المنشود، وطالع القراء على صفحات الصحيفتين المذكورتين مقالات تهاجم المسلمين هجوماً عنيفاً، ومنها مقال نشرته صحيفة الوطن بتوقيع «ناطق حق» كتب صاحبه فى نهاية مقاله؛ قائلا:

« فيظهر من كل ما تقدم: أن الأقباط هم المصريون الحقيقيون أصحاب البلاد بكل معنى الكلمة، وأن جميع الذين وطئت أقدامهم أرض مصر من بدء الإسلام إلى اليوم سواء من العرب أو الترك أو الفرنساويين أو الإنجليز ليسوا فى الحقيقة إلا احتلاليون» [١٢] وزادت صحيفة (الوطن) من هجومها على

المسلمين، ودعت لتأسيس حزب قبطى، كما نشرت أشعاراً تؤيد هذه الدعوة، فهذا إبراهيم حنين ينشر قصيدة يثنى فيها على فكرة «أخنوخ فانوس» بتأليف الحزب المنشود؛ قائلاً : [١٣]

أخنوخ يا بطل يافخر أمته .. أخنوخ يارجل ياخير مفضال
أقسمت أنك لا تخشى مقاومة .. فأسس الحزب تواً.. دون إمهال

إلى أن يختتم قصيدته؛ قائلاً:

مصر التعيسة يا أخنوخ نائحة.. مصر العزيزة ترثى مجدها العالى
فانهض على عجل إن غداً .. يغير الله من حال إلى حال

ولم تمض أيام على نشر القصيدة فى صحيفة (الوطن) – ١٤ من أغسطس ١٩٠٨م. حتى نشر «أخنوخ فانوس» فى الثانى من سبتمبر من العام نفسه برنامج هذا الحزب الذى أطلق عليه أسم (الحزب المصرى)، وكان هذا البرنامج؛ كما يذكر الدكتور يونان لبيب رزق؛ يجمع بين الاعتدال فى معاملة الاحتلال والعلمانية، حيث نصت المادة الثالثة من البرنامج على فصل الدين عن السياسة فصلاً تاماً، والاعتدال بإيجاد نوع من الروابط مع بريطانيا؛ بعقد معاهدة تتضمن حرية تجارة إنجلترا فى مصر واستقلال البلاد وسعادة وفلاح سكان مصر[١٤]!!.

وفى محاولات لوأد المناورات الأجنبية التى تستهدف تمزيق البلاد: يكتب عبد العزيز جاويش مقالات نارية مدافعاً عن الإسلام والمسلمين وعن وحدة البلاد.. كما تتصدى اللجنة الإدارية للحزب الوطنى لهذه المحاولات الدخيلة على المصريين والتى تهدف شغل الأمة وتمزيقها، وتعقد هذه اللجنة اجتماعا نادت فيه بضرورة اتفاق عقلاء الأمة على أنه لا يوجد أى شقاق بين عنصرى الأمة، وطالبت بتكتل الجهود لمقاومة الاحتلال.. وبالفعل تظهر كتابات متعددة مشتعلة حماساً ووطنية، فهذا الزعيم محمد فريد يقدم ديوان (وطنيتى) للشاعر «على الغاياتى» وبسبب هذا الديوان يتم تقديم الغاياتى - صاحب الديوان - للمحاكمة، كما تتم؛ أيضاً؛ محاكمة محمد فريد الذى قدم الديوان، والشيخ جاويش محرر (اللواء)، وحكمت المحكمة بحبس «الغاياتى» مدة عام لكنه هرب متنكراً إلى الآستانة ومنها إلى سويسرا حيث أصدر صحيفة باسم (منبر الشرق) باللغة الفرنسية وبها جزء بالعربية، وظل يصدرها لمدة ربع قرن) وتم الحكم على كل من محمد فريد وعبد العزيز جاويش بالسجن لمدة ستة أشهر [١٥].

كما ارتبط اسم «جاويش» بعد ذلك بمجلة (الهداية) باعتباره

صاحبها وموجهها ومحررها الأول والمخطط لموضوعاتها، وقد اهتمت هذه المجلة باللغة والأدب والدراسات القرآنية؛ كما يظهر ذلك فى افتتاحية الجزء الأول - العدد الأول - منها؛ ففى هذا المقال الإفتتاحى يوضح ذلك «جاويش»؛ قائلاً:

«عنّ لنا أن ننشيء مجلة نفرغ بعضها لإذاعة (أسرار القرآن) الذى هو دستور السعادتين، ولرد تلك الشبه وإدحاض ما يكيلونه جزافاً من الأكاذيب، وبيان أن الإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها.. ونفرغ من أبعاضها قسماً لإنعاش لغة العرب من عثارها؛ بما نأتى به من التحقيقات اللغوية والإشارات الأدبية، فقد أصبحت الألسنة ترتضخ عجمة ليست الأصيل، ونودع ما بقى من فراغ المجلة أبحاثاً أُخر».

وظل «جاويش» ينشر أفكاره دون هوادة حتى تم نفيه إلى تركيا؛ فى الثامن عشر من أكتوبر من عام ١٩١٧م؛ بعد سجنه مرات لم يتوقف خلالها - رغم السجن - عن مواصلة النضال.

ومن المجلات الأدبية المهمة فى تلك الفترة- أيضاً - مجلة (البيان) التى أصدرها الشيخ عبد الرحمن البرقوقى؛ وظهر أول أعدادها فى ٢٤ من أغسطس ١٩١١م، وكانت تحمل من بصمات محمد السباعى - صديق البرقوقى - أكثر مما تحمل

من بصمات صاحبها، إذ نشر السباعى على صفحاتها العديد من ترجماته لرباعيات الخيام؛ ولديكنز (قصة مدينتين) وأشعار «بايرون»، و(الأبطال) لكارليل، كما نشرت المجلة ترجمات طه السباعى، وكتابات طه حسين.

وكان الشوام قد امتد باعهم فى الصحافة فى مصر وقتذاك؛ فبالإضافة إلى (الهلال) لجورجى زيدان، و(المقطم) ليعقوب صروف، وجهود الأخوين «مكاريوس» الصحفية، و (المجلة المصرية)– التى صدرت فى يونيو ١٩٠٠م – لخليل مطران الذى حرص فيها على «اجتناب البحث فى الدين والسياسة» وتخصيصها لصفوة الشعراء؛ أصدر «سليم سركيس» فى عام ١٩٠٥ م مجلة بعنوان (سركيس) جعلها حافلة بأخبار الأدب والأدباء فى مصر وفى بلاد المهجر ثم ظهرت مجلة (الزهور) – فى مارس ١٩١٠م – لصاحبها «أنطون الجميل» وجعل خطتها التعريف بالأدباء فى البلاد العربية عن طريق نشر أدبهم وأخبارهم وإيجاد صلة بين أدباء وكتاب هذه الأقطار، وقد أثارت المجلة قضايا وطنية، منها: ضرورة وجود نشيد وطنى غير النشيد الذى يمجد الخديوى ويدعو له.

ودخلت مصر مرحلة جديدة بإعلان بريطانيا الحرب على

الدولة العثمانية فى الخامس من نوفمبر ١٩١٤م، ثم إعلان - بريطانيا - الحماية على مصر لتبدأ مرحلة مهمة فى تاريخ الثقافة فى مصر.

انعزاليون.. لماذا؟

يا مصر بعدك.. مالناش سعادة
لولا اعتقادنا .. بوجود إلهنا
كنا عبدنا النيل عبادة

لقد كانت الصرخة الوطنية التى أطلقها سيد درويش ؛ والتى تطالب بالمحافظة على الشخصية المصرية لها ردود أفعال عنيفة بين المثقفين - وبخاصة إثر إعلان بريطانيا الحماية على مصر - فقد أصيب مفكرون وصحفيون بذهول من صدمة فرض الحماية.

فهذا «الرافعى» يوقف إصدار صحيفته حتى لا تنشر نبأ الحماية على البلاد [١٦] وهناك من ظل يراقب الأحداث التى تتوالى: الخديوى عباس يتم عزله؛ وحسين كامل يتم تنصيبه سلطانا على مصر، والحكومة تتعقب الأقلام الوطنية بذهب المعز تارة وبسيفه مرات متتالية، ومن لا يسكته هذا ولا ذاك فهناك التنديد والوعيد والنفى وغير ذلك من سبل مشروعة وغير

مشروعة فى الغالب.

ونتيجة ذلك كله سكت من سكت، وانزلق البعض إلى دائرة مسايرة الاحتلال إيثاراً للسلامة، حتى شعراء الوطنية أتت عليهم لحظات ضعف دفعتهم إلى سكب بعض السواد على صفحاتهم المجاهدة، فهذا «شوقى» يقول:

دع ما يضرك والتمس ما ينفع
واختر لنفسك ما يزيد وينفع

وهذا «حافظ إبراهيم» يخاطب المعتمد البريطانى فى البلاد؛ قائلا:

أنتم أطباء الشعوب
وأنبل الأقوام غاية
أنّى حللتم فى البلاد
لكم من الإصلاح آية

وبقى بصيص من أقلام تحاول إيقاظ الوطنية فى النفوس؛ بشكل غير مباشر أيضاً.. فهذا طه حسين يجد مدخله لذلك فى محاوراته مع صديقه الدكتور محمد حسين هيكل؛ ويقترح نشر المحاورات على صفحات (السفور) التى أصدرها عبد الحميد حمدى.

فى عــام ١٩١٥م يكون مـــوضـع المحـــاورات «الحـــزب والحضارة»، وتستمر المحاورات مدة طويلة؛ ثم انتقلت - بعدها - إلى صفحات (السياسة) و(السياسة الأسبوعية) وكان طه حسين يوقع مقالاته بـ (تاسيت).. وكان من كتاب (السفور) أيضـاً: أحـمـد أمـين، ومـصطفى عبـد الرازق، ومـحـمـد تيـمـور؛ مديرها المسؤول، و محمود تيمور، وإبراهيم المصرى، ومنصور فهمى، وطائفة من الشباب المثقفين ممن عز عليهم أن ينقطع نشاطهم الفكرى بسبب الحرب واختفاء (الجريدة) فى عام ١٩١٥م.

وظل الحال فى البلاد هكذا حتى ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول؛ هذه الثورة التى أحدثت غلياناً فى البلاد.

وبسـبب الغليـان السـيـاسـى توزع الأدباء بين الكتـابة وبين دهاليز السياسة: من مفاوضات بين مصر والإنجليز؛ ودفاع عن الدستور المصرى؛ وصيحات «الاستقلال التام أو الموت الزؤام».

ولم يكن هناك أديب واحد قد كرس نفسه للأدب بعيداً عن مـجـريـات الأمـور فى البـلاد، فـالمازنى وهـيكل وشـوقى وحـافظ والعـقـاد وطه حـسين وغـيـرهـم؛ كـانوا غـارقين فى السـيـاسـة، والأحزاب تعتمد عليهم فى الوصول إلى الناس وترديد شعاراتها

عبر كتاباتهم، وكان بعض هؤلاء الكتاب يتنقل من صحيفة إلى صحيفة أخرى ناطقة بلسان الحزب نفسه أو إلى صحف أحزاب أخرى.

ورغم عمل هؤلاء الأدباء فى الصحافة؛ فإن جمهور القراء كان يعتبرهم أصحاب أقلام أدبية فى المقام الأول؛ ولهم وزنهم الفكرى؛ رغم عملهم فى الصحافة، وقد كان لهؤلاء الأدباء الفضل الأكبر فى تحرير التعبير العربى من أسر البديع وتحويله إلى لغة واضحة بعيدة عن التكلف والتصنع، وظهر تأثير ذلك فى الأعمال الإبداعية لهؤلاء الرواد: هكيل فى (زينب)، وطه حسين فى (الأيام).

وظهرت ردود أفعال تنادى ببعث الروح الوطنية المصرية فى مواجهة محاولات المحتلين إذابة الشخصية المصرية، وبدأت تظهر كلمة «مصرى» و «مصرية»، فهذا فنان الشعب - سيد درويش - يغنى استلهاماً من كلمات مصطفى كامل فى نشيد «بلادى بلادى»: مردداً: [١٧]

يا مصر بعدك .. مالناش سعادة

ويكتب محمد حسين هيكل روايته (زينب) ويوقعها بـ (مصرى فلاح) ويؤلف توفيق الحكيم (عودة الروح)، وتنجح حملة

استكتاب لإقامة تمثال (نهضة مصر) لمحمود مختار.

ولم تهدأ هذه الموجة؛ بل زاد ضجيجها عندما اكتشف «هوارد كارتر» - في عام ١٩٢٣م - آثار الملك الفرعوني الشاب «توت عنخ آمون» وكنوزه المبهرة التي لا تقدر بثمن، وزاد الحديث عن الأصالة المصرية وعمق تاريخ حضارتها، حتى تساءل البعض وقتها: [١٨]

* هل الاهتمام الشديد بالفرعونية على هذا النحو سيؤدي إلى الانعزالية التي يريدها المحتلون لمصر؟ أم أن البلاد ستعود - كما كانت - دولة إسلامية؟

وكان التساؤل في محله، فقد امتدت هذه الموجة إلى بعض الأجانب المقيمين في البلاد، فهذا «محمد تيمور» - تركي الأصل - يحرص وأخوه «محمود تيمور» على تأكيد مصريتهما واختلاطهما بعامة الشعب [١٩]، حتى في الأزمات التي مرت بها البلاد نجد أنه قد عز على هؤلاء - الذين أحبوا مصر - أن ينقطع نشاطهم الفكري [٢٠] فالعائلة التيمورية (أحمد تيمور باشا، وأخته عائشة التيمورية ومحمد ومحمود تيمور) أصبحت مركزا من المراكز الثقافية المعروفة في مصر [٢١]، ويحي حقي - تركي الأصل أيضاً - يندمج في الحياة المصرية و «يعشق مصر

عشقاً مابعده عشق؛ ولا يتوقف عن السعى من أجل تعميق مصريته» (٢٢)

ويشتد الصراع الحزبى فى البلاد وتعيش الصحافة هذه المتناقضات، فتتلون القضايا الفكرية بالصبغة السياسية المباشرة (٢٣) وقد استفاد القراء شيئاً جديداً تقدمه الصحافة وتعتنى به : بجانب ما تسجله من الوقائع اليومية والخواطر؛ إذ جعلتهم على صلة بالحياة الأدبية والفكرية والفنية ومعرفة الأدب الحديث عن طريقها (٢٤).

فبعد أن كان الأسلوب البيانى فى بعض ما تقدمه الصحافة يقف عند تصور نقدى محدود يتمثل - فقط - فى العناية باللغة والأسلوب؛ وبخاصة فى كتابات «الشيخ على يوسف» صاحب (المؤيد) و «إبراهيم المويلحى» صاحب (مصباح الشرق) وابنه «محمد المويلحى» مؤلف قصة (حديث عيسى بن هشام) والشيخ «عبد الرحمن البرقوقى» و «محمد توفيق البكرى» و «المنفلوطى» و «الرافعى» (٢٥) أصبحت الصحافة تعبر - فى أغلبها - عن منطلقات سياسية بشكل مباشر، وحاولت الصحف بالأساليب المتعددة؛ ومنها الأدب: استقطاب القراء إلى وجهات نظرها، وكان كبار الكتاب - وقتذاك - سبيل بعض الصحف إلى هذا

الاستقطاب.

فهذا «أمين الرافعي» يعيد إصدار صحيفته (الأخبار) – فى ٢٢ من فبراير ١٩٢٠م – لتخدم القضية المصرية فى المفاوضات «المصرية/ البريطانية» بشأن الدستور والجلاء؛ ويتجمع حولها كتاب وقراء.

وجريدة (السياسة) لسان حزب الأحرار الدستوريين؛ التي أشرف عليها الدكتور محمد حسين هيكل؛ لها خطها السياسى والفكرى الملتزمة به منذ صدور عددها الأول فى الثلاثين من أكتوبر ١٩٢٢م؛ هذا الخط الذى وضح فى كتابات منتسبيها: «طه حسين» و «محمود عزمي» و «سيد كامل» و «توفيق دياب» و«المازنى» و «البشرى»؛ وأغلبهم من تلاميذ (الجريدة) الذين ورثوا أسلوب أستاذهم «أحمد لطفى السيد» فى التفكير والاعتدال والنظرة الواقعية للأمور [٢٦] ومؤازرة طبقة الإقطاع، وعدم التشديد مع حكومة الاحتلال [٢٧].

وأما موجة «المصرية» التى سادت الساحة الفكرية فى ذلك الوقت فقد انتقد البعض هذا الاتجاه على أنه «انعزالية تعثرت فيها أقدام بعض المفكرين وتروج لها بعض الدوائر الغربية» [٢٨] فى حين يرى آخرون أنها محاولة للاحتفاظ بالذات الوطنية فى

مواجهة محاولات محوها والقضاء عليها.

واستمر فيض الإصدارات الصحفية يلاحق القراء، فقد صدرت صحيفة (البلاغ) - في الثامن والعشرين من يناير ١٩٢٣م - لعبد القادر حمزة؛ لتكون لسان حال (الوفد)، وضمت إلى أقلامها: عباس العقاد و أحمد حافظ عوض.

وعندما أصدرت صحيفة (السياسة) صحيفة (السياسة الأسبوعية) لتكون موجهة للحركة الأدبية والفكرية في البلاد؛ سارعت (البلاغ) بإصدار (البلاغ الأسبوعي) لتقف ندا لها.

وظهرت مجلة (الكشكول) - في الرابع والعشرين من مايو ١٩٢١م - لحافظ عوض، ومجلة (روز اليوسف) - في أبريل ١٩٢٤م - لفاطمة اليوسف واهتمت بالأدب أيضا، ثم مجلة (التمثيل) ١٩٢٤م، وصحيفة (الفجر) - في الثامن من يناير ١٩٢٥م -لأحمد خيرى سعيد ؛ حاملة شعاراً يقول : «الفجر صحيفة الهدم والبناء»ودعت الصحيفة إلى الاستقلال الفكري وتقديم الأدب الجديد، وقد استمرت هذه الصحيفة مدة عام ثم توقف نشاطها.

وتوالى ظهور مجلات أخرى متعددة في تلك الفترة ؛ من أهمها مجلة بعنوان (الفجر) - أغسطس ١٩٣٤م - لصاحبها

حسن ذو الفقار المحامى ؛ الذى حدد شعارها فى «أنها تنشر من الأدب أكمله، ومن الفن أجمله، ومن النقد البرىء أعدله، شعارها وغرضها أن تنهض بالثقافة إلى حد الكمال، وأن تسمو بالذوق المصرى إلى حد الكمال» ، ثم صدرت مجلة (العصور) الشهرية فى سبتمبر ١٩٢٧م؛ والتى حددت أهدافها فى التالى :

- استقلال وادى النيل بحدوده الطبيعية.
- الدفاع عن النظام النيابى أسلوبا للحكم.
- التحرر فى النقد من كل القيود والروابط الشخصية، باعتباره وسيلة للنهوض بالأدب.
- العمل على نشر المعرفة.
- الاستقلال فى الرأى عن كل الجماعات والأحزاب.

وبدأ صاحبها «إسماعيل مظهر» ينشر على صفحاتها تراجم كبار الأدباء العالميين، أمثال «برتراند راسل» و «فابيل أدم» و«شترتون»؛ بالإضافة إلى عيون الشعر القديم والذى كان ينشر تحت باب (سنابل وأزهار)

وجاءت مجلة (الجديد) – فى الثامن والعشرين من ١٩٢٨م – لصاحبها محمد حسين المرصفى؛ بعد اختفاء مجلة (الجديد) الأسبوعية التى أصدرها محمود عزمى عام ١٩٢٥ والتى اختفت

بعد عام واحد فقط؛ ثم (المجلة الجديدة) لسلامة موسى منذ أول نوفمبر ١٩٢٩ التى أخذت طابع صاحبها فى التطرف الشديد فى اتهام الأدب العربى بالتخلف والرجعية، وحاولت تقديم ما أسمته بـ (الأدب الجديد). وقد نشر «نجيب محفوظ» أولى قصصه القصيرة على صفحاتها بعنوان (ثمن الضعف) فى عدد أغسطس ١٩٣٤م، وتصدت لهذه المجلة مطبوعة أخرى هى مجلة (النهضة الفكرية) التى أصدرها «محمد غلاب» فى العاشر من مايو ١٩٣٠م ؛ لتقاوم حركات التبشير والعلمانية فى الأدب والتغريب فى الفكر واللغة.

وخلال هذه المسيرة الطويلة للصحافة فى مصر؛ ارتبط اتساع رقعة الأدب فى الصحافة بالضغوط المتتالية عليها، فكلما زاد القسر على صحيفة أو مجلة زادت رقعة الأدب فيها، وقد اتخذ هذا الأدب الرمز مرات أو المغامرة بالتشخيص الواضح مرات أخرى قليلة، ولكنه كان - بشكل عام - النبض الموازى والمعبر عن تفاعلات أهل الثقافة تجاه مجريات الأمور فى البلاد.

هدأت الضجة التى طالت ضد بعض الكتّاب بعد أن تراجع أصحابها، ولم تعد هناك قضايا تثير غباراً حولها؛ مثلما حدث عندما أصدر القاضى الشرعى فى محكمة المنصورة الشيخ على عبد الرازق كتابه (الإسلام وأصول الحكم) – فى مايو ١٩٢٥م – مهاجماً فيه فكرة الخلافة قائلا إنها ليست من أصول الإسلام؛ ليقطع على الملك فؤاد فكرة ترشيح نفسه للخلافة، هذه الفكرة – الخلافة – التى يؤيدها حزب (الاتحاد) برئاسة يحيى باشا إبراهيم وزير المالية فى ذلك الوقت.

كما حذف طه حسين من الطبعات التالية لكتابه (فى الشعر الجاهلى) تلك السطور التى أحدثت ضده ثورة عارمة، وإن كانت الكتابات لم تتوقف حتى الآن*** بخصوص فكرة طه حسين التى تشكك فى صحة الشعر الجاهلى وكيف أن لغته المتجانسة تتباين – كما ردد طه حسين – مع تعدد اللغات واللهجات فى البيئة الجاهلية، ومدى علاقة هذا الرأى بالمستشرق مرجليوث الذى ردد المقولة نفسها فى دراسة نشرها عام ١٩٢٥م قبل نشر الطبعة الأولى من كتاب طه حسين (فى الشعر الجاهلى) بعام كامل.

وعاد الكبار: الذين تغربوا وتأثروا بالفكر الأوربى؛ إلى الكتابة بروح إسلامية وكتبوا أعمالاً مهمة بعد ذلك، ومنهم: طه حسين والعقاد والدكتور هيكل، ومع ذلك كان هناك تباين فى الساحة الفكرية، وربما كان الصوت الأعلى للنزعات المتمردة التى تعزف على مشاعر الساخطين والناقمين والثائرين فى وقت واحد، هذا بالإضافة إلى نزعات التجديد التى تثار بين فترة وأخرى وتجد هوى لدى البعض - خاصة - من الشباب.

ومن المطبوعات التى أحدثت تأثيراً فى تلك الفترة مجلة (أبولو) الشهرية التى أصدرها «أحمد زكى أبو شادى» - فى سبتمبر ١٩٣٢م - وجعل شعارها:

مجلة فنية لخدمة الشعر الحى

لسان حال جماعة «أبولو»

وحدد هدفها «لكشف الشعراء المطبوعين المتوارين، وأن تعلن فضلهم ومواهبهم، وأنها لا تشجع إلا الذى تلمح فيه بريق الشاعرية، ولهذا فإنها تقصر عضويتها على الشعراء، ولا يهمها فتح الباب على مصراعيه لعضويتها»[٢٩] ورغم احتفاء المجلة بكبار الشعراء وتخصيص بعض أعدادها الخاصة لأعمالهم (أصدرت عدداً عن «شوقى» فى ديسمبر ١٩٣٤م، وعدداً عن

«حافظ» فى يوليو ١٩٣٣) إلا أنها احتجبت بعد العدد الصادر فى ديسمبر ١٩٣٤ بعد صراعات وخلافات متعددة، فقد احتوى عدد واحد منها - على سبيل المثال - على هجوم مباشر وغير موضوعى على «العقاد» نشره كل من «إسماعيل مظهر» و«رمزى مفتاح» و «محمد على غريب» وغيرهم، بعدها أغلقت مدرسة (أبولو) الشعرية أبوابها رسميا قبل عام ١٩٣٦.

وقبل توقف (أبولو) كانت مجلة (الرسالة) قد أخذت مساحة من الاهتمام؛ منذ أن أصدرها أحمد حسن الزيات فى الخامس عشر من يناير ١٩٣٣، وأسهم فى تحريرها «طه حسين» وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وفتحت صفحاتها للثقافة الرصينة، وأصبحت متنفسا للكتاب والشعراء والأدباء؛ بعد أن اهتمت الصحف بالسياسة فى المقال الأول، فقد استهل ناشرها ورئيس تحريرها افتتاحية العدد الأول؛ بقوله «إن غاية المجلة أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع، وبهرج الأدب بتثقيف الذوق، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق » ثم أوضح هدف المجلة فى «ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب» [٣٠] وقد استمرت فى الصدور حتى الثالث والعشرين من فبراير ١٩٥٢.

وأصدر أحمد الصاوى محمد مجلة (مجلتى) فى الأول من

ديسمبير ١٩٣٤م «لتكون شيئاً جديداً فى الصحافة» وقد ساعدتها الإعلانات الكثيرة التى نشرتها على أن تستكتب كبار الكتاب، ثم أضاف صاحبها أنها «ستعنى عناية خاصة بمشكلاتنا الاجتماعية وشئوننا النسائية وحركتنا الأدبية والفنية والرياضية» و أنه «سيزودها بمطالعات فى أعظم مجلات وكتب العالم»[٣١] وكانت هذه المجلة أول مجلة أدبية تهتم بالصورة -والصورة الجمالية منها بشكل خاص - كنمط جديد فى الصحافة الأدبية لجذب القارئ العادى إليها، وقد استمر صدورها حتى توقفت بعد عددها الصادر فى السادس من مايو ١٩٤٥.

بعد ذلك صدرت مجلة (الكاتب) ليوسف حلمى عام ١٩٣٧، وفى تلك الفترة استقل أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر عن المساهمة فى تحرير مجلة (الرسالة) لتتحول مساهماتهم إلى مجلة (الثقافة) التى صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ والتى ظهر عددها الأول فى الثالث من يناير ١٩٣٩ لصاحب امتيازها أحمد أمين، تحت شعار «مجلة أسبوعية للاجتماع والآداب والعلوم والفنون»، وكان أحمد أمين يُعد رئيس التحرير الفعلى لها رغم أن المجلة حملت اسم محمد عبدالواحد خلاف

كرئيس تحرير لها، وقد حدد أحمد أمين هدف إصدار المجلة فى أنه «من أجل الكنوز الشرقية والثروة الغربية التى تحتاج إلى مئات المجلات بجانبها تعالج هذه الثروات من نواحيها المختلفة وبكفاياتها المتعددة» (٣٢) وكتب فيها كوكبة من الكتاب من مصر؛ منهم : طه حسين، والعقاد، والحكيم، والبشرى، والمازنى، وشكرى، وفريد أبو حديد، وعبد الوهاب عزام، ومن السودان: محيى الدين فارس، وعبد الله الطيب، وتوفيق البكرى، ومن فلسطين: إسحق الحسينى، وعيسى الناعورى، ومن السعودية: أحمد عبد الغفور عطار، وأحمد محمد جمال، وحمزة طاهر، بالإضافة إلى عدد كبير من المستشرقين.

وفى نوفمبر من عام ١٩٤٥ أصدرت «دار المعارف» مجلة شهرية للآداب والعلوم والفنون باسم (الكتاب) برئاسة تحرير عادل الغضبان تهدف إلى : (٣٣).

أولا: نشر الثقافة عن طريق الرفيع العالى من الآداب والعلوم والفنون.

ثانيا: معاونة القارئ العربى على اختيار الكتب.

ثالثا: عرض ونقل ما تفتقت عنه أذهان الشرقيين والغربيين؛ مع الاعتزاز بالعقل العربى دون انتقاص لسواه.

رابعا: بناء الأدب الحديث على أركان الأدب القديم.

خامسا: التفاعل مع العصر ومنجزاته.

سادسا: المحافظة على أصول البلاغة العربية في تناول الموضوعات. وفي العام نفسه - أكتوبر ١٩٤٥ - كانت مجلة (الكاتب المصري) قد أصدرت أول أعدادها عن «دار الكاتب المصري للطباعة والنشر» ورأس تحريرها طه حسين، وقد استهل رئيس التحرير العدد الأول بمقال افتتاحي بعنوان «برنامج»: حدد فيه أن برنامج المجلة وخطتها مستمدان «من تاريخ مصر القديم والحديث ومن المهمة التي نهضت بها مصر منذ شاركت في الحضارة الإنسانية العامة.. مهمة التوسط بين الشرق والغرب في شئون الثقافة والسياسة والاقتصاد» (٣٤) ورغم أن المجلة قد توقفت بعد صدور العدد الصادر في مايو ١٩٤٨ (٣١ عددا) إلا أنها أحدثت - ولا تزال - جدلاً واسعاً تتردد أصداؤه في الحياة الثقافية بين حين وآخر حتى يومنا هذا، ويتراوح هذا الجدل بين مقدر لما ساهمت به في «تحريك الثقافة» (٣٥) إلى متهم لها بتحقيق أهداف صهيونية وأنها رأس رمح لليهود في مصر، وأن الصهيونية كانت تمولها بقصد استيعاب المثقفين المصريين في تيار ثقافي مشبوه، وقد تزعم

إسماعيل مظهر رئيس تحرير (المقتطف) فى ذلك الوقت هذه الحملة ضد المجلة، وقد كان لويس عوض أحد كتاب المجلة؛ ونشر على صفحاتها مقالات عن الأدب الانجليزى بصفة خاصة (الأعداد ٣ و٤ و ٨ و١٠ و١١ عن «أوسكار وايلد» و«إليوت» و«شو» و«جويس» و«ولز») وربما هذا يعلل بعض حماسه الشديد للمجلة دون النظر إلى وجهات النظر الأخرى التي تربط بين الأحداث الصهيونية المتلاحقة فى ذلك الوقت وبين السعى فى إصدارها، وبخاصة أن أصحابها كانوا أربعة أخوة من اليهود المصريين؛ هم: «مارك» و«ريمون» و«إدجار» و«أرنست هرارى»، بالإضافة إلى التغيرات السريعة التى تزامنت مع صدور المجلة والتى أسفرت عن قيام إسرائيل على الأرض الفلسطينية، مع أن طه حسين قد سخر من ذلك كله؛ فى كلمته المنشورة فى العدد الأخير من المجلة؛ حيث قال:

«لقد أرجف المرجفون، الذين يسرهم الطعن فى طه حسين، والذين لا يعملون، ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس، وقالوا إن مجلة الكاتب المصرى قد صدرت لنشر الصهيونية، والآن وقد انتهى عمر هذه المجلة فإن أعدادها بين أيدى القراء، فهم لا يرون إلا دفاعا عن مصر العروبة، وخدمة لها بقدر الوسع والطاقة».

ورغم توضيح طه حسين، ومرور عشرات السنين منذ أن توقفت المجلة، إلا أن الجدل مستمر حتى الآن حول مجلة (الكاتب المصرى) ولم تحسمه الدراسات المتعددة التى تناولتها.

أدب سياسى

فى الوقت الذى كانت فيه تيارات سياسية متباينة تجتاح العالم: بعد الحرب العالمية الثانية: كان لمصر نصيب من هذه الرؤى السياسية: الاستقلالية منها، والموالية للإنجليز، والتيارات التى تعمل لمصالح أخرى: صهيونية أو غيرها.. وكانت الصحافة – ولا تزال – المجال الذى تصل عن طريقه هذه الرؤى والتيارات إلى قرائها.

كما كانت بعض الصحف والمجلات تصدر بهدف سياسى محدد: حتى وإن اتخذت من الأدب ستاراً لذلك، فقد حققت الصحافة أهميتها النسبية فى ذلك الوقت؛ نظرا لزيادة نسبة المتعلمين: بعد أن بدأت المدارس الإلزامية تستوعب أبناء الشعب المصرى ابتداءً من عام ١٩٢٧، وبالإضافة إلى مجانية التعليم التى بدأ تطبيقها منذ سنة ١٩٤٤، ثم أخبار الحرب العظمى وتأثيرها الكبير على تعدد الصحف وانتشار صحافة الرأى.

ومثلما كانت هناك صحف موالية للاحتلال الانجليزى بشكل مباشر؛ مثل «المقطم»؛ وصحف تعبر عن طوائف أجنبية فى البلاد كالطائفة اليهودية، مثل مجلة (إسرائيل) وغيرها [٣٦]، ظهرت مطبوعات تتخذ من الأدب سلاحاً لمحاربة الاحتلال، ومن هذه الصحافة مجلة (الفجر الجديد) التى صدرت فى السادس عشر من ١٩٤٥ باعتبارها - كما أطلقت على نفسها - مجلة للثقافة الحرة والتحرر القومى والفكرى، وكانت هذه المجلة فى حقيقتها مجلة «أصدقاء الفجر الجديد فى بعض المدن والأحياء» من أجل ما أسمته بـ «النضال الديمقراطى مع العاملين من أجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية» وقد ساعد أحمد رشدى صالح فى إصدار هذه المجلة بحصوله على ترخيص لإصدارها، وكانت المجلة ملتقى بعض الأصدقاء الماركسيين، ومنهم اليهود أمثال: ريمون دويك، وصادق سعد، ويوسف درويش، الذين عملوا وسط المثقفين والعمال لينشروا أفكارهم، وحفلت المجلة بأسماء مستعارة؛ منها: [٣٧].

جهاد ....: أحمد رشدى صالح

حسن زاهر، وعلى الكاتب.........: د. على الراعى

إبراهيم الكاشف، ومحمد أمين.. : ريمون دويك

حسن زكى ....: يوسف درويش

كما كتب على صفحاتها: عز الدين فودة، وسعد مكاوى، ونعمان عاشور، ولطيفة الزيات، ويوسف الشارونى، وعبد القادر القط، وأنور شتا، ومحمد خليل قاسم، وعبد الرحمن الشرقاوى؛ الذى نشر أشعاره على صفحاتها منذ أول عدد؛ حيث نشر فى العدد الأول قصيدة باسم (الفجر الجديد) يقول فيها:

يارفاق المجد قد عشنا إلى الآن حيارى

فهلموا.. وضح النهج .. إلى المجد البدارا

إنها الحرية الكبرى.. جعلناها المنارا

وقد تعرضت المجلة وكتابها للتعطيل والمصادرة والاعتقالات المتعددة نظراً لخطها الذى أخذ طابع المنشور الثورى فى حدة التعبير وسرعته واقتضابه، ولموقفها المعادى للاحتلال وبياناتها ضد وعد بلفور وتوطين اليهود فى فلسطين [٣٨] وتوقفت المجلة بعد عددها الصادر فى الحادى عشر من يوليو ١٩٤٦ عندما ألغت حكومة «صدقى باشا» تراخيص الصحف والمجلات التى ترفع شعارات حماسية وتؤلب الشعب ضد حكومته، بينما ظلت بعض الصحف تنشر مدائح وتزلفات ليست من الأدب الحقيقى فى شىء.

وبجانب هذا الأدب السياسى المباشر والصحافة الأدبية المتخصصة، اهتمت الصحافة غير المتخصصة - أيضاً - بالأدب لجذب القراء إليها، وتقديم ما يرغب القراء فى مطالعته على صفحاتها؛ فمجلة (آخر ساعة) الصادرة فى الرابع عشر من يوليو ١٩٣٤؛ التى أسسها محمد التابعى؛ كانت قد أخذت فى التدهور منذ بداية عام ١٩٤٥، ولكنها بدأت منذ فبراير ١٩٤٥ فى ثوب جديد وقطع كبير فى الورق واهتمت بالأدب وبدأت تنشر القصص القصيرة، وعندما تم الاتفاق بين «التابعى» و «دار أخبار اليوم» على أن تتولى الأخيرة إصدار المجلة؛ أبقى مصطفى أمين - رئيس التحرير - على نشر قصة فى كل عدد من أعدادها لواحد من كبار الأدباء وقتئذ.. وصحيفة (المصرى) ١٩٣٦/ ١٩٥٤ - لأصحابها: محمود أبو الفتح. ومحمد التابعى وكريم ثابت - قد اهتمت هى الأخرى بالأدب منذ عددها الأول، فنشرت القصة والرواية المسلسلة، وسعت بشدة لضم كبار الكتاب إليها ومنهم «محمد مندور» الذى تم فصله بعد أن تمسك بحماسه فى إبداء الرأى وتطرفه الواضح بعيداً عن سياسة الصحيفة.. ومجلة (المصور) التى تنشر على صفحاتها كتابات فكرى أباظة - رئيس التحرير وقتها - عن «الجندى

الشاعر سامى البارودى» و«الشيخ الأستاذ المصلح الأفغانى» و«الثائر سعد زغلول» و «عبده الحامولى » وغيرهم، ورداً على هذا الجماس تظهر مقالات ضد الكاتب - فكرى أباظة - فى نشرة يومية يصدرها الاحتلال الإنجليزى تحت اسم (الحقائق اليومية: أنباء منطقة القناة) وتصفه بـ«الجاسوس الشهير فكرى أباظة باشا» (٣٩)!! وهكذا أصبح الأدب شريكا على صفحات أية صحيفة أو مجلة عامة أو متخصصة، فحتى مجلة (حياة الأسرة) الأسبوعية - التى كانت تصدر مؤقتاً شهرياً عن رابطة التربية الحديثة للعناية بالطفل وبالأسرة وتدبير المنزل - تنشر ترجمات لقصص «تشيكوف» ومقالات لمشاهير الأدباء وقصائد متعددة منذ أول أعدادها الذى حمل غلافه صورة سيدة تحتضن ابنها، وتحت الصورة قصيدة عامية للشاعر أحمد محمود طنطاوى؛ يقول فيها:

عـينى تشـاور عليك وتقـول: أدى عـينى
وودانى مـسـتنظرة صـوتك ينادينى
والنوم فـ وشك جـمـال يسـحـر ويسـبـينى

وظلت الصحافة تنشر الأدب، وتهتم ببعض الأفكار عن الحرية والاستقلال حتى تفجرت أحداث الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢؛ لتبدأ ملحمة جديدة من ملاحم الثقافة الوطنية فى مصر ....

الهوامش

* تم تصوير الأعداد الكاملة من مجلة (الأستاذ) وإعادة نشرها فى مجلدين بعنوان: (عبد الله النديم: الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ) عن دار «كتب خانة»، القاهرة: ١٩٨٥م لعبده جبير

** صدرت دراسات متعددة عن (العروة الوثقى) كما صدرت أعدادها مجمعة وغير مجمعة فى أكثر من طبعة؛ منها:

.. جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده، العروة الوثقى ، ط ٢ (بيروت، دار الكتاب العربى: ١٤٠٠/ ١٩٨٠).

.. العروة الوثقى، ملحق مجلة «منبر الإسلام» عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كملحق شهرى للمجلة ثم توقف الإصدار.

١- أحمد حسين الصاوى «هكذا يؤرخ للصحف»، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٤٨ (الأهرام، المركز العربى للدراسات الإعلامية: يوليو / سبتمبر ١٩٨٧م) ص ٣٩.

٢ - سامى عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى، سلسلة المكتبة العربية (القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر: ١٩٦٨م) ص ١١٤.

٣ - محمود فياض، مرجع سابق، ص ١٥.

٤ - عباس محمود العقاد، «صحافة الشعر» ، مجلة الدوحة، العدد ٥٧، قطر ، ذو القعدة. ١٤٠٠ هـ / سبتمبر ١٩٨٠م، ص ٢٢.

٥ - مرعى مدكور، الإعلام الإسلامى وخطر التدفق الإعلامى الدولى، ط١ (القاهرة، دار الصحوة: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) ص ٦٦.

٦ - محمد جابر الأنصارى، مرجع سابق، ص ٨٢.

٧ - أنور الجندى، عبد العزيز جاويش، سلسلة: أعلام العرب، ٤٤ (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر: ١٩٦٥م) ص ٢٦.

٨ - إحسان عسكر، نشأة الصحافة السورية (القاهرة، دار النهضة العربية: ١٩٧٢م) ص ٥٢ وتذكر أنه لم يكن هناك قبل عام ١٨٥٨م قانون خاص بالصحافة فى الدولة العثمانية، وفى ذلك العام صدر قانون عقوبات احتوى على بعض المواد المتعلقة

بالصحافة ودور النشر: منها مادة تقول: (يعاقب من يطبع أو ينشر: في دور الطباعة الموسسة بأمر وموافقة الدولة: الكتب أو المطبوعات الضارة ضد السلطنة والحكومة والأمم المنضوية تحت لواء الإمبراطورية، بمصادرة ما طبع أولاً، ويجازى بعد غلق دار الطباعة موقتاً أو غلقاً تاماً - تبعا لدرجة الجريمة - بغرامة تتراوح بين عشر ليرات وخمسين ليرة ذهبية مجيدية) وفي عام ١٨٦٣م صدر أول نظام للمطبوعات، أوجب الحصول على ترخيص من الحكومة لإصدار الصحف، ثم صدرت قرارات الصدر الأعظم/ رئيس الوزراء «محمود نديم باشا» بضرورة «فحص صحف استنابول والاناضول قبل طبعها»، وتوالت أوامر الرقابة حتى هاجر عدد كبير من الصحفيين الشوام إلى مصر وأصدروا عدة صحف منها: (أنين مظلوم) ١٨٩٩م - لأمين انطاكي، (التجارة) ١٨٧٨م - لسليم نقاش وأديب إسحاق، (الجوائب المصرية) ١٩١٣م - لخليل مطران (الراوى) ١٨٨٨م - لخيل زينيه، (الضياء) ١٨٩٨م - لإبراهيم اليازجي، (اللطائف المصورة ١٩١٦م - لاسكندر مكاريوس، (المشير) ١٨٩٥م - لسليم سركيس، (مصر) ١٨٧٨م - لأديب إسحاق، (الهلال) ١٨٩٢م - لجورجي زيدان، وغير ذلك من صحف ومجلات.

٩ - دراسات في الصحافة العراقية، السلسة الإعلامية، ٣٠ (بغداد : وزارة الإعلام: ٢٩٧٢) ص ١١.

١٠ - محمود فياض، مرجع سابق، ص ١٧.

و : فاروق عبد القادر، «أحمد لطفي السيد: داعية التهادن في السياسة والمجتمع واللغة»، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢ (العراق، وزارة الإعلام: ١٩٧٧) ص ١٤.

و : محمد زكي عبد القادر، محنة الدستور، كتاب روزاليوسف، العدد: ٦، ص ٢٨.

و : فتحي رضوان، مجلة الثقافة، العدد الثالث (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ديسمبر ١٩٧٣) ص ٩.

و : رجاء النقاش، أدباء معاصرون، كتاب الهلال، ٢٤١ (القاهرة : دار الهلال: فبراير ١٩٧١) ص ٢٣.

و : أحمد حسين، مجلة الهلال: مارس ١٩٧٩، ص ١٨.

و : جمال بدوي، «نشأة الأحزاب المصرية، صحيفة (الوفد) ٢٧ من شوال ١٤٠٦هـ / ٣ يوليو ١٩٨٦م.

وقد انتقد هؤلاء جميعهم مواقف أحمد لطفي السيد و «الجريدة» بل قال بعضهم إن هذه

الصحيفة صدرت بإيعاز من «كرومر» المعتمد السامى البريطانى في مصر وقتذاك.

١٢ - الأدب القبطى فى مصر، نقلا عن:

: الوطن ، ٢٤ و ١٩٠٨/٦/١٩م

: اللواء، ١٦ / ١٩٠٨/٦م

١٣ - المرجع السابق، ص ٥٨.. و «أخنوخ فانوس» الذى عمل على تنفيذ فكرة «حزب قبطى» ولد ببلدة (أبنوب) فى صعيد مصر ١٨٥٦م وتعلم بالمدرسة الإنجليزية بأسيوط ثم التحق بالكلية الأمريكية فى بيروت وانتخب عضواً بمجلس شورى النواب ١٨٨٣، وعند افتتاح المحاكم الأهلية عام ١٨٨٤م اشتغل بالمحاماة.

١٤ - جمال بدوى، «الحزب القبطى» ، صحيفة الوفد، العدد ١٢٥، ٣١/ ٧/ ١٩٨٦ (٢٥ من ذى القعدة ١٤٠٦هـ).

١٥ - مختار الوكيل، «على الغاياتى.. بعد ثلاثين عاماً من رحيله»، صحيفة (الجمهورية) المصرية، ٣ من سبتمبر ١٩٨٦.

١٦ - مرعى مدكور، الصحافة الإخبارية، ط١ (القاهرة، دار الصحوة: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨) ص ٢٠٢.

١٧ - رجاء النقاش، مرجع سابق.

١٨ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، « التاريخ السياسى فى مصر الحديثة»، مجلة الكاتب، العدد ١١٩ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: فبراير (١٩٧١) ص ١٠٤.

١٩- يحيى حقى، فجر القصة المصرية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٥) ص ٦٦.

٢٠ - عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص ٩٤.

٢١ - FATMA MOUSSA MAHMOUD. ARABIC NOVEL IN EGYPT (CAIRO. THE EGYPTIAN GENERAL BOOK ORGANZATION 1973). P.14.

٢٢ - عبد العزيز محمد الزكى، «يحيى حقى بين المصرية والتركية»، مجلة (عالم الفكر)، المجلد التاسع العدد الثانى (الكويت، وزارة الإعلام: يوليو/ أغسطس/ سبتمبر ١٩٧٨) ص ٧٤.

٢٣ - محمود فياض، مرجع سابق، ص ١٠٢.

٢٤ - سيد حامد النساج، بحوث ودراسات أدبية، سلسلة «إقرأ» (القاهرة، دار المعارف، يونيو ١٩٧٨) ص ١٧٢.

٢٥ - عبدالعزيز الدسوقي، تطور النقد العربي الحديث في مصر، سلسلة «المكتبة العربية» (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٧) ص ٢٠١.

٢٦ - عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص ١٠٧.

٢٧ - محمود فياض، مرجع سابق، ص ١٠٣.. ويذكر أحمد حسين - مؤسس حزب (مصر الفتاة) ومعاصر «أحمد لطفي السيد» ومؤلف موسوعة (تاريخ مصر) - أنه لم ير في لطفي السيد أستاذ جيل؛ كما شاع: ولا شيء: اللهم إلا مناهضته الحركة الوطنية التي كان يقودها «مصطفى كامل» و «جاويش» ومحاولة التشويش على أفكارهما. كما أنه - لطفي السيد - اشترك في الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية في القدس في ٢٥ من أبريل ١٩٢٥م.

٢٨ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، «فيليب حتي ومدرسته في قراءة التاريخ العربي»، مجلة العربي. ٢٤٤ (الكويت: مارس ١٩٧٩) ص ٢٧.

*** أحدث هذه الآراء تضمنها كتاب صدر لـ علي شلش بعنوان (طه حسين: مطلوب حيا او ميتا)، عن دار الشروق، القاهرة: ١٩٩٣م. كما أعادت مجلة القاهرة - التي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب - نشر كتاب «في الشعر الجاهلي» في عددها الصادر في إبريل ١٩٩٥م.

٢٩ - أحمد زكي أبو شادي «كلمة المحرر»، مجلة (أبولو) ،العدد ١ (القاهرة)، مطبعة التعاون: سبتمبر ١٩٣٢ ص ١.

٣٠ - أحمد حسن الزيات، مجلة (الرسالة)، الهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر، العدد الأول: يناير ١٩٣٣م.

٣١ - أحمد الصاوي محمد، مجلتي، العدد الأول (القاهرة، مطبعة سكر، الأول من ديسمبر ١٩٣٤) ص ٢.

٣٢ - أحمد أمين، «لماذا تصدر المجلة»، مجلة «الثقافة»، العدد الأول (القاهرة، ٣ من يناير ١٩٣٩) ص ٢.

٣٣ - علي شلش، مرجع سابق، ص ٩٢.

٣٤ - طه حسين، «برنامج»، الكاتب المصري (القاهرة، دار الكاتب يونيو ١٩٧٨) ص ١٧٢.

٣٥ – عبد العزيز الدسوقي، تطور النقد العربي الحديث في مصر، سلسلة «المكتبة المصرية» (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٧) ص ٢٠١.

٣٦ – سهام عبد الرازق عشرى نصار، «صحافة اليهود الفرنسيين فى مصر»، رسالة دكتوراه: منشورة (جامعة القاهرة، كلية الإعلام: ١٩٨٦) ومن هذه المطبوعات اليهودية.

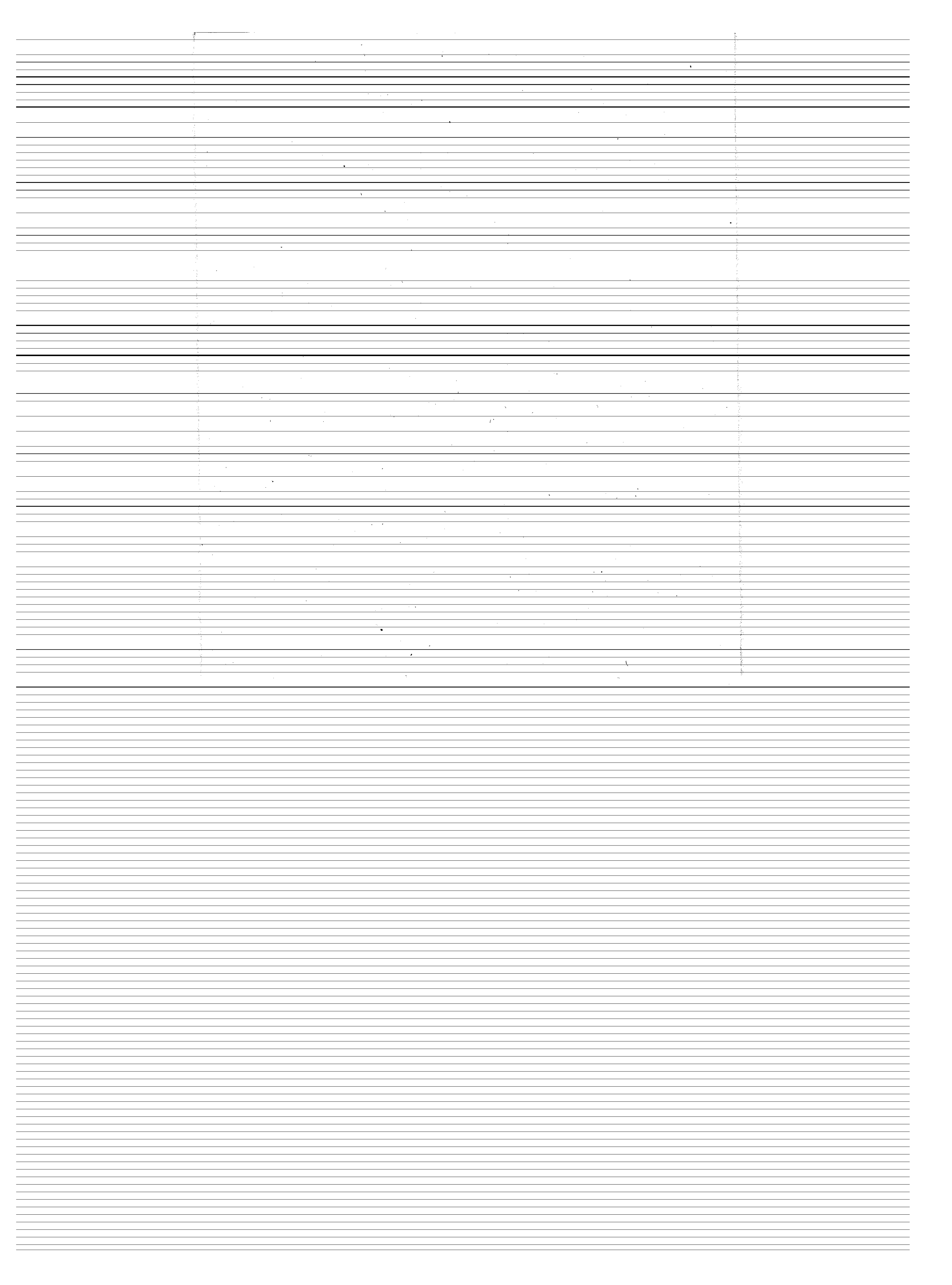
* لا تربيون جويف – وتعنى المنبر اليهودى – ١٩٣٦: ١٩٤٨م.
* هاتكفا – ومعناها الأمل – ١٩٣٦: ١٩٣٧م.
* كاديما – أى إلى الأمام – ١٩٣٥: ١٩٣٧م.
* مجلة تاريخ الإسرائيليين فى مصر ١٩٤٧م.
* لا فواجويف – وتعنى «الصوت اليهودى» – ١٩٣١م.

٣٧ – رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية المصرية، ط١ (القاهرة، دار الثقافة الجديدة: نوفمبر ١٩٧٦) ص ٢٠٥ : ٢٠٩.

٣٨ – على شلش، مرجع سابق، ص ٦٦.

٣٩ – الحقائق اليومية: أنباء منطقة القناة، د. مكان نشر، العدد ٣، فى ٢٧ من ديسمبر ١٩٥١.. وكانت هذه النشرات المتعددة مجهولة المصدر وتؤيد الاحتلال البريطانى لمصر!!

كما ظهرت نشرات متعددة لشبان وطنيين متحمسين لشجب الاحتلال والرد على بعض هذه النشرات السابقة؛ منها (المتمرد) لعبد العزيز الدسوقى؛ الذى جعل شعارها «صحيفة أسبوعية لسان حال المتمردين» وحدد هدفها فى «إقصاء الجيل القديم عن مواطن القيادة وبعث الروح فى الشبان».



(٥)
الأدب فى الصحافة المصرية
منذ ثورة يوليو حتى هزيمة ١٩٦٧م

«ليس فى وسع المعايير الأدبية وحدها أن
تحدد «عظمة» الأدب، وإن كان من الواجب
أن نتذكر أن المعايير الأدبية هى التى تحدد
إن كان ذلك أدباً أم لا»

* ت. س . إليوت*



استولى الجيش على السلطة فى مصر ؛ فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ ؛ فتغيرت صحافة البلاد وأغلب صحافييها بزاوية ١٨٠ درجة ، وكان التحول من تمجيد للأسرة العلوية (نسبة لمؤسسها محمد علي باشا) عبر الوسائل المتعددة من صحف ومجلات وراديو وكتب وندوات، إلى الإسراع بتقديم كشف فورى وعاجل لما جرّته هذه الأسرة على البلاد، فقد تغيرت نغمة " تكاتف الجهات الرسمية والمجتمعات الشعبية والصحف والأندية على تخليد ذكرى العاهل الجبار والعبقرى المصلح والجندى الشجاع والسياسى المحنك والحاكم العادل والمعلم الحكيم والقائد الموفق – محمد علي الكبير – الذى سخرته العناية الإلهية لهذا الوطن العزيز منقذاً وموطداً لدعائم المجد والعظمة ومشيداً لصروح العلم والحضارة فى وادى النيل» هذا الثناء الذى عبر عنه (نشيد الأسرة العلوية) لأحمد رامى، والذي يقول فيه[1] :

ياميلك العصـــر ياحليف النصر

عش لوادى النيل واقبـل حبـه

خالصا للعـرش موفور الـولاء

وامـض للعليـاء سبّاق الخطى

نحن من حـولك للتاج الفـداء

وتجليات الشاعر محمد الأسمر التي قالها في ملك البلاد[٢]:

بدر تم وحمـاه الفلك .. ساطع ينجاب عنه المـلك

يامليكى أنت فينا ملك .. عشت يامصر وعاش الملك

.. و « نشيد الفتح » لمحمد عبد الغنى حسن ..

فاروق جيشك تزدان الفتوح به .. سل الوقائع عن أبطاله وسل

أعز اللـه بالفـاروق أمتـه .. كما أعزّ به الإسلام فى الدول

من هذا المديح الزائد – فى عـدد واحـد من مـجلة – إلى التحول إلى النقيض تماما..

فقد تحولت الصحافة : بعد الثورة : إلى تأويل غير مستساغ نشرته قبل تغيير الحكم، هذا التأويل والتلبيس الذى يقول إن الصحف جميعها نادت وساهمت في إحداث ماحدث من تغيير.

طبعاً لا أحد ينكر أن هناك بعض الأعمال والرؤى لبعض المثقفين قد تطلعت بشكل أو بآخر إلى التغيير ؛ منها : «حديث

الأربعاء » لطه حسين و «ساعات بين الكتب» للعقاد، و «فى أوقات الفراغ» لهيكل، و «صندوق الدنيا» للمازنى، و «وحى القلم» للرافعي، وغير ذلك من كتابات لعائشة عبد الرحمن، وأحمد رشدى صالح، وخالد محمد خالد، ونعمان عاشور؛ وغيرهم وغيرهم ؛ وكان من الطبيعى أن يسارع هؤلاء إلى تأييد ماحدث، بل إن أحد هؤلاء المثقفين ؛ طه حسين ؛ كان أول من أطلق على هذا التغيير اسم : (ثورة) وذلك في مقال له فى مجلة «التحرير» بعنوان «روح الثورة» (٣) ليشيع هذا الاسم بدلا من «حركة الجيش» التى كانت متداولة وقتذاك.

ولكن إزاء التنقل وتغيير المواقف لبعض الصحف والصحفيين بشكل مفاجيء ؛ شهدت السنوات الأولى للثورة بعض مظاهر عدم الثقة فى الصحفيين وفى الصحف (٤) وفى الوقت الذى تم فيه فرض الرقابة على الصحافة بعد ساعات من قيام الثورة (فى الخامس والعشرين من يوليو ١٩٥٢) وتعطيل بعض الصحف والمجلات (فى الثامن عشر من يناير ١٩٥٣) ومناداة البعض (التابعى وهيكل) بتطهير الصحافة ؛ عملت الثورة على وجود الصوت الخاص بها، فأصدرت صحيفة (الجمهورية) فى السابع من ديسمبر ١٩٥٣م -عن «دار التحرير للطبع والنشر»

لتكون لسان حالها، وجندت لها طاقات بشرية ومادية، وأشرف الدكتور لويس عوض على صفحة الأدب بها فى الفترة من ١٩٥٣ – حتى انتقاله إلى صحيفة الأهرام عام ١٩٦١م – وجعل شعارها «الأدب فى سبيل الحياة».

وفى عام ١٩٥٤م بدأت أول معركة أدبية – فى العهد الجديد–حول الأدب وطبيعته، وكانت بين طه حسين والعقاد من جهة، ومحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس من جهة ثانية.

كان الفريق الأول يرى ضرورة أن يلتزم الأديب فى أدبه بالشكل فقط ، فالقصة والرواية هى القصة ذات البداية والعقدة والحل، والشعر له بحوره المعروفة، والمقال له مفهومه وطبيعته وأقسامه المحددة.

أما الفريق الثانى – محمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس – فوجهة نظرهم ضرورة الالتفات إلى « المضمون» والالتزام بقضايا المجتمع [٥].

وظهرت أقلام جديدة قدمت أدباً جديداً يعبر عن الواقع المصرى ، بدلا من الاقتباس أو الترجمة :

فى الشعر : عبدالرحمن الشرقاوى، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبدالمعطى حجازى، وغيرهم ممن تجاوزوا الأوزان

الشعرية ذات القافية الواحدة ووحدة البيت الشعرى.

وفى المسرح : نعمان عاشور، ويوسف إدريس، ولطفى الخولى، وسعد الدين وهبة.

وفى القصة : فتحى غانم، ومصطفى محمود، وصالح مرسى، وعبدالله الطوخي، وصبرى موسى.

أما فى النقد الأدبى فارتفعت أصوات: أحمد رشدى صالح، وعلى الراعى، والقط، ومندور، وغنيمي هلال، ولويس عوض، وعبدالعظيم أنيس، ومحمود أمين العالم، وأحمد عباس صالح، ورجاء النقاش، وغالى شكرى، هذا بجانب أقلام الرواد التى ظلت تكتب ولها مساحتها فى الحياة الثقافية ؛ وظل هؤلاء جميعهم ينشرون إبداعاتهم عن طريق الصحافة، وعرفوا طريقهم إلى القراء وعرفهم القراء عن طريق صفحات الأدب.

أدب جديد

بدأت الصحافة تبحث عن موضوعات جديدة تتناسب مع ما حدث من تغيير ملموس وشامل، وإذا كانت الصحافة المتخصصة قد فعلت ذلك بدافع المناقشة؛ فالصحافة العامة قد اتجهت بشكل واضح إلى الأقلام الفكرية والموضوعات الثقافية

الجادة، فمجلة (الاثنين والدنيا) تولى رئاسة تحريرها نسيم عمار؛ وبدأت تنشر مذكرات الزعيم محمد فريد وغيره من الزعماء الوطنيين، ومجلة (الإذاعة المصرية) تولى إدارتها عبد الحميد البطريق؛ وأصبحت بما تنشره علي صفحاتها لسان حال الثورة، ومجلة (الجيل) تولى تحريرها موسى صبرى؛ وبدأ التابعى ينشر فيها «فضائح الأسرة المالكة» بعد سقوط العرش؛ ومحمد حسنين هيكل لمع نجمه بشكل أكبر وتولى رئاسة تحرير مجلة (آخر ساعة).

وفي تلك الفترة حدث خلاف بين الصحافة والصحفيين أنفسهم حول قضية الديمقراطية، فطالبت بعض الصحف والمجلات - «المصرى» و «القاهرة» و «روز اليوسف» - بعودة الجيش إلى ثكناته، ومن جهة ثانية دافعت صحف أخرى -«الجمهورية» و «الأخبار» - عن الثورة ورجالها، وانعكس ذلك كله بطبيعة الحال على الأدب، وبخاصة بعد «أزمة مارس» واتخاذ إجراءات متعددة ضد بعض الصحف والصحفيين؛ وصلت هذه الإجراءات - بالنسبة لبعض الصحف إلى منعها من الصدور، وتم حسم المعركة لصالح الصحافة المؤيدة للثورة وأعضائها، ورفع كثير من الأدباء والكتاب راية الولاء التام للثورة

التى – كما قالوا – طال انتظارهم لها، وينقل يوسف السباعي أماني الكتاب والفنانين على صفحات (الرسالة الجديدة) – التى أصدرتها « دار التحرير» فى إبريل ١٩٥٤م كمجلة أدبية فنية؛ قائلا : (٦).

«كل ما أرجو من الرئيس جمال وهو يمد يده أن يضع فيها مليوناً من الجنيهات ومرسوماً بإنشاء مجلس الفنون والآداب أو مجلس للإنتاج الذهني على نمط مجلس الإنتاج المادى، يمكن له أن يهيىء لوطننا نهضة ثقافية روحية».

وبالفعل يتحقق حلم الأدباء؛ ويصدر مرسوم بإنشاء «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب» الذى تحول الآن إلى المجلس الأعلى للثقافة ، حتى تكون النهضة الفكرية موازية للتغيير الاجتماعي الذي أحدثته الثورة.

وتستمر الثورة فى سياسة إصدار صحف تعبر عنها؛ فتصدر صحيفة «الشعب» في الثالث من يونيو ١٩٥٦ ويرأس تحريرها صلاح سالم وحسين فهمي، وتستمر في الصدور حتى يتم دمجها مع صحيفة (الجمهورية) فى السادس والعشرين من سبتمبر تحت اسم (الجمهورية: جريدة الشعب) وبعد أيام من هذا الدمج تصدر دار التحرير – أيضا – صحيفة (المساء)

برياسة تحرير خالد محيي الدين: لتكون منبراً للاشتراكيين والتقدميين المصريين[٧] في السياسة وفي الثقافة وفي الأدب، وقد كانت هذه الجريدة صحيفة رأي وتوجيه أكثر من كونها صحيفة خبر، وبرزت على صفحاتها كتابات أنور عبد الملك عن «الثقافة الوطنية» وهي الكتابات التي صدرت بعد ذلك تحت عنوان (دراسات في الثقافة الوطنية) ويكتب يحيي حقي تحت عنوان (مع الناس) حيث استمر يطالع القراء على صفحات (المساء) يوم الاثنين من كل أسبوع في الفترة من ١٩٦٠م إلى ١٩٧٢م حتى بلغت مقالاته أكثر من ٦٥٠ مقالا [٨] وكان حتى وفاته يعتز بصحيفة (المساء) -رغم إمكاناتها المتواضعة - ويقول إنها «المنهل الذي يروي عطش الشباب المتعطش للغذاء الثقافي»[٩] وبخاصة في ملحقها الذي أشرف عليه الكاتب عبد الفتاح الجمل - يرحمه الله - وساهم في نشر أعمال كتاب جدد؛ وقتذاك ؛ برز منهم: يحيى الطاهر عبد الله، وجمال الغيطاني، والداخلي طه، ويوسف القعيد، ومحمد حافظ رجب، وعبد العال الحمامصي، ومحمد الخضري عبد الحميد، في القصة، والأبنودي وسيد حجاب في شعر العامية المصرية وأمل دنقل، وحسين عقل، وأحمد سويلم ، ومحمد أبو دومة وغيرهم في الشعر.

وعندما تطفو على السطح حملة انتقادية ضد توفيق الحكيم في محاولة من البعض للنيل من مكانته ؛ تتصدى الدولة عملياً للحملة مانحة الحكيم أرفع وسام [بعد قلادة النيل التي تمنح للملوك والرؤساء] وهو «قلادة الجمهورية» ؛ وينفعل الحكيم مسروراً من هذه اللفتة ، ويكتب قائلاً [١٠]:

«الحقيقة أنها لفتة عظيمة، إنها تشبه تأميم قناة السويس. لقد فاجأنا الرئيس عبد الناصر بهذا العمل الجليل. إنه الآن نقلنا إلى دنيا الحضارة».

ويستمر الحكيم قائلا :

«تعرف أن عبد الناصر رجل عظيم.. ولكن عظمته لها جوانب كثيرة.. أنا اعتقد أن هذا الوسام الذى أنعم به على الفنانين –وأنا في مقدمتهم – له معنى آخر لم يلتفت إليه أحد، كل الناس تصوروا أن عبد الناصر قد رد على المناوشات التى دارت حول حمارى، ولكنى أعتقد أن عبد الناصر بعبقريته اختارنى لأننى الأديب الوحيد الذى لم تكرمه العهود الماضية»

ويملأ جل الأدباء الصفحات للكتابة عن حلمهم الذى تحقق : التحرير والحرية.. وتصدر المجلات الثقافية تباعاً مفسحة

صدرها للجيل الجديد من الأدباء: بجانب الأقلام المعروفة والراسخة لدى القراء، فمجلة (المجلة) - يناير ١٩٥٧ - الشهرية «تختص بنشر الأبحاث ذات المستوى الرفيع التى لايمكن أن تستوعبها صحيفة سيارة أو مجلة خفيفة، وتعالج أبحاث الفنون والآداب عامة: دراسة أو نقداً: مع الاهتمام كذلك بنشر الإبداع الأدبى والفنى» ويتولى تحريرها: يحيى حقى - رئيسا للتحرير - والدكاترة: شكرى عياد، وفؤاد زكريا، وعبد الغفار مكاوى؛ بالإضافة إلى بدر الدين أبو غازى، وعادل ثابت، واحتفظت المجلة بطابعها الجاد، وحظيت باهتمام واحترام كبيرين لدى القراء والباحثين، وتركت أثراً طيباً لدى الوسط الثقافى لايزال صداه يتردد حتى اليوم.

وظهرت مجلة (الكاتب) الشهرية فى الأول من إبريل ١٩٦١م؛ لتكون «مجلة الثقافة الإنسانية» ويرأس تحريرها أحمد حمروش، وساهم فى الكتابة على صفحاتها: لويس عوض، وصلاح عبد الصبور، وأحمد بهاء الدين، وسهير القلماوى، ويحيى حقى، وشكرى عياد، ورمسيس يونان، وسعد الدين وهبة، ونعمان عاشور، ومندور، وغيرهم، وتم تصدير العدد الأول من المجلة بكلمة للرئيس عبد الناصر، جاء فيها: [١١]

«عقيدتي الثابتة هي أن العلم على اختلاف نواحيه هو الوسيلة الحقيقية لتطوير مجتمعنا، والواقع أنه بدون العلم تصبح كل الأحلام التي تجيش في صدورنا كسراب الصحراء وهماً لا وجود له».

ثم حددت المجلة هدفها قائلة:

« إن منابر الثقافة الجادة في لغتنا قليلة، وأقلها منابر الفنون والآداب الرفيعة.. ومن الأخطار التي تهدد ثقافتنا عزل الثقافة العامة عن الحياة باسم العلم للعلم والفن للفن والأدب للأدب.. والحل عندنا هو توكيد صلة الثقافة بالحياة»

ثم تغير شعار المجلة من «مجلة الثقافة الإنسانية » إلى «مجلة كل المثقفين العرب» لتصبح المجلة في مرحلتها الجديدة منبراً للفكر اليساري الذي امتد – في ذلك الوقت – إلى أغلب صفحات الصحافة المصرية، ورأس تحرير مجلة (الكاتب) أحمد عباس صالح، وضمت هيئة تحريرها: عبد العزيز الأهواني، ومحمد أنيس، وعبد الكريم أحمد، ومصطفى سويف، واهتمت في ذلك الوقت بالفكر السياسي – وليس الأدبي – في مصر وبخاصة قضايا الديمقراطية، واستمرت المجلة في خطها حتى تحولت – منذ نوفمبر ١٩٧٤م – بزاوية ١٨٠° لتصبح مجلة

أدبية صرفة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالسياسة أو مسالكها، ورأس تحريرها الشاعر صلاح عبد الصبور لتصبح مجلة أدبية محافظة لا علاقة لها بالجدول السياسى ولا تهتم إلا بالأدب فقط» (١٢)

وصدرت مجلة (القصة) ١٩٦٣، ورأس تحريرها الأديب محمود تيمور، وشارك فى الكتابة على صفحاتها أعلام القصة وقتها، ومالبثت بعد فترة أن بدأت تتأرجح بين الظهور والاحتجاب - وبخاصة في السنوات الأخيرة من عمرها وهروب أغلب الكتاب الجدد إلى منابر أيديولوجية - حتى قل تأثيرها فى الحياة الأدبية.

وعادت وزارة الثقافة والإرشاد القومى إلى إصدار مجلتى : (الثقافة) و (الرسالة) يوليو ١٩٦٣ - برئيسى تحريرهما القديمين، فقد تولى محمد فريد أبو حديد رئاسة تحرير مجلة (الثقافة)، أما (الرسالة) فتولى تحريرها أحمد حسن الزيات، ولكن رغم الفاعلية الملموسة للمجلتين فى المرحلة الإولى من إصدارهما إلا أن المرحلة الثانية لهما اختلفت بشكل كبير من حيث الانتشار والتأثير، ويذكر عباس خضر أحد المشاركين في (الرسالة) أن «الزيات» كان لايصلح فى ذلك الوقت إلا «للتقاعد

المريح» نظراً لشيخوخته وضعف بصره؛ حيث لم تعد له القدرة على القراءة[١٣]؛ والحال نفسة فى مجلة (الثقافة)؛ وأصبحت القضايا التى تثار على صفحات المجلتين ؛ أسبوعياً؛ عاجزة عن جذب جمهور قراء له حجم يذكر؛ على عكس ما أحدثته هاتان المجلتان عند صدورهما (يناير ١٩٣٣ للرسالة، ويناير ١٩٣٩ للثقافة) فى واقع سياسى وفكرى وثقافى مختلف.

تعبئة شاملة

في الوقت الذى كانت فيه مجلة (الرسالة) ترى أن «الأدب عطر النفس الزكية وشعاع الروح اللطيف، على أن هذه الملكة اللطيفة قد تنحرف باختلال العقل أو انحلال الخلق فتصبح فناً لا أدباً وهوىً لا عقلا وغريزة لا خلقا وصناعة لا طبيعة، وحينئذ تنزل إلى دنيا الواقع»[١٤] وتحاول المجلة إشاعة هذا الفهم المحافظ للأدب، فإنها فى الوقت نفسه تهاجم تيار التجديد فى عالم الإبداع؛ منحازة للعقاد ضد ما أسمته «الثقافة الضحلة والأمية الفاشية والتربية المهملة»، وضد «هذا البدع الذى يسميه أصحابه الشعر الجديد، لأنه ضرب من ضروب العبث وصور شائهة من منظر ولا مخبر» [١٥]

في ذلك الوقت كانت المعارك تحسم لصالح الجديد فى الأدب والتجديد فيه، حتى لو كان ذلك ضد العقاد نفسه صاحب الصولجان الفكرى وقتذاك، ولم يكن هذا موقف الصحافة المتخصصة فقط، بل شمل التيار التجديدى الصفحات الثقافية فى الصحافة العامة أيضا، وفي مقدمتها صحيفتا (الجمهورية) و (الأهرام) وبخاصة فى قضية الشعر التي تم طرحها بإلحاح وقتذاك، فقد أرسل العقاد برقية إلى السكرتير العام للمجلس الأعلى للفنون والآداب يقول فيها :

«أرجو اعتبارى مستقيلاً من لجنة الشعر وحذف كلمتى فى مهرجان الشعر بدمشق، إذا سمح لكل من صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى بإلقاء شعرهما في المهرجان أو الاحتفال بذكرى البحترى» وأضاف العقاد فى برقيته:

«ومعنى اختيارهما؛ مع مهاجمتهما الشخصية والأدبية لنا؛ ودعوتهما الملحة إلى هدم قواعد الشعر العربى، إنما نعتبره بحق إهمالاً لوجود لجنة الشعر وإشهاداً للعالم على إرغامها وتخطيها» ورشح العقاد – رئيس اللجنة – للمهرجان الشاعرات: نعمات أحمد فؤاد، وروحية القلينى، وشريفة فتحى.

لكن رئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب – يوسف السباعى

– أضاف الشاعرين صلاح عبد الصبور وحجازى إلى الوفد المصرى للمهرجان.

ووقفت الدكتورة بنت الشاطىء بجانب الشاعرين المجددين – عبد الصبور وحجازى – وأعلنت تحديها للعقاد على صفحات (الأهرام) ونشرت دفاع أصحاب التجديد؛ مع نماذج شعرية لهم تعضيداً لقضية الشعر الحديث [١٦].

وصدرت مجلة (الكاتب العربي) ١٩٦٤– ١٩٧١م شهرياً؛ لتعني أساساً بعرض الكتب ونقدها؛ على أن تقدم كل ثلاثة أشهر ببليوغرافيا تعنى بشؤون الكتاب والقراءة والمطبوعات وأهم الكتب الحديثة، ورأس تحريرها أحمد عيسى.

وتعددت المجلات المتخصصة؛ فصدرت مجلة (تراث الإنسانية) – فى عام ١٩٦٤م – لتتناول بالبحث والتحليل روائع الكتب التى كان لها تأثيرها في الحضارة الإنسانية، وأشرف على تحريرها: د. أحمد رياض تركى، وإبراهيم زكى خورشيد، وإبراهيم الإبيارى، ود. عبد الحليم منتصر، ود. زكى نجيب محمود، وعلي أدهم .. وتلتها مجلة (المسرح) في العام نفسه؛ عن مؤسسة فنون المسرح والموسيقى، ورأس تحريرها الدكتور رشاد رشدى منذ إنشائها فى العاشر من يناير ١٩٦٤م؛ حتى

انتقلت إلى مؤسسة النشر بوزارة الثقافة؛ ليرأس تحريرها: منذ العدد ٤٤ في يوليو ١٩٦٧- الدكتور عبد القادر القط، ويشارك في تحريرها: نعمان عاشور، وسعد الدين وهبة، وكرم مطاوع، ومرسى سعد الدين، وتهتم المجلة بنشر النصوص المسرحية، ثم تغير اسمها بعد ذلك ليصبح (المسرح والسينما) حتى توقفت عام ١٩٧٠م.

وتوالت المجلات المتخصصة : (الشعر) ١٩٦٤ - ١٩٦٥، و(الفنون الشعبية)، حتى بلغ عدد ماتصدره وزارة الثقافة من مجلات ثقافية عام ١٩٦٥ تسع مجلات؛ على النحو الذى يذكره لويس عوض فى الأرقام التالية :

- خمس مجلات للثقافة العامة: وهى:

المجلة/ الرسالة/ الثقافة/ الكتاب العربى/ الفكر المعاصر

-أربع مجلات متخصصة؛ هي:

الشعر/ القصة/ المسرح/ الفنون الشعبية.

وكانت هذه المجلات - باستثناء مجلة (المجلة) - لا تصل إلى جمهور كبير؛ حتى أن توزيعها انخفض بدرجة ملحوظة؛ وبخاصة (الكتاب العربى) و(الفكر العربى)، وذلك على النحو التالى:

اسم المجلة	الثقافة	المجلة	الرسالة	الكتاب العربى	الفكر المعاصر	الشعر	القصة	المسرح	الفنون الشعبية
عدد المطبوعات	٦٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠	٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٨٠٠٠	٠٠٠٠	٨٠٠٠	٢٠٠٠
عدد التوزيع	١٥٠٠	٣٩٠٠	٢٠٠٠	٨٩٠	١٢٠٠	٥٥٠٠	٥٥٠٠	٥٥٠٠	٠٠٠٠

بالإضافة إلى المجلات ذات التوجه السياسى المباشر التى كانت تصدرها الدولة؛ مثل (بناء الوطن)، والسلاسل المتعددة من الكتب التثقيفية العامة التى تعبر عن انتماءات وسياسة واتجاهات هذه الفترة، فالدار القومية للنشر - التابعة للثقافة والإرشاد القومى فى ذلك الوقت- كانت تصدر وحدها السلاسل التالية:

(١) كتب قومية. (٢) كتب جامعية. (٣) دراسات اشتراكية.
(٤) اخترنا لك. (٥) جوائز عالمية. (٦) من الشرق والغرب.
(٧) اخترنا للطالب. (٨) الكتاب الماسى. (٩) مذاهب وشخصيات.
(١٠) اخترنا للجندى. (١١) روايات عالمية. (١٢) رسائل جامعية.
(١٣) كتب ثقافية. (١٤) كتب سياسية. (١٥) مسرحيات عالمية،
(١٦) اخترنا للعامل والفلاح (١٧) المكتبة العربية.

حيث كانت هذه الإصدارات - كما جاء فى خطة العمل الثقافى وقتها - «تصدر فى ظل تعبئة شاملة موجهة نحو مواصلة النضال العربى فى كافة مجالاته» [١٩] ، ولكن اتجاه وزارة الثقافة إلى الكم وليس الكيف؛ وشعار «كتاب كل ٦ ساعات» جعل هذه المطبوعات فى أغلبها صارخة وزاعقة ولم تحقق أهدافها على النحو المأمول منها، ولذلك - فى مايو ١٩٦٥ - تم إغلاق مجلات (الثقافة) و (الرسالة) و (القصة) و (الشعر) و (الفنون الشعبية) ولم يتأثر المناخ الثقافي بذلك كثيرا، وظلت بقية المجلات التي تصدرها الوزارة تعاني - أيضا - من عدم الانتشار؛ حتى تساقطت واحدة وراء الأخرى، ولم يبق سوى مجلة يسارية ذات أيديولوجية واضحة هى (الكاتب) وقد عانت هى الأخرى من هزات عنيفة نتيجة التغيرات والتوجهات السياسية المتقلبة؛ بالإضافة إلى عدم انتظامها حتى تكرر صدور أعداد تحمل أرقام شهرين متتالين معا، وصدر عددها الأخير فى يونيو ١٩٨٠ معلنا انتهاء مرحلة ملموسة فى تاريخها.

ويبين الجدول التالى معدل توزيع مجلات وزارة الثقافة فى النصف الأول من عام ٦٩/ ١٩٧٠: [٢١]

اسم المجلة	الكاتب	المجلة	الفكر	المسرح المعاصر	السينما	الكتاب العربى	تراث الإنسانية
عدد المطبوع	٦٤٧٦	٤٢٩١	٥١٩٠	٦٢٠٤	٥٠٠٠	٢٢٩٠	٢٣٠٠
عدد التوزيع	٩١٧	٦٤٩	٩٠٨	١٥٥٥	١٦٣٥	٢٩٦	٥١٨

ويتضح من الأرقام السابقة التناقص الحاد فى توزيع هذه المجلات؛ وبالتالى ضآلة تأثيرها فى الساحة الثقافية فى البلاد، هذا فى الوقت الذى بقيت فيه بعض مجلات الرأى اليسارية (الطليعة) أكثر تأثيرا واستهواء للطبقات الفقيرة من المثقفين وطلاب الجامعة؛ منذ صدورها فى يناير ١٩٦٥م؛ ووضوح اتجاهها وهدفها وارتباطها بمجموعة من الكتاب اليساريين المدافعين عن آرائهم والثابتين عليها آنذاك، واتساع المد اليسارى فى ذلك الوقت رغم الضربات الحكومية الموجهة لهذا التيار من اعتقال وإيقاف صحف؛ وبخاصة موجة الاعتقالات فى الثامن والعشرين من مارس ١٩٥٩م التى شملت كتابا وصحفيين وأساتذة جامعات؛ ثم مصالحة النظام للاتجاه اليسارى بشكل عام إثر إلغاء الأحكام العرفية فى مارس ١٩٦٤م وإطلاق سراحهم من السجون، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أفكارهم،

وتولى بعضهم مواقع قيادية فى أجهزة الإعلام، وظلت مجلة (الطليعة) ذات تأثير ملموس فى أوساط المثقفين حتى تحولت – بعد تولي يوسف السباعي رئاسة مجلس إدارة (الأهرام) وقتها – إلى مجلة نوعية باسم (الشباب وعلوم المستقبل) لا دخل لها من قريب أو بعيد بالرأى ولا بالسياسة.

وظل الحال هكذا فترة طويلة: حشد معنوى كبير يطالب بالقضاء على الفساد فى البلاد وسحق إسرائيل، وقيام الوحدة العربية، وشمل الحشد كل شيء: الشعار والأغنية والكتاب، وكان الأدب – وبخاصة أدب الجيل الجديد – فى أغلبه معبراً عن هذا الاتجاه دون الارتباط به، ولكن.. فجأة: خيم الظلام وتبادل المثقفون نظرات فزع حائرة.

فقد بدأت وسائل الإعلام تغير نغمتها من الحديث عن اليد الطولى والوحدة والعروبة وإغلاق خليج العقبة أمام إسرائيل، لتصدم هذه الوسائل جمهورها بحديث يائس عن انسحاب الجيش المصرى من سيناء، ووقوع ماسمى بـ (النكسة).. وهنا فقط دخل المثقفون مرحلة أنتجت ماعرف بـ «الأدب الأسود» أو «أدب النكسة» وكانت مرارات الأدباء والمثقفين فى جوهرها إرهاصات لمرحلة جديدة فى تاريخ الصحافة والأدب على السواء.

الهوامش

١ - مجلة «الإذاعة المصرية»، العدد ٧٦٧، فى ٥ من نوفمبر ١٩٤٩م.

٢ - المرجع السابق، ص٢:ص٨.

٣ - سامح كريم، «وثيقة مجهولة عمرها ٣٤ عاما»، الأهرام، ١٩٨٦/١١/٧م.

٤ - ليلى عبد المجيد، تطور الصحافة المصرية، (القاهرة، العربى للنشر والتوزيع: ١٩٨٨)ص ١٠.

٥ - لويس عوض، الثقافة والثورة، سلسلة الكتاب الذهبى (القاهرة، روز اليوسف: يوليو ١٩٧١م) ص١٣٩.

٦ - الرسالة الجديدة، العدد الأول، ابريل ١٩٥٤م، ص ٢.

و : مجلة (نادى القصة)، نوفمبر ١٩٧١، ص٢.

٧ - ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص٢٤.

٨ - عز الدين المخزومى، «يحيى حقى ناقداً»، ماجستير : غير منشورة (القاهرة، كلية الآداب: ١٩٨٠م).

٩ - مرعى مدكور، «٧ وجوه جديدة ليحيى حقى»، صحيفة (الأخبار)، ١٩٧٧/٥/١١م، ص ٩.

١٠ - توفيق الحكيم، «صورة لتوفيق الحكيم: بقلم توفيق الحكيم»، مجلة (الجيل)، العدد ٣٦٣ فى ١٩٥٨/٢/٨م. ص ٣٩، ٤٠.

* يذكر لويس عوض انه صاحب فكرة شعار «مجلة الثقافة الانسانية»، وأنه أشرف على العددين: ١، ٢. انظر :

- لويس عوض، الحرية ونقد الحرية، مرجع سابق، ص ١٧٧.

١١- مجلة (الكاتب)، العدد الأول، الأول من أبريل ١٩٦١م.

١٢ - مجلة (الكاتب)، نوفمبر ١٩٧٤م .

١٣ - عباس خضر، خطىً مشيناها، سلسلة اقرأ، ٤٢٢ (القاهرة، دار المعارف: ١٩٧٧)ص ٢٧٤.

١٤ - أحمد حسن الزيات، «الأدب الحرام»، مجلة «الرسالة»، العدد ١١١، ٢٩ من ابريل ١٩٦٥، ص٢

١٥ - العدد السابق، ص ١٨.

١٦ - الأهرام، ملحق الجمعة، ٢٠/١٠/١٩٦١.

١٧ - لويس عوض، الثورة والأدب، مرجع سابق، ص١٩٨.

١٨ - خطة العمل الثقافي لعام ١٩٦٧/١٩٦٨، وزارة الثقافة، ص ١٤٧.

١٩ - المصدر السابق، ص ١٤٧.

٢٠ - مجلة (الكاتب)، العددان: ٢٢٧، ٢٢٨، في يونيو ١٩٨٠، وصدر هذا العدد المزدوج في مارس/ ابريل من العام نفسه.

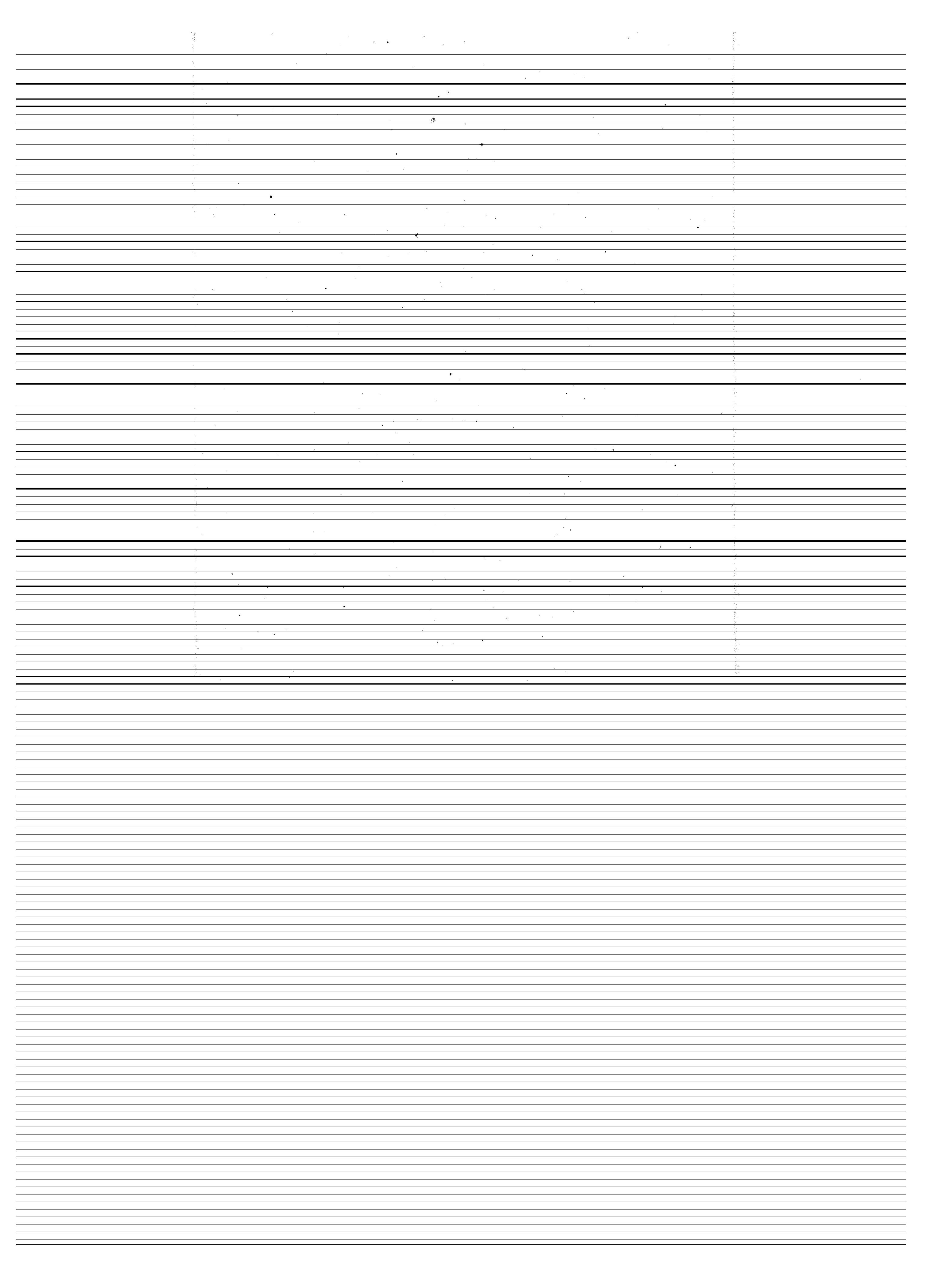
٢١ - محمود نجيب ابو الليل، الثقافة والثورة في مصر خلال عام ١٩٧٠، ط١ (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧١) ص ٢١٧.

(٦)

الأدب في الصحافة المصرية
منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧م
حتى نصر أكتوبر ١٩٧٣م

الحل الوحيد منوط بتكوين الفرد الحامل لرسالته فى التاريخ، فقد صار مؤكداً أن التركة الكبرى التى ورثنا عنها جيلاً من «المتعالمين» وورثنا عنها التنافس على المقاعد الأولى، لا يمكن أن نضع لها حداً إلا بتجديد الثقافة.

* مالك بن نبى *



لم يفرح المصريون فرحاً نابعاً من القلب مثلما فرحوا بالبيانات التى هللت عبر وسائل إعلامنا؛ منذ الخامس من يونيو ١٩٦٧م؛ عن أعداد الطائرات التى أسقطها جيشنا الباسل للعدو الإسرائيلى والتى تبشر بقرب جيوشنا من دخول تل أبيب.

وفجأة: أعلن عبد الناصر – فى التاسع من يونيو ١٩٦٧ – أننا أصبنا بـ(نكسة) كما أعلن عن تنحيه عن رئاسة الجمهورية، واختياره زكريا محيى الدين – نائب الرئيس وقتها – ليخلفه فى الرئاسة؛ لأن «أمريكا التى تقصد عبد الناصر بالهزيمة من الممكن أن تفتح باب الاتصال مع زكريا محيى الدين»(١)..!!!

وإثر خطاب التنحى؛ امتلأت شوارع القاهرة بطوفان من ناسها يطالبون زعيمهم عبد الناصر بالبقاء رمزاً للصمود واستمراراً للنضال، وقرر مجلس الأمة المصرى – إزاء الإجماع الشعبى – فى صباح العاشر من يونيو ٦٧ «تفويض جمال عبد الناصر فى إعادة البناء العسكرى والسياسى تفويضا كاملا

والبقاء على رأس جهاز الحكم في مصر»[٢].. ونادى شراح المواقف بمسميات للهزة العنيفة التى حدثت:

البعض قالوا إنها : (نكسة).

وهناك من قالوا : (وقفة مع النفس).

وآخرون قالوا : (عودة إلى الله).

لكن المصيبة كانت فادحة، والجراح كبيرة وعصية على الاندمال، ولأول مرة يتساءل الجميع – على اختلاف اتجاهاتهم – هذه التساؤلات وغيرها:

– ماذا حدث؟ وكيف؟ ولماذا؟ وأين نحن؟!!

وللمرة الأولى – أيضاً – تثار انتقادات معلنة وغير معلنة للمؤسسات السياسية كافة: سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ويكون القهر شديداً على النفس؛ وبخاصة على طلبة الجامعة الذين شربوا شعارات الثورة وسرت في عروقهم.. ويتظاهر الطلاب، وتتم محاكمة بعض قادة الطيران المصرى، وتشتد مظاهرات الطلاب كرد فعل للأحكام البسيطة التى صدرت ضد قادة الطيران وقت الهزيمة؛ هذه الأحكام التى لا تتناسب مع هزيمة أمة، وتشتد المظاهرات في عام ١٩٦٨ مطالبة بمحاكمة المسؤولين عن الهزيمة وعن الإعلام المضلل الذى أوصلنا – كلاماً

وشعارات – إلى أبواب «تل أبيب» بينما نحن فوق أرضنا نتلقى الهزيمة!!.

وأصدر عبد الناصر (بيان ٣٠ مارس) واعداً بضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والصحافة وبمزيد من الديمقراطية، وكانت نتيجة الاستفتاء على البيان نعم للديمقراطية.

أدب متمرد :

فى الوقت الذى حاولت فيه الحكومة امتصاص غضب الشارع المصرى وانفعالاته، وتغطية نفسها إثر تمزقها الداخلى – أيضاً – وحوادث الانتحار * والاستقالات، كان المثقفون والأدباء يعيشون إحباطا عنيفا وهزيمة داخلية كاسرة؛ خاصة الأدباء الشبان الذين عاشوا نبض الثورة وأحلامها: ابتداءً من القوانين والتغيرات الاجتماعية؛ مروراً بالمدرسة والكتاب؛ وصولاً إلى الشارع المصرى وفرحته الطاغية:

«يا استعمار بنيناه بإيدينا السد العالى»

و«صورة للشعب الفرحان تحت الراية المنصورة»

و«طوف وشوف».

فقد بدأت إثر الهزيمة؛ غير المتوقعة؛ نغمة رافضة تسود أوساط المثقفين: أشعار ناقدة تتناول نواب الأمة؛ وبخاصة بعد واقعة «رقص» أحدهم فى البرلمان؛ إثر قبول عبد الناصر العدول عن التنحى!!:

ها هم كما تهوى فحَركهم دُمى ..لا يفتحون بغير ما يتهوى فما
إنا لنعلم أنهـم قـدُ جمِّعــوا ..ليصفقوا إن شئت أن تتكلما(٣)

وأشعار رافضة؛ أغلبها - أيضاً - غير مسموح بنشره، وقصص سوداء، وأخرى تهرب إلى التاريخ، وتأنيب مستمر للذات.

وهذا الإنتاج الإبداعى كله يعكس المناخ السياسى السائد فى مصر وقتذاك، ويوضح مدى حرية الكاتب وموقعه فى هذه البيئة، واشتدت موجة الأدب الرمزى، بل إن المناخ السياسى السائد قد انعكس على الأدب بشكل مباشر، واستقطبت هذه الدوائر عدداً كبيراً من الأدباء على مختلف المستويات، ولم يسلم منها حتى كبار الأدباء مثل نجيب محفوظ الذى كتب فى هذه الفترة (تحت المظلة)، وانتشر - أيضاً - أدب العودة إلى الماضى واختيار تجارب منه تنعكس على الحاضر وتفسره؛ مثلما فعل جمال الغيطانى منذ مجموعته القصصية الأولى (أوراق شاب عاش

منذ ألف عام)..

وبشكل عام ساد الساحة الأدبية ما أطلق عليه (الأدب الأسود) أو (أدب النكسة) أو (أدب الهزيمة)، وكان الملحق الأدبى فى صحيفة (المساء) معضداً لهذا التجريب ومسانداً له.

وإزاء التضييق وأحادية الاتجاه فى أغلب الدوريات الرسمية؛ تمرد الأدباء الشبان على الصحافة الرسمية وأصدروا مطبوعاتهم الخاصة بهم، هذه المطبوعات التى أظهرت كتابات ما عرف بـ (جيل الستينات) هذا الجيل الذى ظهر من أدبائه: جمال الغيطانى، وبهاء طاهر ويحيى الطاهر عبد الله، وعبد الحكيم قاسم، وأحمد هاشم الشريف، وحسن محسب، ومحمد حافظ رجب، وحمدى الكنيسى، وغيرهم.. ومن هذه المطبوعات المهمة لهذا الجيل: مجلة (جاليرى ٦٨) التى قدمت أدباً جديداً وعدداً من أسماء غير معروفة لكنها لفتت الأنظار إليها فيما بعد، وأصبحت من أعمدة الفن القصصى فى مصر الآن.

وارتفعت صيحة هذا الأدب وهؤلاء الأدباء فى مؤتمر تمهيدى بمحافظات مصر فى الفترة من الخامس حتى الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٩م، والذى انبثق عنه «المؤتمر الأول للأدباء الشبان» الذى انعقد فى مدينة الزقازيق فى الرابع من ديسمبر ١٩٦٩م؛

وكان أول حشد يعلن عن أصوات جديدة فى الإبداع فى مصر بشكل عام.

فقد اشترك فى المؤتمر التمهيدى بالمحافظات ١٥٠٠ كاتب شاب قدموا ١١٥٠ عملاً أدبياً منها ٧٥٠ قصة قصيرة، وفى المؤتمر العام تم اختيار نجيب محفوظ أميناً عاماً، ود. على الراعى أميناً مساعداً، وأحمد عباس صالح مقرراً للجنة الفنية، ويوسف إدريس مقرراً للجنة القصة القصيرة (لم يحضر وتولى اللجنة إبراهيم فتحى)، وفاروق خورشيد للجنة الرواية، والفريد فرج للجنة المسرح، ورشدى صالح للأدب الشعبى والشعر العامى، وصلاح عبد الصبور للشعر، ويوسف الحطّاب لبرامج الراديو، وعباس أحمد لبرامج التليفزيون. ود. عبد الغفار مكاوى للأبحاث والصياغة.

وتم انتخاب مجموعة من أدباء الأقاليم لتمثيل محافظاتهم فى المؤتمر؛ وهم:

أحمد محمد عبد القادر (قنا)/ إبراهيم فتحى (القاهرة)

/ عنتر مخيمر (الشرقية)/ محمد كمال هاشم (البحر الأحمر)

/ محمد حافظ رجب (الاسكندرية)/ سيد جاد (أسوان)

/ فؤاد حجازى (الدقهلية)/ محمد أبو العال السلامونى (دمياط)

/محمد جلال (بنى سويف)/ محمد الخضرى عبد الحميد (المنيا)
/محمد عفيفى مطر (كفر الشيخ)/ محمود عبد اللطيف
(القليوبية)
/ حسن محسب (الجيزة)/ نبيل قاسم (الفيوم)
/ حمدى الكنيسى (الغربية) / أحمد بيومى (المنوفية)
/ مصطفى بهجت (أسيوط)/ فكرى الليثى (الوادى الجديد)
/ كامل عيد (السويس) / إبراهيم عطية (البحيرة)
/ فاروق حسنى (سوهاج).

واستمر المؤتمر خمسة أيام، ناقش خلالها معوقات التعبير الأدبى والفنى وإسهامات الأدب فى المعركة وفى بناء المجتمع الاشتراكى. ورغم الحشد الكبير من الأدباء؛ إلا أن هذا التجمع قد وقع فى هوة الصمت والتجاهل المقصود من وسائل الإعلام، ولكن كصدى لهذا الملتقى الأول من نوعه للأدباء الشبان فى مصر؛ صدرت مجلة (سنابل) فى محافظة كفر الشيخ فى الوجه البحرى، بهدف أن تصبح «مجلة ثقافية ذات مستوى يهدى ويعلم ويقود»[٤] ورغم صدورها من محافظة إقليمية؛ إلا أن تأثيرها امتد ليشمل حركة الأدباء الشبان فى مصر، وأفردت المجلة صفحاتها للفنون والآداب فى ثوب صحفى جذاب يبعد كل البعد

عن القوالب التقليدية للمجلات المتخصصة التي لا تختلف في شكلها عن الكتاب، وحظت المجلة بتقدير كبير من المثقفين، فها هو الشاعر/ الممثل/ الرسام صلاح جاهين؛ ينشر على صفحاتها تحية يقول فيها:(٥)

«أحييكم من القاهرة وأهنئكم بتحفتكم الأدبية التى تشرق كالشمس الوليدة فى الصباح السعيد»

ويكتب فتحى سلامة راصداً كشف حساب المجلة قائلا:(٦)

«نجحت محافظة كفر الشيخ فى إصدار مجلة ثقافية، لا على المستوى المحلى فحسب، بل على المستوى القومى أيضاً، مما كان له التأثير فى التصعيد العربى كله، فى مجالات البحث الأدبى والتصدى لمنافسة سيل المجلات الأدبية والفكرية الواردة من بيروت». ورغم ذلك توقفت المجلة؛ بعد صدور العدد الثامن والعشرين في مارس ١٩٧٢م؛ بعد أن أفرزت أسماء جديدة فى القصة، وفى الشعر، وفى الفن التشكيلى، والمقال الأدبى.

لزوم ما لا يلزم

فوجئ قراء (الأهرام ذات صباح بمسرحية تنشرها الصحيفة في ثلاثة مشاهد، بعنوان (لزوم مالايلزم)(٧) عبارة عن حوار من

كلمة واحدة فى المشهد الأول، ثم من كلمتين فى المشهد الثانى، وتتكرر الحيلة الفنية فى حوار من ثلاث كلمات فى المشهد الثالث؛ على النحو التالى:

(١) المشهد الأول * ما اسمك؟

-إسماعيل

(٢) المشهد الثانى * إسمك إيه..؟

اسمى إسماعيل..

(٣) المهشد الثالث * اسمك؛ إيه.. أخى ؟

أنا اسمى إسماعيل..

والتجربة موقعة بـ (ق. م) وقدمتها (الأهرام) على أنها «تجربة فنية صاحبها كاتب شاب»، وفى الأسبوع التالى من «أهرام الجمعة» [٨] نشرت الصحيفة رسالة موقعة أيضاً بـ (ق. م) قالت إنها لكاتب شاب؛ تغمز إلى أن «طه حسين أخذها من قصيرها وسكت» !! وفى الصفحة نفسها نشرت الصحيفة رسالة كتبها توفيق الحكيم، يرد فيها على الرسالة الأولى المنفعلة والغاضبة.

ثم تكون المفاجأة: أن الرسالة مجهولة الاسم التى ذيلها صاحبها ب (ق. م) والمسرحية المنشورة بعنوان (لزوم ما لايلزم)

لتوفيق الحكيم نفسه!!

وحدثت ضجة وقتها، قال بعض الأدباء الشبان إن «الحكيم» يهزل، وقال آخرون إنه يداعب، وأجمع كثيرون على أنه يحاول دائما البقاء حيث الصوت المسموع وأن «الأهرام الأدبى يهدف إلى التشهير بالأقلام الجديدة، وأنه يبرر موقفه الذى صمد عليه، بتقديمه تجربة صبيانية تحت اسم (كاتب شاب) للتبرير على سلامة موقفه من الشباب» (٩) فى حين أن التجربة نفسها لأحد أعمدة (الأهرام)!!.

فى ذلك الوقت كانت مصر تفتح ذراعيها للأدباء والفنانين العرب: محمود درويش ومعين بسيسو من فلسطين المحتلة، ومحمد الفيتورى من السودان، وعبد الوهاب البياتى من العراق، وغيرهم، وغيرهم.. وشارك هؤلاء فى الحياة الثقافية فى مصر فى تلك الفترة، فمحمود درويش عرفته منتديات الأدب وقدمه التليفزيون المصرى، وشارك درويش فى الإشراف على الملحق الأدبى لمجلة (الطليعة)، وعرض المسرح القومى لمعين بسيسو مسرحية (ثورة الزنج) عام ١٩٧٠م.

ونشطت قصور الثقافة فى أنحاء البلاد، وأصدرت الجمعية المركزية لرواد قصور وبيوت الثقافة مجلة (الثقافة الجديدة) فى

أبريل ١٩٧٠م؛ لتكون «نافذة لمواهب الأدب فى أقاليم مصر» وحفل العدد بالمسابقات وبالأسماء الجديدة فى الشعر والقصة والفنون التشكيلية، واختفت المجلة بعد هذا العدد اليتيم!!.

ومات عبد الناصر

وتولى رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت نائبه أنور السادات؛ الذى أعلن أنه شريك عبد الناصر فى المسئولية، وأنه سيسير على خطاه.

وكثر الحديث عن «عام الحسم» و«الحرية»، وطرحت تساؤلات عن منع بعض الصحفيين من الكتابة!!.

ويخيم فراغ ثقافى على الحياة الفكرية فى مصر؛ رغم صدور مجلة هنا ومجلة هناك (الرسالة الجديدة) فى ربيع الأول ١٩٧١م – كمجلة فصلية – يرأس تحريرها يوسف السباعى؛ واختفت المجلة – أيضاً – بعد عددها الأول، ثم صدرت مجلة (الجديد) فى الأول من فبراير ١٩٧٢ عن وزارة الثقافة والإعلام كدورية نصف شهرية برئاسة تحرير الدكتور رشاد رشدى وقدمها د.عبد القادر حاتم – نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام فى ذلك الوقت – للقراء على أنها: «ستسد فراغاً أكيداً فى

حياتنا الثقافية والفكرية» وكتب فى أعدادها الأولى كبار الكتاب على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية، وشملت صفحاتها الفنون الأدبية والصحفية، لكن سرعان ما هبط مستواها بشكل واضح وقل تأثيرها بشكل كبير فى المحيط الأدبى حتى انعدم تماماً؛ وأصبحت ملتقى رسائل طلبة المدارس ورسائل الإشادة بالدكتور رشاد رشدى.

وتحولت الاتجاهات الرسمية شيئا فشيئا إلى التخلى عن شعارات واتجاهات هللت لها كثيرا: «اشتراكية» و«حياد إيجابى» و «وحدة عربية».. ومظاهرات متعددة تنادى بالحسم.

والرئيس السادات يصدر قراره بإخراج الخبراء السوفييت من مصر، ويبدأ تنفيذ القرار فى السابع عشر من يوليو ١٩٧٢، ويتم تنفيذ القرار فى عشرة أيام فقط؛ وسط دهشة العالم كله.

وإسرائيل تناور وتضغط، وأمريكا تطلب من مصر تنازلات أهمها: نزع سلاح سيناء والإعتراف بإسرائيل.

ويطول الكلام ويتكرر، والشعب كله يريد الحسم: حرب أو لا حرب، ومظاهرات متعددة، مناقشات، واجتماعات فى نقابة الصحفيين - وأغلب النقابات الأخرى - وبيانات تطالب بحرية الصحافة وحماية الصحافة الجامعية.

ويشتد الضغط، ويتحرك الأدباء والصحفيون، ويوقع مائتان من أهل الرأى بياناً يطالبون فيه القيادة السياسية بإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب؛ ويؤكد البيان: «أن المستقبل كئيب، وأن حجة المعركة تعلق عليها كل الأخطاء» (١٠).

وأثار البيان غضب الرئيس؛ الذى تحدث مع الصحفيين عن هؤلاء الذين يثيرون الأقاويل حول مصر فى الخارج، وتم اتخاذ إجراءات متعددة ضد عدد كبير من الكتاب والأدباء منها: الفصل من عضوية الاتحاد الاشتراكى؛ وبالتالى عدم ممارسة العمل الصحفى والنشر؛ وتجميد بعض أصحاب الرأى - غير الحكومى - داخل مؤسساتهم الصحفية دون عمل.

وفى الجانب الآخر كانت هناك صحف ومجلات غائبة تماما عن مجريات الأمور فى البلاد، فمجلة (الهلال) - العريقة - تخصص فى ذلك الوقت العصيب أعدادها لقضايا مستهلكة لا تستقطب أحداً، فها هى - الهلال - قبل حرب أكتوبر مباشرة تخصص عدداً عن (أصحاب الأساليب فى الأدب العربى) -سبتمبر ١٩٧٣ - بعد أن غرقت فى البحث عن (المدينة الفاضلة) فى عدد خاص أيضاً؛ قدمه رئيس التحرير قائلا:

«أتصور أن يكون الموقع الذى أختاره للعاصمة العربية

المثالية دويلة مستقلة، وأرضاً حراماً غير خاضعة للسلطات المصرية أو الليبية الإقليمية، وأن تقوم فيها مدينة العلماء التى يحلم بها الرئيس معمر القذافى، وأن يكون رئيسها أو عمدتها فيلسوفا بعيداً عن السياسة كتوفيق الحكيم»[١١].

وإزاء هذه التغييب عن الواقع: تزداد الفجوة بين شباب الأدباء بحماسهم وفوراتهم من جهة وبين هذه اللامبالاة من جهة أخرى: وبخاصة أن أجهزة الثقافة لم تستطع فتح حوار مقنع مع الشباب والمثقفين، بل إن الصراع قد اشتد بين المثقفين أنفسهم حول مهمة الأدب وجدوى أجهزة الثقافة، ولم يتم حسم الصراع لصالح جهة معينة أو وجهة نظر محددة. وفجأة: كان البيان الأول لعبور الجيش المصرى إلى سيناء ليوقظ الشعب كله من مهاوى يأس الهزيمة.

الهوامش

١ – موسى صبرى، وثائق ١٥ مايو، كتاب اليوم، عدد ١٢٤، ط٤ (القاهرة، مؤسسة أخبار اليوم: ١٩٧٧) ص ٣٠.

٢ – المرجع السابق، ص ٢٣.

* نشرت الصحافة فى ١٤/ ٩/ ٦٧ خبراً عن انتحار المشير عامر بتناول مادة «السيانور» أو «الأكونتين» ولا يزال الموضوع – رغم الكتب المتعددة يحتاج كشف حقائقه وملابساته ودوافعه، ارجع إلى بعض جوانب الموضوع فى:

: موسى صبرى، مرجع سابق، ص ٢٧٣ وما بعدها، بعنوان «تقرير النائب العام فى حادث وفاة المشير» ثم مذكرات زوجة المشير برلنتى عبد الحميد التى تؤكد قتل عبد الحكيم عامر وليس انتحاره.

٣ – هاشم الرفاعى، ديوان هاشم الرفاعى، جمع وتحقيق: محمد حسن بريغش، ط٢ (الأردن، مكتبة المنار : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥) ص ٤١٨.

٤ – مجلة سنابل، العدد الأول، مطابع دار الهلال، ديسمبر ١٩٦٩.

٥ – سنابل، العدد الثالث، فبراير ١٩٧٠م.

٦ – سنابل، العدد ٢٦، يناير ١٩٧٢.

٧ – الأهرام، ٢٣/١/ ١٩٧٠.

٨ – الأهرام، ٣٠/ ١/ ١٩٧٠م.

٩ – مجلة (نادى القصة) أبريل ١٩٧٠. ص ٢٧.

و : مجلة (الهلال) أغسطس ١٩٧٠م.

١٠ – موسى صبرى، وثائق حرب أكتوبر (القاهرة، المكتب المصرى الحديث: ١٩٧٤) ويذكر أن «الحكيم» قد طلب مقابلة السادات فى يوليو ١٩٧٤، وقدم إليه بيانه – وقعه الذين وقعوا البيان الأول – أكدوا فيه خطأ تقديرهم، وثقتهم الكاملة فى قيادته.

١١ - مجلة (الهلال)، فبراير ١٩٧٣، ومن المحطات الأدبية المهمة فى تلك المرحلة مجلة (الزهور) التى أصدرها يوسف السباعى - رئيس مجلس إدارة دار الهلال - وصدر عددها الأول فى يناير ١٩٧٣ - لتكون ملحقاً شهرياً لمجلة (الهلال) وقال فى تقديمه لها إنها «من أجل شبابنا المتعطش إلى قراءة الكلمة الجادة المخلصة»، ورأس تحريرها الشاعر صالح جودت، واهتمت بأدب الشباب، واستمرت حتى توقفت فى سبتمر ١٩٧٦.

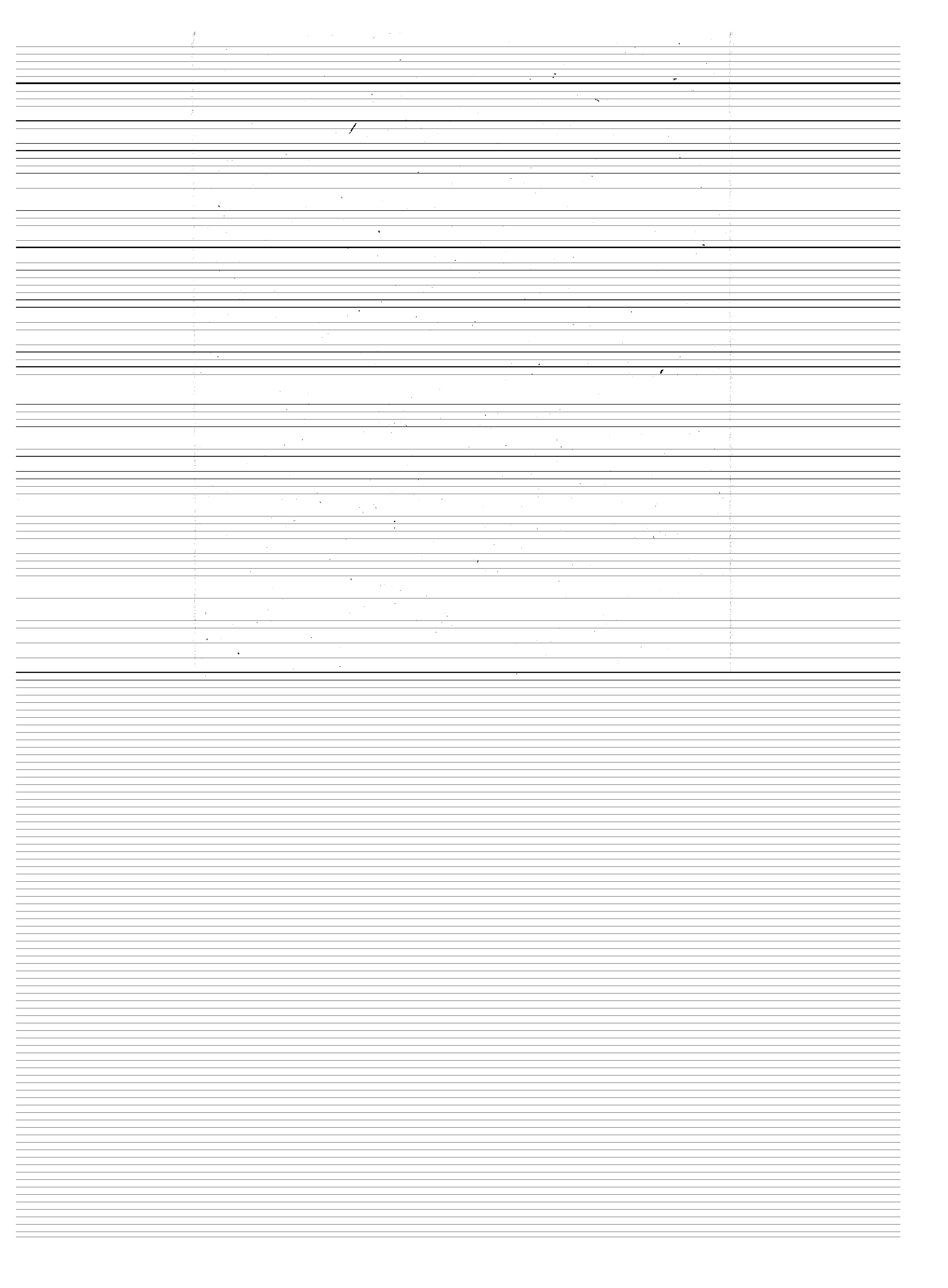
(٧)

ملامح الأدب فى الصحافة المصرية
منذ نصر (رمضان) أكتوبر ١٩٧٣م

إن مـواقف أهل الرأى التى يجب أن تُعلن
هى التى تكون أثناء الأحداث وفى صميمها
- إذا استطاعوا - وليس بعدها.

*** توفيق الحكيم ***

(عودة الوعى)



فى تمام الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣م انطلقت الحناجر هاتفة: الله أكبر، وانفتحت فى الوقت ذاته نيران جهنم الحمراء على طول قناة السويس تصب حممها تجاه الشرق، واختلطت دماء المصريين بالرمال لتصنع نصر العبور المجيد على الصلف الإسرائيلى البغيض.

وفى اللحظة التى رفرفت فيها الأعلام المصرية؛ شامخة؛ فوق سيناء على طول الجبهة المصرية، كان الأدباء يعانون الانقسام واليأس والتغرب والغربة فى الخارج وفى الداخل أيضاً، وكانت أقصى درجات الإشراق فى إبداعاتهم اجترار ومضات مشرقة فى تاريخنا العريق.

لكن المعركة التى أريقت فيها دماء غالية؛ أعادت الثقة إلى الإنسان العربى نفسه؛ ليرتفع فوق محاولات تدميره وتفتيت تماسكه وارتباطه بعقيدته وتراثه وأرضه.

وتغير إيقاع الحياة فى مصر كلها، وشمل هذا التغير الأدباء

أيضاً؛ إذ وجدوا أنفسهم يجتمعون فى دار الأدباء مساء الثالث عشر من أكتوبر ١٩٧٣، حيث تقرر «إنشاء أمانة مقيمة من أعضاء مجلس جمعية الأدباء لاستقبال أهل الفكر وتلقى مقترحاتهم لخدمة المعركة، ومخاطبة كتاب العالم ومثقفيه للدعوة لقضيتنا العادلة، وتقديم قصائد شعرية على مسارح الهيئة العامة للمسرح، وتنظيم البرامج الأدبية للمعركة» (١) وقرر الأدباء إصدار نشرة أسبوعية ثقافية باسم (التجرير) صدر عددها الأول فى السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣* وسجل الأدباء انطباعاتهم – على صفحاتها – بشأن المعركة. وتحولت أغلب صفحات الصحافة إلى قصص وأشعار وخواطر حماسية عن الحرب، ونشر أحد شباب الأدباء من الضباط المهندسين تجربته مع الحرب؛ فى رواية صدرت بعد ثمانية أيام فقط من بدء المعركة (٢)!!

وعمت الفرحة مصر كلها، وعادت الثقة فى كل شىء، وأعاد الرئيس السادات أهل الرأي المبعدين عن صحفهم إلى مؤسساتهم. وبدأت تظهر كتابات آملة تقارن بين عزة النصر وبين هوان الهزيمة، واستعداد الاتجاهات جميعها للبذل من أجل الوطن.

وتسربت على استحياء كتابات تتناول – من بعيد وبشكل غير مباشر – التجربة الناصرية، حتى انهمر فجأة – ولأول مرة بشكل مباشر – طوفان الهجوم على الثورة؛ وبشكل خاص على عبد الناصر بكتاب (عودة الوعى) [٣] لتوفيق الحكيم؛ الذى يسجل فيه مؤلفه أنه كان فاقد الوعى طوال فترة حكم عبد الناصر، وأنه كان؛ وهو شيخ الأدباء؛ يفكر بقلبه وليس بعقله!! وقد منعت الرقابة الكتاب من التداول فى مصر – رغم انتشار أعداد كبيرة من النسخ لدى المثقفين- ثم سمحت الرقابة بعد ذلك بتداول الكتاب وإعادة طبعة داخل مصر ليكون ذلك بداية الهجوم على عبد الناصر وتجربته بشكل عام .

وعى مفقود

انتقلت المعارك حول تقييم الثورة إلى صفحات أغلب الدوريات فى مصر، وتركزت المناقشات حول كتاب الحكيم (عودة الوعى)، وأدلى كثيرون برأيهم فى الكتاب؛ حتى من لم يطلع على نسخة منه، وغرق «الحكيم» فى تصريحات وأحاديث صحفية مكررة؛ مفادها – كما يذكر – «أن المصريين يعرفون أنه كان مستحيلاً على الكاتب أن يجد منبراً يقول منه ما يريد، ومع ذلك

– وللحقيقة المجردة – فإن المعلومات الكافية لم تكن قد تكشفت لى» (٤)

ويتعرض الكاتب الكبير للوم الكثيرين، فهو المفكر الذى يذكر سجله الأدبى أنه الذى نادى بـ (عودة الروح) لمصر أثناء وقوعها فريسة للاحتلال الإنجليزى، وهو الذى هلل للثورة وقال إن كتاباته كانت سبباً مباشراً فى قيامها، وهو الذى قلده عبد الناصر قلادة النيل فعبر عن شعوره قائلاً: «لقد فاجأنا عبد الناصر بهذا العمل الجليل، وإنه الآن نقلنا إلى دنيا الحضارة»(٥)، والحكيم نفسه – أيضاً– هو الذى أشاد بإنجازات الثورة ويشخص عبد الناصر، وقال بعد أن تسلم الوسام: «إننى أحمد الله على أننى لم أضع يدى بسلام فى يد رئيس دولة قبل عبد الناصر، فهو أول رئيس دولة أضع يدى فى يده، وهذا من حسن حظى».. وعندما رحل عبد الناصر كتب الحكيم يخاطب الزعيم الراحل؛ قائلاً : «اعذرنى يا جمال، القلم يرتعش فى يدى، لقد جسد الشعب فيك صورة حريته..لقد جعل منك تمثال الحرية لنا، فاسمح لنا، وقد فارقتنا أن نقيم لك تمثالاً عالياً فى ميدان التحرير ليشرف على الأجيال» (٦) واستمر مقاله يخاطب الزعيم الراحل؛ قائلاً : «اطمئن فى مثواك فقد نهضنا

بالعبء من بعدك، وانظر إلينا من عليين تجدنا على الطريق المبين» (٧).

ويرد الحكيم على منتقدى تغيره؛ بزاوية منفرجة؛ من النقيض إلى النقيض، قائلاً : «إن الأشباح الهزيلة الضعيفة لا توجد إلا فى جو الفزع والرعب» (٨)، ثم ينشر الحكيم «رسالة موجهة إلى اليسار المصرى» على صفحات مجلة «روزاليوسف» يقول فيها إنه قصد مخاطبة اليسار، لأنه يعتبر نفسه – الحكيم – من المسئولين عن الاشتراكية المصرية، وأنه يعرف خوف اليسار من استغلال الرجعية موقف الهجوم على عبد الناصر، ولكن أن ينتقد اليسار السلبيات التى عانينا منها فهذا واجبه (٩).

ويرد عليه كاتب يسارى؛ مرحباً : «يسرنا دخوله – الحكيم – السياسة بشكل مباشر وهو فى هذه المرحلة من السن» (١٠).

وتستقطب دائرة الحوار أقلاما أخرى؛ فيكتب كامل زهيرى فى صحيفة (الجمهورية) تحت عنوان (قلب الحكيم) قائلا: (١١)

«لم يخل تاريخ عظيم من هنات أو كبائر.. وليس هذا يغضب أحدا.. ولكن الذى يغضب ويؤلم حقا أن نبتعد عما نسميه الموضوعية أو ما كانوا يسمونه فى الأخلاق الموروثة (روح الإنصاف) أو ما يسميه الحكيم فى فلسفته التى طلع بها علينا

ذات يوم بالتعادلية.. فليس فيما كتبه توفيق الحكيم فى (عودة الوعى) موضوعية ولا إنصاف ولا تعادلية»

وتستمر الضجة التى فجرها الحكيم حول الثورة؛ والتى قصد بها عبد الناصر بالذات، فقد أصدر محمد عودة كتابه (الوعى المفقود) رداً على الحكيم، ويكتب أحمد عباس صالح عن (وعينا الضائع والمفقود بين توفيق الحكيم ومحمد عودة) موضحا أن توفيق الحكيم هو «أقرب الكتاب الكبار إلى اليسار الوطنى، ولعل كتابته كانت ضرورية لكى ينتقل الفكر العربى إلى المفاهيم الثورية الحديثة»(١٢)!!.

ويستمر أحمد عباس صالح موضحاً كيف أن الحكيم كان يوزع نسخاً من مسودة (عودة الوعى) قبل طبعه فى خريف ١٩٧٢؛ لمعرفة رد الفعل أو جس النبض Test ballen، ثم يقرر أن الحكيم أعطاه نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة؛ ليقرأها وطلب منه أن يستنسخ عدة نسخ منها إن أعجبته!!.

ويدخل لويس عوض دائرة الحوار بـ (أقنعة الناصرية السبعة بين البدر والمحاق) (١٣) محدداً أنه «جدير بنا أن نتفق؛ على الأقل من حيث المبدأ؛ على أن واجب الكاتب قبل أى مواطن آخر، ألا ينتظر حتى يموت صاحب الدولة لكى يحاسبه حساب

الملكين، وإنما على الكاتب - قبل أى مواطن آخر - أن يحاسب ولى الأمر أثناء حياته وهو يلى الأمر، حتى يصبح الحساب نقاشا يمكن أن تنصلح به الأمور» وأنه جدير بالحكيم بالتحديد أن يفعل ذلك؛ وبخاصة أنْ لهِ رأياً قدّم به كتابه (عودة الوعى) يتحدد - هذا الرأى - فى: «أن مواقف أهل الرأى التى يجب أن تعلن هى التى تكون أثناء الأحداث وفى صميمها - إذا استطاعوا - وليس بعدها».

وساعد على استمرار المناقشات إلغاء الرقابة على الصحافة ابتداء من التاسع من فبراير ١٩٧٤؛ ما عدا الأخبار التى تمس النواحى العسكرية، ثم عودة الصحفيين والكتاب الذين أبعدهم قادة الثورة عن العمل الصحفى منذ أزمة مارس ١٩٥٤م، وبهذا أصبح الرقيب الفعلى داخل المؤسسات الصحفية يتمثل فى رئيس تحرير الصحيفة أو المجلة.. كما عاد إلى دائرة الضوء كل من الدكتور وحيد رأفت، وأحمد أبو الفتح - رئيس تحرير جريدة (المصرى) - الذى عاد إلى مصر فى ١٩٧٤/٤/٣٠، وعلى أمين الذى رجع إلى البلاد من منفاه الاختيارى فى لندن؛ بعد الإفراج الصحى عن شقيقه مصطفى أمين؛ وتولى على أمين منصب مدير تحرير (الأهرام) فى الثالث من فبراير ١٩٧٤ وأصبح

رئيساً لتحريرها منذ التاسع من فبراير من السنة نفسها، ثم تم نقله إلى مؤسسة (أخبار اليوم).

ونادت «ورقة أكتوبر»[١٤]: التى أعلنها الرئيس السادات؛ بحرية الصحافة والنقاش الحر «مادام كل ذلك يدور فى الإطارات المشروعة التى نرتضيها».

واستمرت الأقلام تتعرض لتجربة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مركزة على عبد الناصر، ثم تطورت الدائرة لتشمل منجزات تلك الفترة، وضرورة تطوير النظام السياسى.

وفجأة – أيضاً – يصدر الحكيم كتاباً جديداً أسماه (وثائق فى طريق عودة الوعى) [١٥] يتضمن رسالة قال الحكيم إنه كتبها إلى عبد الناصر فى مناسبة تعيين محمد حسنين هيكل وزيراً وإبعاده من مجال القلم إلى كرسى السلطة، ورسالة ثانية كتب عليها أنها (سرى للغاية) صادرة من مكتب وزير الدولة؛ سامى شرف؛ إلى النائب العام !! بالإضافة إلى محاضر تحقيقات إدارة المباحث العامة مع الكاتب لطفى الخولى وزوجته، ومع السيدة نوال المحلاوى (سكرتير مكتب رئيس تحرير «الأهرام» – الأسبق – هيكل) وزوجها عطية البندارى، كما ضم الكاتب صوراً لمحاضر التحقيقات السابق ذكرها!!.

وتساءلت الصحافة فى مصر وفى خارجها هذا السؤال المهم[١٦]: – من أين، وكيف حصل الحكيم؛ وهو الأديب المفكر وليس المحقق الصحفى؛ فى ظل دولة بوليسية – كما يذكر – على هذه الوثائق السرية للغاية؟!!.

طواحين هواء

إذا كان توفيق الحكيم قد فجر شرارة انتقاد ثورة يوليو ١٩٥٢م؛ إلا أن دائرة الحوار حول هذه الشرارة قد اتسعت بين عدد من الأدباء بتأويلاتهم المتعسفة حول أعمالهم الشعرية والقصصية؛ التى قالوا إنها شجبت وعارضت وأدانت، حتى تلك الأعمال التى لا يتضح من مظهرها أو جوهرها أى شىء من ذلك كله !!.

فها هو الشاعر الحسّانى حسن عبد الله ينشر قصيدة بعنوان (من وحى الوافر) فى مجلة (الثقافة) ويقدمها بمقدمة نثرية طويلة عن خلافه مع الشاعر محمود حسن إسماعيل حول الشعر الحر والشعر القديم، ختمها – المقدمة – بقوله: [١٧]

«لكنها – يقصد قصيدته – عرضت منذ أول أمرها لانتقاد مراكز القوى فى ذلك الحين، ولهذا كان لابد أن تطوى»

ثم تبدأ القصيدة فى غنائية مفرطة على النحو التالى:

مفاعلتن مفاعلتن فعول . . وكم دانت لنا يوماً خيول

ولم يذكر الشاعر من الذى طوى قصيدته؟ وأين؟ ولماذا؟ ومتى؟ وهو الذى فاز بجائزة الدولة التشجيعية فى الشعر فى تلك الفترة عن ديوانه «عفت سكون النار» !!

ويعد الكاتب - الراحل - ثروت أباظة أول من خاضوا حرباً واضحة ضد خط الثورة واشتراكيتها وضد اليسار بصفة عامة؛ بعد شرارة الحكيم «عودة الوعى»؛ فقد سار أباظة فى خط ينادى ببعث القديم والاستفادة منه، والاهتمام بكبار الأدباء وأصحاب الأساليب، وأصدر عند توليه مجلة (الإذاعة والتليفزيون) ملاحق أدبية[١٨] عن طه حسين، والعقاد، وحسين فوزى، وأعاد إصدار سلسلة كتاب (الإذاعة والتليفزيون) ونشر فيها كتاب (البخلاء) للجاحظ: شرح وتحقيق عباس خضر، و(الشعر العربى والذوق المعاصر) للدكتور محمد كامل حسين، و (سندباد مصرى) للدكتور حسين فوزى و (عودة الروح) للحكيم، كما اهتم - أيضاً - بالشعر «فن العربية الأول» فأصدر مجلة (الشعر) الفصلية؛ التى رأس تحريرها الدكتور عبده بدوى؛ وقدم يوسف السباعى المجلة للقراء؛ قائلا: [١٩].

«نزفٌ مجلة الشعر للعرب تأكيداً للفكرة المتواترة التى تقول:
«من أحيا الشعر فقد أحيا العرب، ومن قتل الشعر فقد قتل العرب».

ثم يؤكد يوسف السباعى «أن هذه المجلة ستقف إلى جانب الأعمال الجيدة».

واهتمت مجلة (الإذاعة والتليفزيون) بالأدب؛ فنشرت القصة والشعر والمقابلات الصحفية مع مشاهير الأدباء.

ورغم عدم ميل المجلة التى تعد – فى المقام الأول – دليلا إرشادياً لبرامج التليفزيون والراديو إلى افتعال فرقعات أدبية؛ إلا أنها كانت فى أحايين قليلة تلجأ إلى الإثارة الصحفية بافتعال خبطات وهمية يصطنعها بعض المحررين؛ منها – مثلا – خروجها إلى القراء (فى العدد ٢١٢٨ الصادر فى ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٥) بقصة بدون عنوان لتوفيق الحكيم على أنها قصة منسية للكاتب لم تنشر من قبل، مع أن القصة نفسها نشرت تحت عنوان (فى الدنيا) ضمن مجموعة الحكيم (شجرة الحكم) الصادرة فى سلسلة «الكتاب الذهبى» بتاريخ ١/٨/ ١٩٥٣!!

لليمين در

بدأت موجة الانتقادات الموجهة ضد عبد الناصر - بعد وفاته - تتسع لتشمل النظام السابق كله؛ وبخاصة بعد أن خصصت الصحف صفحات لاتهام الرئيس السابق فى ذمته المالية وأنه قام بتحويل ١٥ مليون دولار لحسابه الخاص خارج البلاد خلال شهرى مايو ويونيو ١٩٦٧م؛ وهو ما أورده الكاتب جلال الدين الحمامصى فى كتابه (حوار وراء الأسوار) الذى كتب فى مقدمته أنه يهديه إلى «الضابط الأسمر رفيق السجن»؛ يقصد أنور السادات؛ وإزاء هذه الاتهامات التى أثارت الرأى العام أصدر رئيس الوزراء - ممدوح سالم - قراراً بتشكيل لجنة للتحقيق العاجل فى هذه الواقعة [٢٠] وانتهى التحقيق بإبراء ذمة عبد الناصر من هذه الاتهامات.

واشتدت موجة الانتقادات لتتحول إلى دوامة كبيرة احتلت مساحة عريضة من الحياة الفكرية فى مصر فى ذلك الوقت، وكان أشدها عنفاً - وبشكل مباشر - مقالات الكاتب ثروت أباظة فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) والتى بدأها بمقال عنوانه (سقط الصنم ولم تسقط القاعدة)[٢١] تبعه بمقالات متتالية أخطرها مقاله (وفى أى شيء صدق؟) الذى جاء فيه: [٢٢]

«أى غريبة أن يقال ما يقال؟ وما المال وقد سرق أمننا وألغى كرامتنا، وامتص دماء أبنائنا، و أهدر على رمال سيناء شرف مصر والعرب وتاريخ أمة ومستقبلها.. وفى أى شىء صدق حتى يصدق فى ذمته؟ قال ارفع رأسك يا أخى، وحطم كل رأس فكر فى الارتفاع أو فكر فقط»!!

وإذا كان «أباظة» قد اتجه إلى الهجوم على عبد الناصر بشكل مباشر، إلا أن كثيراً من الكتاب قد ساروا فى الخط نفسه؛ لكن خلف أقنعة من مسميات متعددة، منها «الموضوعية» و «الوطنية» و «ضرورة التقويم» !!!.

وإزاء هذا التخبط؛ صدر قرار بإعادة تشكيل قيادة الصحافة؛ فشغل يوسف السباعى رئاسة مجلس إدارة (الأهرام) وانضم ثروت أباظة إلى (الأهرام) كاتباً ثم رئيساً للقسم الأدبى بها، ورأس أحمد بهجت مجلس إدارة ورئاسة تحرير مجلة (الإذاعة والتليفزيون) – خلفاً لثروت أباظة – بجانب كتابة بابه اليومى «صندوق الدنيا» فى (الأهرام)، وعبد المنعم الصاوى رئاسة (دار التحرير للطبع والنشر) وموسى صبرى مجلس إدارة (أخبار اليوم)، وأمينة السعيد مجلس إدارة (دار الهلال)، وعبد الرحمن الشرقاوى مجلس إدارة (روز اليوسف)،

وأنيس منصور مجلس إدارة (دار المعارف) وممدوح رضا مجلس إدارة (دار التعاون).

ومع هذا التشكيل، بدأت مرحلة جديدة - أيضاً - للنظام، والقضاء تماما على ما تبقى من تيار يسارى فى أى مواقع إعلامية.

وبدأت مجلة (الثقافة الأسبوعية) تتحدث عن «الإرهاب الفكرى الذى ظهرت بوادره فى (روزاليوسف) و(الطليعة) و(الكاتب) و(الجمهورية) و«البرنامج الثقافى بالإذاعة المصرية» وعن مجلة(الكاتب) العقائدية التى يكتبها أناس من تيار واحد»[٢٣] ومجلة (الطليعة) «ذات الأسلوب المبتذل الرخيص الذى تشيعه فى حياتنا الثقافية»[٢٤].

وفى مواجهة خط مجلة (الكاتب) المخالف لخط الدولة، وسيرها - المجلة - فى الاتجاه اليسارى الذى واجه انقلاباً ضده فى ذلك الوقت؛ أصدر يوسف السباعى - بوصفه وزيراً للثقافة - قراراً بتغيير هيئة تحرير مجلة (الكاتب) وأسندت مهمة تحريرها إلى الشاعر صلاح عبد الصبور؛ أحد كبار موظفى الهيئة العامة للكتاب فى ذلك الوقت؛ الذى حدد خطها فى أنها ستترك مجال الجدل السياسى على أن يكون هدفها «خدمة

الكتابة العربية وتعميق التجربة الأدبية العربية وإثراء هذه التجربة بالنقد لمسيرتها والكشف عن مظاهر التجربة الأدبية لدى غيرنا من أهل الأرض» [٢٥] وعضد وزير الثقافة – يوسف السباعي– الاتجاه الجديد للمجلة فى مقال له بعنوان (الكاتب والالتزام).

مع .. أو ضد ؟!!

الغريب والخطير فى اتجاهات أغلب أدباء ومثقفى مصر – فى فترات متعددة – أحادية النظرة وحدّتها: إما بيضاء أو سوداء؛ دون منطقة رمادية، فعندما تنشر مجلة يمينية (الهلال مثلا قصة لأديب أو قصيدة لشاعر؛ كان يعنى ذلك رصد صاحبها فى الفيلق المواجه لـ (الطليعة)* أو (الكاتب) والعكس صحيح وبدرجة كبيرة !! واستقطبت هذه التكتلات أقلاما ووقفت خلفها لتعبر عن اتجاهاتها، وأصبح أغلب الكتاب ينتمون إلى تيارات سياسية وقوالب فكرية تصنع منهم نجوماً .

وعندما صدرت (الكاتب) فى ثوبها الجديد برئاسة تحرير صلاح عبد الصبور – نوفمبر ١٩٧٤ – نشرت مجلة (الطليعة) فى الشهر نفسه عدداً من الصفحات داخل المجلة تحت شعار

مجلة (الكاتب) ووضعت على هذا الجزء اسم رئيس تحرير المجلة السابق أحمد عباس صالح، وقالت إن ذلك العمل - مجلة باسم (الكاتب) داخل مجلة (الطليعة) - «رمز للتضامن بين كافة المنابر الوطنية والثورية والدفاع عن حقها فى التواجد والاستمرار»(٢٦) وفى العدد التالى مباشرة خصصت المجلة بعض صفحاتها - أيضاً - للحديث عن أزمة مجلة (الكاتب) وما أسمته «حرب الردة فى الثقافة المصرية»، «وضرورة وحدة القوى التقدمية»، وكتب أحمد عباس صالح مقالاً - بعنوان («الكاتب» مسئولية الوزير) - يقول فيه: (٢٧).

«ينبغى أن لا تعتبر أزمة مجلة (الكاتب) مجرد اختلاف فى الرأى أو اعتراض على سلطة الوزير فى إصدار القرار، بل مسألة تمس السياسة العامة للثقافة فى بلادنا، وتطالب أسرة المجلة السلطة السياسية ومجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى والمثقفين بالتحقيق فى الموضوع واتخاذ قرار بشأنه».

كما نشرت مجلة (الطليعة) - فى العدد نفسه - رسالة مفتوحة من الأصوات الشعرية الجديدة إلى الشاعر صلاح عبد الصبور رئيس تحرير مجلة (الكاتب الأميرية) - كما تقول الرسالة - التى تواصل مسيرتها التقدمية ووقع على الرسالة

المنشورة ثلاثة شعراء شبان: محمد يوسف، ومحمد الشهاوى، وحسن النجار؛ الذين قدمهم صلاح عبد الصبور فى مجلة (الكاتب) عند توليه تحريرها؛ تقول الرسالة الغاضبة:

أولاً: إننا نرفض تقديمك لنا بهذه الصورة اللا أخلاقية لتعلن على الملأ رضاك عنا، إننا لا نطالبك بالرضا فلسنا فى حاجة إلى رضاك، بل نطالبك بالغضب علينا.

ثانيا: إننا نرفض تحقيق أى مكسب مهما كان عن طريق الوقوف ضد الديمقراطية وحرية الرأى؛ تلك التى تتباكى على موتها وبيدك خنجرك المسموم الذى يتوغل فى قلبها.

ثالثا: بالنسبة لقصيدة الشاعر حسن النجار (المدخل إلى التراجيديا الريفية) فقد أرسلها قبل عام ١٩٧٠ لتنشر بمجلة (الكاتب) قبل أن تجهض، وبناءً عليه فإن نشر هذه الأعمال الشعرية فى هذه الفترة يمثل اغتصاباً مبتذلاً لهذا الأصوات التى ترفض التفاعل بهذا الأسلوب».

ويصف الدكتور عبد العزيز الدسوقي – رئيس تحرير مجلة الثقافة – تصرف مجلة (الطليعة) باستضافة مجلة (الكاتب) على صفحاتها بأنه «العبث الذى صنعه لطفى الخولى رئيس تحرير (الطليعة)، وسماه استضافة لمجلة (الكاتب)»[٢٨].

وتفتحت العيون على مجلة (الطليعة) - خاصة بعد اتهامها بأنها وراء إثارة الجماهير فى أحداث ١٨و١٩ يناير ١٩٧٧ - لتصدر فى مارس ١٩٧٧ بدون ذكر رئيس تحرير أو أسرة تحرير على غلافها، ثم تحولت المجلة فى السابع من مارس ١٩٧٧ لتصبح (الطليعة: مجلة الإنسان وعلوم المستقبل) وصدرت فى أبريل برئاسة تحرير صالح جلال *** وتغيرت بشكل كامل وبزاوية ١٨٠ْ درجة من اليسار إلى اليمين، ونشر ملحقها الأدبى قصة لإسماعيل ولى الدين بعنوان (أوراق قديمة) ومقابلات مع كل من :

* د. رشدى فكّار. أجراه فتحى سلامة.
* د. زكى نجيب محمود، أجراه محمود عطا الله.
* د. إبراهيم حلمى عبد الرحمن، أجراه وجدى رياض.

ثم توقفت هذه المجلة (الطليعة) تماماً بحجب امتياز إصدارها بقرار من يوسف السباعى ووقفها عن الصدور؛ وإصدار مجلة (الشباب وعلوم المستقبل) لتكون ذات طابع علمى يختلف تمام الاختلاف عن مجلة (الطليعة)، ثم يتم تعيين صلاح عبد الصبور مستشاراً ثقافياً لمصر فى الهند، ويتولى الناقد علي شلش الإشراف على مجلة (الكاتب) وتتعثر المجلة شيئاً فشيئاً

حتي تتوقف نهائياً عن الصدور بعد عددها الصادر في مارس / أبريل من عام ١٩٨٠م.

وأخذت القيادة السياسية في ذلك الوقت موقفاً عدائياً ضد الصحافة اليسارية؛ وصفتها بأنها «صحف إثارة» وبخاصة بعد أن نشرت مجلة (روزاليوسف) محضر اجتماع لمجلس الأمناء بالاتحاد الاشتراكي ترأسه الدكتور رفعت المحجوب، في الحادى عشر من يناير، وفي هذا الاجتماع هاجم يوسف مكادى – أمين الوجه القبلى فى الاتحاد الاشتراكى – الصحافة، وقال:[٢٩]

«ماذا ننتظر اليوم؟ هل ننتظر أن يتحرك الشيوعيون فى الشوارع أو يتحرك الإخوان المسلمون مرة أخرى تحت دعوى حرية الصحافة؟.

حسنين هيكل لو فى بلد مثل أمريكا أو انجلترا وهى قمم الديمقراطية وحصل هذا الكلام من هكيل كان حرقوا له الجريدة.. حرقوه هو شخصيا.. شخص شتم الرئيس السادات لا نتركه.. كان المفروض أن نحرقه في نفس اليوم ولا نحاكمه فقط، نحرقه ونحرق الاثنين وأربعين صحافياً الذين قابلوه فى المطار لأنهم يقولون له نحن نؤيدك في سياستك ضد أنور السادات.!!»

وتبنت مجلة (الجديد) محاربة اليسار عن طريق الحملات الصحفية، وأعلنت عن تشكيل (جمعية أبناء مصر) التى وجهت؛ فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٧٥م؛ بياناً إلى الأمة يبين أن عملها «يختص بالناحية الاجتماعية والثقافية والفكرية» - نشرته الصحف أيضاً - وذكر البيان أن الجمعية تضم ٣٤ عضواً من طلاب الكليات الجامعية؛ انضم إليهم: توفيق الحكيم، ود. حسين فوزى، ونجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس، ود. رشاد رشدى، وثروت أباظة، وصلاح طاهر، وعبد الرحمن الشرقاوى، ومحمد صبيح، ود. محمد عصفور، ود. عبد العزيز الشريف، ومحمد عبد الوهاب، وأحمد مظهر، ويرأس الجمعية سيد الباز صالح الطالب فى حقوق القاهرة.. وفوجئ القراء بصورة الحكيم وبيده «مقشة»؛ وحوله أعضاء الجمعية؛ فى لقطة فى أحد شوارع القاهرة لتنظيفها، وقد أولت الصحافة اهتماما كبيراً للجمعية ولرئيسها سيد الباز صالح الذى بدأ يكتب عن السياسة المصرية ودهاليزها، ونشر فى مجلتى (روزاليوسف) و (صباح الخير) عام ١٩٧٦م مذكرات عن عبد الناصر، كما نشر مقالاً ضمن كتاب (مصر والمصريون) (٣٠) الذى يتضمن كتابات؛ للعقاد ورشاد رشدى ونعمات فؤاد؛ يتناول فيه «أزمة الإنسان المصرى»

واهتمت مجلة الإذاعة والتليفزيون برئيس الجمعية وخصصت لكتاباته صفحات في أعدادها؛ وفجأة اختفت الجمعية ومؤسسها نهائياً حتى فاجأت الصحف المصرية القراء بخبر عن استعداد المحسن الكبير سيد الباز «للتبرع بأربعة ملايين جنيه لاستئجار ٥٦٠ فداناً بمنطقة العياشي المجاورة لأرضه لإنشاء أربع قرى نموذجية يطلق عليها أسماء سعد زغلول، والنحاس باشا، والدكتور رشاد رشدي، والسادات»!! وفجأة - أيضاً - تم إلقاء القبض على الرئيس السابق لجمعية أبناء مصر بعد أن «اكتشفت الدولة أنه يبيع الأرض التي استأجرها للفلاحين»[٣١].!

وكعادة صحفنا التي هللت له ونشرت صوراً له مع الحكيم وكبار المثقفين ومذكراته عن علاقة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر؛ بدأت الصحف نفسها تكتب عنه - قبل إدانته قضائياً - وتذكر أنه «كان يعمل براداً بمصنع الحديد والصلب وفصل منه عام ١٩٧٣ لانقطاعه عن العمل..»[٣٢] وكأنها - الصحف - تعتذر لقرائها عن تخليها عن هذا النجم الذي صنعته فجأة ثم هوى على يدها أيضاً!!.

قوة رابعة

الملاحظة التي أبداها رجل السياسة والقانون البريطاني إدموند بيرك (١٧٢٩-١٧٩٧) عندما وقف ذات يوم فى البرلمان الانجليزى منذ أكثر من مائتى عام؛ مشيراً إلى شرفة الصحفيين قائلا: THE FOURTH ESTATE محدداً مكانة الصحافة فى ذلك الوقت بأنها القوة الرابعة إلى جانب النبلاء، ورجال الدين، والعامة؛ هذه الملاحظة وضعتها الدولة فى اعتبارها وهى تنظر إلى الصحافة وتحدد مكانها، فقد قامت الدولة بتحجيم الاتجاه اليسارى المناوىء لسياستها؛ وقضت على أهم معاقله فى الصحافة المصرية؛ والمتمثل فى مجلة (الطليعة)؛ وفى الاتجاه الآخر قام النظام بتعضيد الصحف التى تعبر سياستها التحريرية عن وجهة نظر الحكومة، وظهر ذلك بشكل واضح فى التشكيلات الجديدة لمجالس إدارات الصحف، والتى أصدرها الرئيس السادات فى الثامن والعشرين من مارس ١٩٧٦ (الصاوى لدار التحرير/ والسباعى للأهرام/ وموسى صبرى لأخبار اليوم/ وأمينة السعيد لدار الهلال / والشرقاوى لروز اليوسف / وممدوح رضا لدار التعاون / وأنيس منصور لدار المعارف) وفى الوقت نفسه صدرت عن دار المعارف مجلة

(أكتوير)- فى الثانى والعشرين من أكتوير- لتكون «اسبوعية سياسية عربية اجتماعية» برئاسة تحرير أنيس منصور؛ وضمت إليها بعض الكتاب والأدباء، وخصصت بعض صفحاتها للأدب؛ تحت عنوان (أدب× أدب) ثم تغير الباب ليصبح عنوانه (شيء من الأدب).

وأقر السادات فكرة «المنابر» فى مصر، ونظراً لتعددها وعدم تميز أحدها عن غيره من المنابر؛ صدر قرار فى نوفمبر ١٩٧٦م بتحويل هذه المنابر الى ثلاثة أحزاب فقط (يمين، وسط، ويسار)، وأصبحت الصحف اليومية - الأهرام والأخبار والجمهورية والمساء - تعبر عن حزب الوسط (الحكومة)، ثم إصدار حزب مصر العربى الاشتراكى «الوسط» (جريدة مصر) فى الثامن والعشرين من يونيو ١٩٧٧ - وتم إسناد الإشراف العام عليها إلى لجنة الثقافة والإعلام فى الحزب، وهى اللجنة التى يشغل منصب مقررها عبد المنعم الصاوى، ورأس تحرير الجريدة سامى محمد، وكتب افتتاحية العدد الأول: ممدوح سالم رئيس الحزب فى ذلك الوقت.. وأصدر حزب الأحرار الاشتراكيين فى الرابع من أغسطس ١٩٧٧ أول جريدة معارضة فى مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وأطلق عليها اسم (الأحرار) ورأس

تحريرها صلاح قبضايا؛ الذى يعتبر أحد شجعان الصحافة في ذلك الوقت، إذ كان أول صحفي يترأس صحيفة معارضة فى عهد السادات، ورغم اهتمام الصحيفة بالفن بجانب السياسة؛ إلا أنها لم تهتم بالأدب على صفحاتها، وتوقفت عن الصدور فى نهاية أغسطس ١٩٧٨م «لمتاعبها المالية وللمتاعب التى تعرضت لها من أجهزة الإعلام الرسمية؛ ومن هذه المتاعب منع الإعلانات عنها فى التليفزيون» ثم عادت الصحيفة إلى الصدور مرة ثانية؛ وتولى تحريرها محمد الغلبان ثم تعاقب عليها عدد من رؤساء التحرير إلى أن تولاها مرة أخرى د.صلاح قبضايا ويترأسها حتى الآن .

أما حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى «اليسار» فقد أصدر جريدته باسم (الأهالى) ورأس تحريرها خالد محيى الدين - رئيس الحزب - لتعارض «باسم المبادئ والبرامج» باعتبارها - على حد قولها - تملك البديل الأفضل، وتعد هذه الصحيفة فى المقام الأول صحيفة رأى وفكر يسارى واضح. وقد ساهم بالكتابة على صفحاتها مفكرو هذا الاتجاه، ومنهم: د. محمد أحمد خلف الله، ورفعت السعيد، ود. إسماعيل صبرى عبد الله، ود. حسن حنفى، وخالد محيى الدين، وأمين هويدى،

وغيرهم.. ويمكن النظر إلى (الأهالى) باعتبارها الصحيفة الحزبية الوحيدة - فى ذلك الوقت - التى استخدمت أهل الرأى من أصحاب الاتجاه الذى تتبناه لتعضيد اتجاه الحزب الذى تعبر عنه، ولعل المقولة التى أطلقت فى ذلك الوقت؛ والتى تقول إن (اليسار صحيفة بدون حزب، والاتجاهات الأخرى أحزاب بدون صحف) تؤكد أهمية هذه الصحيفة فى إلقاء الضوء على رموز الاتجاه اليسارى فى مصر ونشر أفكارهم؛ وبخاصة بعد إغلاق أهم منابر هذا الاتجاه: (الكاتب) و(الطليعة).. وهذا ما فشلت فيه بشدة صحيفة (مصر) منذ إصدارها وحتى توقفها عن الصدور، وكذلك صحيفة (الأحرار) التى تخبطت فترات كثيرة منذ صدورها حتى تولى تحريرها مصطفى بكرى لتصبح أقرب إلى الاتجاه الناصرى أكثر من تعبيرها عن حزب الأحرار ثم عودتها إلى خطها لتعبر عن حزب الأحرار .

وفى الأول من مايو ١٩٧٩ صدرت جريدة (الشعب) الناطقة بلسان حزب العمل الاشتراكى؛ بعد خوض الحزب المعركة الانتخابية برئاسة زعيمه إبراهيم شكرى، ورأس تحرير الصحيفة حامد زيدان، ورغم تخصيص الصحيفه صفحة للسينما والمسرح والفنون والأدب؛ إلا أن جل ما يقدم عليها - ظل فترة طويلة - لا يثرى المناخ الأدبى ولا يعبر عن اتجاه

فكرى مميز، أو يثير نقاشاً عاماً حول قضية حيوية فى الفكر أو الثقافة؛ باستثناء الفترة التي تولي فيها عادل حسين مسئولية التحرير، حيث تحولت الصحيفة إلى الاتجاه الإسلامى بعد تحالف الإخوان المسلمين مع حزب العمل فى انتخابات مجلس الشعب إثر خروج الإخوان من حزب الوفد وفك ارتباطهم معه ثم كانت قضية رواية الوليمة على صفحاتها تأثيراتها ما أحدثته في مصر من تضييق على الكتاب، ثم تتوقف الصحيفة بعد قيام مجلس الشورى بتجميد حزب العمل .

وكانت صحيفة (الوفد) التى صدرت عام ١٩٨٤ – أسبوعية ثم تحولت إلى صحيفة يومية – برئاسة تحرير مصطفى شردى من أهم الصحف الحزبية انتشاراً، حيث تعد الصحيفة الحزبية الوحيدة التى تصدر فى البلاد بشكل يومى ولها تأثيرها حتى على الصحف العامة – غير الحزبية – من حيث انتقاء الأخبار ومعايير هذا الانتقاء ونوعياتها وطرق تغطيتها؛ مقارنة بما كانت تقدمه الصحف العامة عندما كانت تستحوذ وحدها على القارئ، وظل شردى رئيساً لتحرير (الوفد) حتى تم تعيين جمال بدوى رئيسا للتحرير فى الحادى والثلاثين من أغسطس ١٩٨٩ خلفاً لمصطفى شردى بعد وفاته – يرحمه الله – وتم وضع اسمه على

صدر الصحيفة – تكريما له – باعتباره أول رئيس لتحريرها، ويترأسها الآن عباس الطرابيلي ومجدي مهنا .

ولما كانت الصحافة العامة لا تهتم كثيراً بالأدب الآن كما كانت في سابق عهدها؛ عندما كانت تصدر في ثوب أدبي وكان الصحفي – أساساً – أديباً له أسلوبه وتميزه؛ فقد أصبح الأدب مجرد ركن أو زاوية أو صفحة دورية ترضي اهتمام محررها أو اهتمام قطاع من الجمهور، أما الصحافة الأدبية فرغم تخصصها في الأدب إلا أنها – بجانب محدوديتها وقلة انتشارها – قد وقعت هي الأخرى في دائرة الاتجاه الواحد، مما أدخلها في دائرة السياسة والتوجيه المباشرين، وهذا ما جعل الأدباء يتوزعون بين جهات متعددة: فئة وجدت نفسها في الصحافة العامة والتعبير المباشر عن الأحداث في أشكال أدبية (قصص وأشعار) تطوى – غالباً – بانتهاء الحدث، وفئة ثانية حصرت نفسها في التعبير عن حزب أو اتجاه أو وجدت تشجيعاً من ذلك الاتجاه فسارت معه، وفئة ثالثة صمتت أو هاجرت أو أصدرت مطبوعات تقدم ما تطرحه على نطاق ضيق، وقلة قليلة جداً هي التي كتبت أدباً دون أن تضع أعينها على صحيفة أو مجلة، وهذه الفئة الأخيرة من المؤكد أن الصحافة ستبحث عنها

على المدى الطويل باعتبارها تضم أصدق الأدباء موهبة، وأقواهم باعاً وصبراً، وأعمقهم فهماً لمسؤولية الكلمة ولمعنى الأدب.

الهوامش

١ - بيان أصدره الأدباء والكتاب فى ١٣/ ١٠/ ١٩٧٣ وتمت مناقشته فى «دار الأدباء» بالقاهرة فى ١٥/ ١٠/ ١٩٧٣.

* لم يحمل غلاف العدد تاريخ الصدور، وصدر العدد الثانى فى ١٢/ ١١/ ١٩٧٣، واستمرت تصدر أسبوعيا حتى تحولت من نشرة تصدر من دار الأدباء إلى ملحق لمجلة (الثقافة) وصدرت منذ العدد (٢٩) باسم (التحرير: الثقافة الأسبوعية) ورأس تحريرها الدكتور عبد العزيز الدسوقى رئيس تحرير مجلة (الثقافة) الشهرية، وتحولت إلى نافذة لنشر إنتاج الأدباء الشبان؛ حتى توقفت بعد صدور العدد (١١٧).

٢ - (أيام من أكتوبر) لإسماعيل ولى الدين، وتم نشرها فى عدد خاص من (التحرير) الملحق الأسبوعى لمجلة (الثقافة) فى ١٤/١٢/١٩٧٣.

٣ - توفيق الحكيم، عودة الوعى (بيروت، دار الشروق: ١٩٧٤).

٤ - مجلة (صباح الخير)، ٢٢ أغسطس ١٩٧٤.

٥ - مجلة (الجيل) المصرية، ٨/٢/١٩٥٨.

٦ - الأهرام، ١/ ١٠/ ١٩٧٠.

٧ - الأهرام، ٢٨/٩/١٩٧١.

٨ - أخبار اليوم، ١٧/٨/١٩٧٤.

٩ - روزاليوسف، ٢١/١٠/١٩٧٤.

١٠ - رزواليوسف ٤/١١/١٩٧٤.

١١ - الجمهورية، ١٥/١٠/١٩٧٤.

١٢ - الجمهورية، ٣٠/١/١٩٧٥.

١٣ - الأهرام، فى ١٥ و ٢٢و ٣٠ أغسطس و ٦ و ١٣ من سبتمبر ١٩٧٥.

١٤ - أنور السادات، ورقة أكتوبر (القاهرة، دار الشعب: ١٩٧٤) ص ٢٦.

١٥- توفيق الحكيم، وثائق فى طريق عودة الوعى، ط١ ،بيروت، دار الشروق: ١٩٧٥).

١٦ – مرعى مدكور «من أين حصل الحكيم على وثائقه»، صحيفة (صوت الجامعة)، فى ١٩٧٥/٧/٢٨.

و : مجلة (الحوادث)، ١٩٧٥/٧/٢٥م.

١٧ – مجلة (الثقافة)، العدد ١٠، يوليو ١٩٧٤م.

١٨ – صدرت هذه الأعداد فى ١٩٧٤/١١/٩ و ٣/٢٢ و ١٩٧٥/٧/١٢.

١٩ – يوسف السباعى «الافتتاحية»، مجلة (الشعر)، العدد الأول (اتحاد الإذاعة والتليفزيون، مجلة الإذاعة والتليفزيون) يناير ١٩٧٦م، ص ٧.

٢٠ – أخبار اليوم، ١٩٧٦/١/٣١ «٣٠ سنة خطيرة فى كتاب جلال الحمامصى الجديد».

و : الجمهورية، ٤/٢/ ١٩٧٦، «ماذنب الرأى العام؟».

و : الجمهورية، ١٩٧٦/٢/٥ «هل كان لصاً؟».

و : روزاليوسف، ١٩٧٦/٣/١، «سب عبد الناصر مقبول والدفاع عنه ممنوع».

٢١ – مجلة (الإذاعة والتليفزيون)، ١٩٧٦/٢/٢٤م

٢٢ – المصدر السابق، فى ٢٤/ ٢/ ١٩٧٦م.

* فى ٢٨ من مارس ١٩٧٦.

٢٣ – عبد العزيز الدسوقى، «كلمات»، مجلة (التحرير: الثقافة الأسبوعية)، العدد ٣٨، فى ١٩٧٤/٧/١٢.

٢٤ – المصدر السابق نفسه، العدد ١١٥، ١٩٧٦/١/٨. .

٢٥– مجلة «الكاتب» .

* ** لقاء مع فاروق عبد القادر المشرف على الملحق الأدبى لمجلة (الطليعة) فى ذلك الوقت.

٢٦ – الطليعة، نوفمبر ١٩٧٤، ص ١٣١.

٢٧ – الطليعة، ديسمبر ١٩٧٤، ص ١٣١.

٢٨ – الثقافة الأسبوعية، العدد ٥٥، ١٩٧٤/١١/١٤م.

**** الجمهورية، ١٩٧٧/٣/٩.. كما نشرت صحيفة (الأخبار) خبراً عن استقالة لطفى الخولى من رئاسة تحرير مجلة (الطليعة).

و: روزاليوسف، العدد ٢٥٤٥، فى ٢١/ ٣/ ١٩٧٧، ونشر لطفى الخولى على صفحاتها خطابين: الأول إلى (روزاليوسف) والثانى إلى يوسف السباعى، وذكر فيهما «قصة

مجلة (الطليعة) مع يوسف السباعى» وأنه لم يقدم استقالته من رئاسة تحريرها، وإنما السباعى هو الذى أخبره بما «أسماه استقالة» فى ١٩٧٧/٣/٧، وأنه - الخولى - وهيئة تحرير المجلة متمسكون بموقعهم فى الطليعة.

٢٩ - صلاح حافظ، «الاتحاد الاشتراكى يذبح نفسه.. افصل!.. حاكم.. ! احرق.. !»، روزاليوسف، العدد ٢٤٩١، فى ١٩٧٦/٣/٨م.

٣٠ - سيد الباز «أزمة الإنسان المصري»، كتاب: صوت مصر، مرجع سابق، ص ٩١: ٩٥.

٣١ - مصطفى أمين، «فكرة»، و (الأخبار) و (الشرق الأوسط)، ١٩٨٩/٣/٢٦.

٣٢ - الأهالى، العدد الأول، أول فبراير ١٩٧٨، وقد تعرضت منذ عامها الأول للمصادرة مرات متعددة؛ منها: الأعداد الصادرة فى ١٧و ٢٤ من مايو، و ٢ و ٩ من أغسطس، و ١٨ و ٢٥ من اكتوبر حتى توقفت أيامها عن الصدور، ثم عادت مرة أخرى.



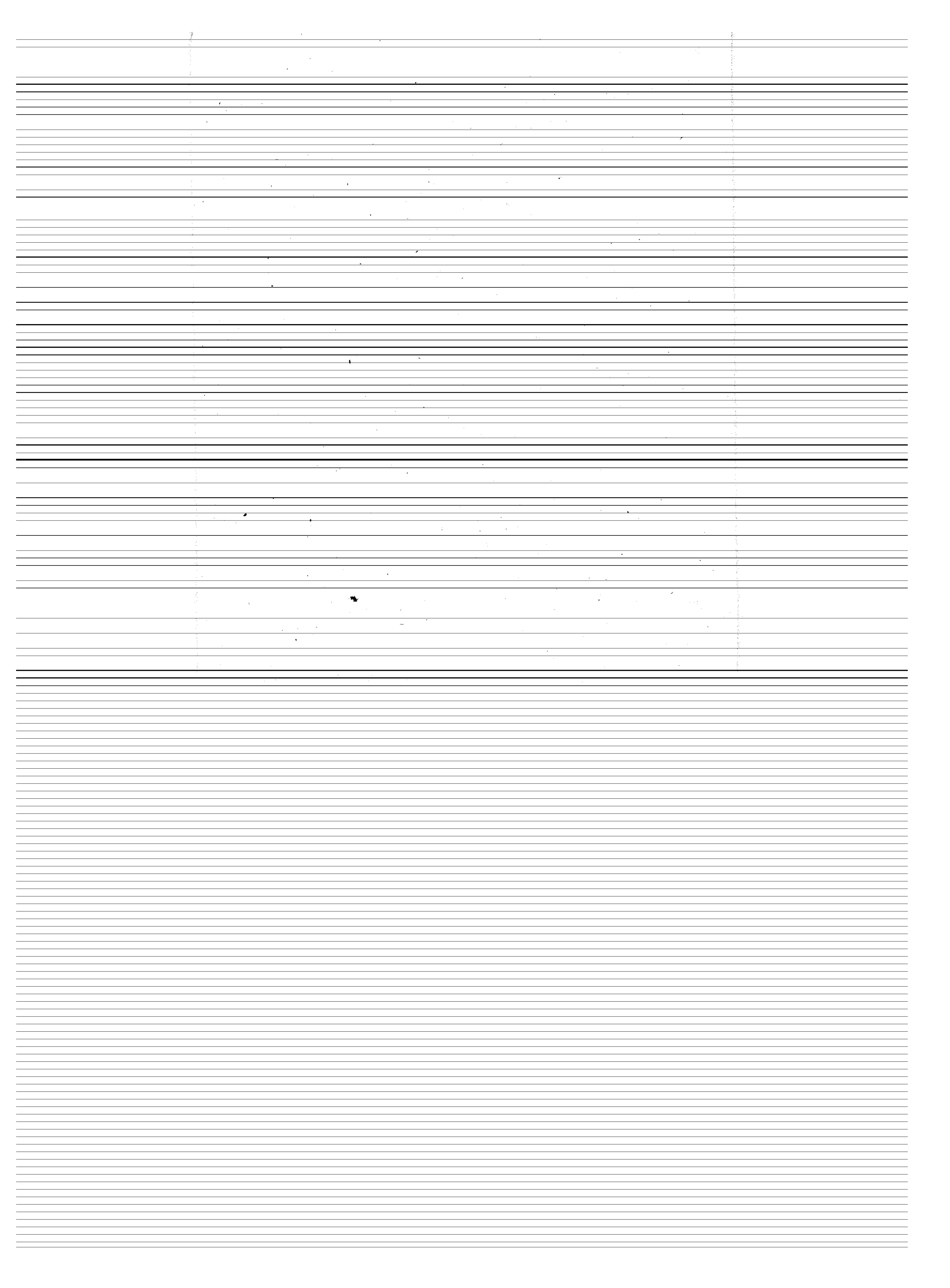
(٨)

صحيفة «الأهرام»

موسوعة الثقافة العربية

إنه يحق لنا القول إن جميع البشر مثقفون؛
مع الاستدراك بأن جميع البشر لا
يمارسون وظيفة المثقفين فى المجتمع.

*** جيرا مشى ***



إذا كانت صحيفة (الأهرام) لها موروثها التاريخى الكبير الذى تخطى القـرن من الزمـان بما يقـارب ربع قـرن آخـر؛ بالإضـافـة إلى تطورها التـقنى الواضح والملمـوس والمؤثر فى استخدام أساليب الطباعة، ومكانتها المترسخة لدى القراء بأنها الصحيفة الأولى ذات الاتجاه المحافظ فى الصحاف المصرية؛ مما جعلها تمثل لدى خبراء الصحافة (لمدة طويلة قبل طفرة الصحافة الكويتية، والصحافة السعودية الصادرة فى الخارج «تايمز العـرب» أو «صـحـيفـة العـالم العـربى»[1]؛ فـإن هذه الصحيفة ذات المكانة المتميزة قد صدرت فى بداية أمرها لتكون صحيفة إخبارية وأدبية وعلمية ولا شأن لها – كما يقول ترخيصها – بالسياسة!!.

فقد كانت مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر؛ ملاذاً آمناً للشعراء والأدباء والمفكرين الذين وفدوا إليها من الأقطار العربية الشقيقة، فعرفت الصحافة المصرية – وقتذاك – ولى الدين يكن،

وسليم سركيس، وتوفيق حبيب، وإبراهيم سليم النجار، وشبلى شميل، ويوسف البستاني، والكواكبي، وخليل سعادة، ومحمد رشيد رضا، وخليل مطران، وسليم وبشارة تقلا، وساهم هؤلاء - بجانب الأفغاني - في تنشيط المناخ الأدبي والفكري وقتها عن طريق - المنتديات والصحافة، وأفهموا مريدى ندواتهم أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة[٢] وأنهما صنوان لا يمكن الفصل بينهما باعتبارهما فنين متلازمين غرضهما التوجيه والإرشاد[٣] وتجاوب مريدوهم معهم: بعد أن عرفوا أنهم أهل علم وأدب وبعد أن ظهر نشاطهم الأدبي المطبعي[٤] كما رحب الخديوى إسماعيل؛ وقتها: بالنهضة الفكرية وبالنشاط الصحفى ليكونا - أهل الفكر والصحافة - سنده الشعبي في مواجهة الدول التي باتت تتمنى له السقوط؛ بما فيها دولة الخلافة «تركيا» بعد أن حصل على امتيازات أبعدته عن قبضتها[٥]؛ ووسط هذه الظروف المواتية لإصدار الصحف في مصر حصل سليم تقلا - في السابع والعشرين من ديمسبر ١٨٧٥م - على ترخيص بإصدار جريدة (الأهرام) جاء فيه:[٦]

(تقدم إلى الخارجية إنه من الخواجة سليم تقلا يلتمس التصريح إليه بإنشاء مطبعة تسما «الأهرام» كائنة بجهة المنشية

باسكندرية يطبع فيها جريدة تسما «الأهرام» أيضاً تشمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية، وكذا بعض الكتب كمقامات الحريرى، وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر والأشعار والقصص الأدبية وماماثل ذلك من الأشياء الجايز طبعها.. على الخواجة المذكور التعهد اللازم بعدم التعرض للدخول مطلقا فى المواد البولوتيقية).

وأصدر الأخوان: تقلا (مثال جريدة الأهرام) فى منتصف يوليو ١٨٧٦ من الاسكندرية، ثم أصدرا العدد الأول من (الأهرام) فى الخامس من أغسطس ١٨٧٦؛ وكان استقباله لدى المتعلمين - أيامها - طيباً، وقد نشر العدد الأول تحية من «الفاضل» الأديب على أفندى مظهر الطالب فى الأزهر؛ جاء فيها أنه بعد أن رأى (مثال الأهرام) «فإنه يحق لكل أديب أن يسر من الاطلاع على مثال جريدة الأهرام التى هى بلا ريب من أجل مآثر هذا العصر الذى أشرقت منه شموس التمدن فى مصر»(٧)

وتوالت الأقلام تنشر أفكارها وأشعارها على صفحات (الأهرام). انطلاقاً من الأفكار التى سادت الندوات وقتذاك

والتى تقول إن «للأدب وظيفة اجتماعية، حيث إنه محرك لإرادة العرب» [٨] وأصبح رجال الأدب والصحافة وحملة الأقلام من رواد قهوة اسبلندر بار - التى كانت تقع فى شارع إبراهيم باشا - يتحدثون عن الجريدة بجانب أحاديثهم فى السياسة والأدب والشعر والمخطوطات والآثار [٩] ونظم بعض الشعراء قصائد فى مدح (الأهرام)، كما أتحفها بعض الأدباء ببعض التقارير [١٠].

فها هو أمين الشميّل؛ يقول فيها: [١١]

مصر أهرامها كنوز بناء   وبهذى قامت كنوز معانى
إن تكن تلك آية العصر قدما   فهذى آية لكل زمان
فللأهرام بنت مصر مغان   مالأهرام أمها من مبانى

وحفل العدد الثانى من (الأهرام) بقصيدة طويلة؛ جاء فيها:

حسناء تستر وجهها عن جاهل   ولوصل عاشقها الأديب مبادرة

ومنذ العدد الخامس بدأ محمد عبده - وكان وقتها طالباً فى الأزهر الشريف - الكتابة على صفحاتها برسالة أدبية؛ أعقبها بعد ذلك بمقالات متعددة مزج فيها بين السرد والحوار.

وكما اهتمت الصحيفة بالأدب اهتمت بالفن أيضاً، فها هى تتناول مسرحية (هارون الرشيد وأبو الحسن المغفل) لمارون

نقاش [١٢]، وتكتب عن رواية (المظلوم) ليوسف أفندى خياط..
وفى ذلك كله يغلب على الجريدة الأسلوب الأدبى حتى عند كتابة أخبار الوفيات، فقد نشر أول نعى على صفحاتها يقول:

«فى هاجرة السبت المنصرم غالت يد الأقدار مجيدة الفرع والأصل، ومجيدة الأدب والفضل زينب هانم؛ كريمة من شرف قولا وفعلا»...، ويستمر خبر الوفاة إلى أن يقول:

«على أننا فى مثل هذه الحال يليق بنا أن نخاطبه متمثلين بقول من قال:

أنت بحر والحزن جمرة نار   من رأى جمرة تسخن بحراً؟[١٣]

وعلى هذا النمط الأدبى فى الكتابة مضت الصحيفة فى تدبيج ماتنشره على صفحاتها، ولكن هذه الصورة الوردية البعيدة عن السياسة ودهاليزها لم تستمر، إذ سرعان ما أصبحت الصحيفة فى قلب السياسة، بشكل مباشر كما تعددت وتنوعت التيارات التى كانت تموج بها أوساط المثقفين فى مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت الصحف ملتقى هذه التيارات وصدى لها : إنجليزية، وفرنسية، وعثمانية، ومصرية صرفة، وكان (الأهرام) صدىً للنفوذ الفرنسى فى البلاد منذ أن أصدرها سليم وبشارة تقلاً، فقد حصل صاحباها

على الجنسية الفرنسية وأصبحا تحت الحماية الفرنسية وأعطت هذه الحماية الجرأة لهما فلم يلتزما بنص تصريح إصدار الصحيفة و «عدم التعرض مطلقاً للمواد البولوطيقية» فالصحيفة سرعان ما ناقشت الأمور السياسية بشكل مباشر، بل تجرأت على نقد الخديوى - إسماعيل - فما كان منه إلا أن أمر بتعطيلها، وتعطلت كذلك (صدى الأهرام) التى أنشأها سليم تقلا لتتابع - يومياً - أخبار القتال بين دولة الخلافة «تركيا» ودول البلقان وروسيا، وأصدر الأخوان تقلا صحيفتى (الوقت) و(حقيقة الأخبار)، وتم خلع إسماعيل عن عرش مصر تلبية لمطالب الإنجليز من جهة وتحقيقاً لرغبة الباب العالى من جهة أخرى، حيث تخلص الأخير - الباب العالى - من الامتيازات الكثيرة التى كانت ممنوحة للخديوى، وعادت (الأهرام) إلى الصدور وتناولت على صفحاتها الأحوال الداخلية؛ بجانب حديثها عن الأدب والأدباء ولوم الجمهور المصرى الذى لا يشجع المواهب.

وتولى توفيق عرش البلاد، وصدرت (الأهرام) - ابتداءً من الثالث عشر من يناير ١٨٨١ - باعتبارها صحيفة - «يومية أدبية فكاهية» نظراً لأن الأدب الملاذ الوحيد الذى تلجأ إليه

الصحيفة - وغيرها - في الأزمات السياسية، وتخلصت نسبياً من السجع على صفحاتها نظراً لصدورها بشكل يومي، ولكن التزويق والتنسيق اللفظي استمر في كتابات بعض المصاحفين «التي أرسلوها للنشر تزكية منهم للجريدة أو تزكية لهم منها»(١٤) ووضح ذلك بشكل ملموس بجانب القطع الأدبية والشعرية والروايات المعربة لكبار الكتاب الأجانب.

وكان اتجاه (الأهرام) - في ذلك الوقت - واضحاً تجاه الأجانب، إذ كانت فرنسا؛ كما تعبر عنها الصحيفة؛ المثل الأعلى لجميع الأحرار، وكان هذا الرأي يراه - أيضاً - محمد عبده، والأفغاني، وأديب إسحق، وصنوع.. مع أن لفرنسا أطماعها الواضحة في مصر وفي الشام وفي الشمال الإفريقي؛ وهذه الأطماع تناقض أفكار هؤلاء وغيرهم عن الحرية وعن مبادئها - الحرية - التي أعلنتها الثورة الفرنسية!! ويظهر هذا الميل عندما تتعاطف فرنسا مع إنجلترا ضد عرابي وتصفه بالعصيان؛ حيث تسارع (الأهرام) - عندئذ - بنقد عرابي وصحبه، وتكيل الاتهامات لهم في شدة وقسوة.

وبعد نفي الأفغاني و - بعده - تلميذه محمد عبده؛ بقي النديم جوالاً بعيداً عن أعين الحكومة يصدر صحفه الثورية

المناهضة للاحتلال.. وظهرت (المؤيد) - أكبر صحيفة عربية فى الشرق - فى ذلك الوقت - واستكتبت كبار الأدباء، وسارت (الأهرام) فى الاتجاه نفسه وضمت إليها: رشيد الشميل، وسليم حداد، ورشيد سعادة، وعبده بدران، وخليل مطران، ومصطفى كامل، وأصبحت تحتفى بقصائد شوقى وتقدمها قائلة: إنها «للشاعر الألمعى والكاتب الأديب اللوذعى أحمد بك شوقى»، كما تهتم بكتابات شكيب أرسلان وسعيد البستانى، وتنشر الروايات المسلسلة، وتساهم فى بناء القصة فى مصر تأليفاً وتعريباً»[١٥].

وزادت مشاركة (الأهرام) فى الحياة الثقافية العامة فى مصر بصورة حقيقية عندما بدأت تصدر دورياً من القاهرة بدلاً من الإسكندرية؛ منذ الأول من نوفمبر عام ١٨٨٩م، فقد كانت القاهرة - وقتذاك - مجمعاً يلتقى فيه أهل الأدب؛ وبينهم حافظ «شاعر النيل»، والإمام المراغى «صاحب الأحاديث الرزينة الواعية»، وخليل مطران «شاعر القطرين»، كما كانت (كرمة بن هانئ) لشوقى إحياء لليالى الأندلس [١٦] وكانت الصحف تتنافس لجذب هذه الأسماء على صفحاتها، وقد حصلت (الأهرام) على نصيب كبير فى هذا الجانب.

وعندما حدث «الاتفاق الودى» بين إنجلترا وفرنسا؛ وخيب

ظن الكثيرين فى فرنسا على وجه الخصوص؛ باعتبارها رافعة شعار الحريات؛ لم تزد (الأهرام) عن مغازلة خفيفة لفرنسا فى قصيدة من شعر حافظ؛ يقول فيها :

أيعجبنى منك يـوم الوفـاق .. سكوت الجماد ولعب الصبى

وكم غضب الناس من قبلنا .. لسلب الحقوق ولـم تغضبـى

لكنه عندما يحدث الانشقاق بين الدولتين الكبيرتين: فرنسا وإنجلترا؛ سرعان ما تنحاز (الأهرام) إلى فريق الأقلام الوطنية الذى يعادى إنجلترا؛ حيث أصبحت الصحيفة ترمومتراً لعلاقة فرنسا بغيرها من الدول؛ وتعضيداً لذلك تستكتب على صفحاتها كبار الشخصيات فى ذلك الوقت بما يتفق ووجهة نظرها فى هذا الشقاق.

وعندما تحسم بريطانيا الأمر لصالحها وتنفرد باحتلال مصر، وتتهاوى الصحف تحت معاول الاضطهاد وقانون المطبوعات – باستثناء (المقطم) داعية الاحتلال البريطانى لمصر – تعود (الأهرام) إلى الحياد من أجل الاستمرار بعيداً عن الخلافات والمعارك بين الأحزاب، حرصاً منها على عدم الدخول تحت لواء حزب معين قد يعادى فرنسا [١٧].

توازنات سياسية

عندما أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية فى الخامس من نوفمبر ١٩١٤م، وفرضت الحماية على مصر – فى الثامن من ديسمبر من العام نفسه – بدأ بعض الشعراء والأدباء مجاراة ذلك الواقع الأليم، فهذا أحمد شوقى ينصح إلى التسليم بالمقسوم؛ ناصحاً:(١٨)

دع ما يضرك والتمس ما ينفع .. واختر لنفسك ما يزين وينفع

وتتزين صفحات (الأهرام) بشعر مناسبات لا يضر ولا ينفع، وتخلع الصحيفة على الشعراء ألقاباً، فشوقى – أمير الشعراء – قد حاز لقبه بمناسبة إحدى القصائد التى نشرها على صفحات الصحيفة، وحافظ تسبق قصائده المنشورة مقدمات مديح منها «نابغة الشعراء» حافظ أفندى إبراهيم، وطه حسين ينال تقريظاً مفرطاً على صفحة كاملة نشرتها الصحيفة بعنوان «تكريم أديب يرفع شأن الأدب العربى».. وهكذا مع كبار الكتاب وناشئتهم – فى ذلك الوقت – ممن تتوسم فيهم الفطنة والموهبة، لدرجة أن ألقاب الشعراء فى مصر قد خلعت عليهم من (الأهرام) (١٩)

والحال نفسه مع مشاهير الأدباء، فالصحيفة تستقطب المثقفين للكتابة على صفحاتها؛ ومنهم: الدكتور محمود عزمى الذى كان

يراسلها من لندن عن محادثات سعد والإنجليز، وفكرى أباظة، والدكتور هيكل، وأحمد أمين، والعقاد - الذى كان يعمل فيها بالترجمة أيضاً (٢٠) - وسليم حسن الأثرى المعروف، وأحمد الصاوى محمد الذى بدأ يكتب (ما قل ودل) على صفحاتها؛ ابتداء من مايو ١٩٢٤؛ والرحالة أحمد حسنين صاحب الاكتشافات المهمة فى الصحراء الغربية لمصر.

ورغم أن الأقلام السابقة كلها قد نشرت على صفحات (الأهرام)؛ إلا أن هذه الكتابات لم تهاجم الاحتلال بشكل مباشر، وإن كانت بعض القصائد أو القصص أو المقالات كانت تحمل أماني مصر فى الاستقلال، فهذا حافظ إبراهيم يخاطب المندوب البريطانى ساخراً:

وضح لمصر الفرق ما بين السيادة والحماية

ودع الوعود فإنها فيما مضى كانت رواية

وعندما تنشر الصحيفة - إثر نفي سعد زغلول - مقالاً يهاجم الاحتلال؛ فإنه يتم تعطيلها فى الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٢٢ لمدة ثلاثة أيام حتى يكون التعطيل درساً تستوعبه تماماً، وعندما تعود إلى الصدور يكتب طه حسين على صفحاتها مهنئاً عودتها وكيف أن البلاد بدونها ظلام وبرد شديد

يعـوزها الدفء، وأن المنقـذ مـا هـو إلا (الأهرام)[٢١] !! وهكذا ارتبطت الصحيفة بالأدباء وارتبطوا بها.

دون متاعب

استـوعبت (الأهرام) درس تعطيلهـا ثلاثة أيام؛ فـأوضـحت للأدباء الذين يكتبون على صفحاتها أنها تهتم بهم لأنهم أدباء وليس بصفتهم ساسة، وبدأت تولى اهتماماً كبيراً للأدب وأخبار الأدباء، وتنشـر الكثـيـر من القصص، وتتـابع الكتب الجـديدة وحركة التأليف، ثم أعلنت عن مسابقة أدبية تتمثل فى ترجمة عشر قصائد لشوقى إلى كل من اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وأنها ستنشر ملحقاً خاصا يضم القصائد المترجمة الفائزة مع صور المترجمين الفائزين[٢٢] كما اهتمت الصحيفة بدرجة كبيرة بشعر المناسبات وأبرزته على صفحاتها.

وعندمـا توفى رئيس تحـرير (الأهرام) داود بركـات ** اتبع أنطون باشا الجميل – رئيس التحرير الجديد – طريقة سلفه فى تشجيع الأدب، وفتح صفحات الصحيفة للكتاب لمراسلتها من الخارج [٢٣] بل إن رئيس التحرير كـان يعتبر «أن الصحـافى بحكم مـهنتـه ينبـغى أن يكون أديبـاً» وأن «حـملة الأقـلام فى

القطرين الشقيقين: كالشدياق، والبستانى، وسليم، ونديم، وتقلا، والحداد، وأديب إسحق، وعلى يوسف، ومصطفى كامل، وولى الدين يكن، وغيرهم من الذين كانوا فى آن واحد من أعلام الأدب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين؛ كانوا من مؤسسى الصحافة العربية وكانوا أركان النهضة الأدبية فى النصف الثانى من القرن الغابر والربع الأول من القرن الحالى، ومن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الأدب فى تلك الحقبة من الزمن» [٢٤]، ورغم التشجيع الواضح من الصحيفة للأدب والأدباء؛ إلا أن سياستها التحريرية كانت واضحة فى الفصل بين الإنتاج الأدبى والسياسة المباشرة، وهذا الفصل والهدوء الكبير فى اختيار ما تنشره على صفحاتها جعل الصحيفة ترفض إلحاق الدكتور محمد مندور بها؛ عندما أراد الحصول على عمل فى الجريدة؛ نظراً لآرائه التقدمية والتحررية العنيفة التى عرفته بها الأوساط الصحفية والثقافية وقتها [٢٥].

وتستمر (الأهرام) دون مصادرة أو تعطيل نتيجة نجاحها فى السير فى خط يوازن بين التيارات السياسية السائدة وقت ذاك؛ ولعدم دخولها فى معارك حقيقية أو مصادمات رغم ما مرت به البلاد من موجات حماسية وحرب ١٩٤٨ وآثارها؛ حتى كانت

الثورة المصرية فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢م، لتبدأ مرحلة جديدة فى الصحافة المصرية بوجه عام ونقلة خاصة فى عمر (الأهرام) بعيداً عن حيادها السلبى.

مركز ثقافى

قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فتغيرت البلاد: نظاماً وحياة اجتماعية؛ من حال إلى حال، ومع هذا التغير خرجت (الأهرام) عن طبيعتها المحايدة والهادئة لتؤيد - مثل أغلب الصحف والمجلات - النظام الجديد الحاكم، فنشرت بيانات الثورة وآراء القراء فيها، وظل الحال هكذا حتى الأول من أغسطس ١٩٥٧؛ عندما تولى محمد حسنين هيكل رئاسة التحرير بدلا من أحمد الصاوى محمد وعزيز مرزا لتصبح الأهرام لسان حال الثورة والمعبرة عن آمالها وطموحاتها، فقد جذب هيكل للصحيفة أهم الأقلام البارزة فى الصحف والمجلات الأخرى، وعمد على تحديثها ونقلها نقلة ملموسة لتتقدم - مهنياً وتقنياً - بشكل كبير فى عالم الصحافة المصرية العربية.

وكان عام ١٩٦٠ نقلة أخرى كبيرة بالنسبة لـ (الأهرام) حيث بدأت الصحيفة إصدار «ملحق الجمعة» وعلى صفحته الأولى

المقال الأسبوعى (بصراحة)، كما جذب هكيل صفوة الأدباء والكتاب لهذا الملحق، فأصبح لويس عوض - بعد انتقاله من صحيفة الجمهورية - محررا أدبياً مسئولا عن الملحق، والروائى الشهير نجيب محفوظ ليكتب عموداً، وتوفيق الحكيم : الكاتب المسرحى المعروف ليكون ناقدا ومستشاراً ثقافياً للأهرام[٢٦] والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) والدكتور حسين فوزى، وأحمد بهجت، ووحيد النقاش، وسليمان جميل، وغيرهم، وأصبح هذا الملحق مركزاً ثقافياً وصفه أحد الكتاب بأنه لا يقل تأثيره أهمية عن أكبر الجامعات ووزارات الثقافة[٢٧]، ثم قدم (الأهرام) خدمة ثقافية أخرى بدأها هيكل عام ١٩٦٤ عندما أسس ما أسماه (دائرة المعارف) أو (موسوعة الأهرام اليومية) والتى اعتمدت على مائة متخصص ينتمون إلى ثلاث جامعات مختلفة لتغذية الموسوعة، وأصبح الملحق الثقافى لـ (الأهرام) سجلاً دقيقاً وشاملاً للحركة الفكرية فى مصر والعالم، ولم تقتصر على أقلام كتابه ومحرريه، وإنما برزت على صفحاته أقلام أخرى لشعراء وأدباء ونقاد آخرين أصبح لهم وزنهم فى الحياة الأدبية فى الأعوام اللاحقة؛ فكان هذا الملحق الثقافى بمثابة منتدى ثقافي له تأثيره الملموس.

أصالة ومعاصرة

رغم انتماء أغلب كبار كتاب الملحق الثقافي للأهرام للتيارات القديمة في الثقافة، هذه التيارات التي ترى الأصالة وحدها هي الإبداع الحقيقي؛ إلا أن المناقشات على صفحات هذا الملحق لم تقتصر على القديم فقط، فالدكتورة عائشة عبد الرحمن التي تنتمي إلى «مدرسة الأمناء» التي كانت تضم أمين الخولي وعبد الحميد يونس، والقط، وأحمد كمال زكي، وفاروق خورشيد، والمعداوي [٢٨] والتي تغوص في تراثنا الديني العظيم باحثة عن لآلئه، وتعيش أغلب أيامها تتدبر القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، والفائزة بجائزة المجمع اللغوي وجائزة الملك فيصل؛ والمتخصصة في الأدب وعلوم الإسلام دراسة وتدريساً وتأليفاً[٢٩] تقف - أيضاً - مع التطوير الذي هو «في جوهره ليس إلا تدرج الكائن الحي في صعود إلى أفق كماله وسعيه الدائب نحو تحقيق وجوده الأسمى بكل أصالته، وتعبيره عن وجدان الأمة»[٣٠] وترى أن مقاييس هذا الإبداع «بعيدة عن النصاعة والفخامة اللفظية ومصنع السبك المحكم والقوالب

المصبوبة وبعزقة الجمل وبعثرة الكلمات» بحيث يضيف هذا الجديد جديداً إلى موروثنا الثقافى، وأنه يرتاد لنا آفاقاً لم يتشرف لها أمسنا» وفى الوقت ذاته تحذر «بنت الشاطئ» من «ملء الفراغ بتقليد النماذج الفنية للأمم «حتى لا يمسخنا هذا التقليد مسخاً بما يفرضه علينا إذا استعرنا مزاجاً أجنبياً غريباً «فالأمة لا يمكن أن تحيا بوجدان مجلوب مستعار»(٣١).

وفى ضوء هذا المفهوم للأصالة والمعاصرة؛ خاضت «بنت الشاطئ» معارك متعددة منها: معركتها العنيفة مع العقاد وهو فى صولجانه الأدبى، وعندما كتب العقاد ساخراً منها؛ كان مطلبها الوحيد فى المعركة هو «شرف الخصومة الفكرية عند الخلاف فى الرأى»(٣٢) أما ما يخرج عن شرف الخصومة من سخرية فلا، وهى تهب لشيخوخة العقاد عدوانه عليها، أما عدوانه على الحقيقة فلن تهبه له بأى حال، ففى بلد متفتح لتيارات ثقافية؛ يجب أن لا يقف الطغيان الأدبى –المتمثل فى رأى الشيوخ – فى وجه كل جديد بناء، مادام هذا الجديد لا يمثل غزواً فكرياً ويفتت وجودنا، فمستقبلنا الفكرى؛ كما تراه بنت الشاطئ؛ عبارة عن معركة فكرية تبدأ حيث تنتهى معارك

التحرير التى تشغل حاضرنا، حيث نفوت على الاستعمار الثقافى أن يستبقى ما ضاع منه من نفوذ عن طريق خفى.

وكانت أشهر معارك «بنت الشاطئ» وقفتها فى صف التجديد الذى يأتى بجديد - على حد قولها - فتنشر قصيدة من الشعر الحديث لأحمد عبد المعطى حجازى يدافع فيها عن الشعر الجديد، وكتب الشاعر أنه يهدى قصيدته للعقاد رداً على مقاله عن ما أسماه «الشعر السايب» (٣٣) وعندما دافع البعض عن العقاد نشرت بنت الشاطئ هذا الدفاع الذى يتمثل فى قصائد «على وزن قصيدة حجازى وقافيتها» (٣٤) رغم اختلافها مع فكرة النظم، وتصاعدت حدة المعركة بتصديها - بنت الشاطئ - للعقاد عندما أراد منع الشاعرين صلاح عبد الصبور وحجازى من السفر ضمن الوفد المصرى إلى دمشق لحضور المهرجان الشعرى فى ذكرى البحترى، وأرسل العقاد برقية إلى السكرتير العام للمجلس الأعلى للفنون والآداب - يوسف السباعى - تقول- : «أرجو اعتبارى مستقيلا من لجنة الشعر وحذف كلمتى فى مهرجان الشعر بدمشق؛ إذا سمح لكل من صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى بإلقاء شعرهما فى المهرجان؛ أو الاحتفال بذكرى البحترى»(٣٥)، وبدأ البعض يتهم

الشاعرين، عبد الصبور وحجازى، بأن «لهم ضمير اليهود وأن شيطانهم أحمر» [٣٦] !! ولكن بنت الشاطئ - رغم أنها لا تنتمى لجيل الشاعرين محل النقاش - اعترضت على العقاد؛ فى لجنة الشعر؛ مؤكدة أن هذا الموقف من الكاتب الكبير - العقاد - «مصادرة وحرمان»؛ وتساءلت :

- «هل من حق رئيس إحدى الهيئات الأدبية الرسمية أن يستغل نفوذه فيها ليتحكم فى أقدار الأدباء ومصائرهم تبعاً لهواه، فيرفع من يشاء ويضع من يشاء بميزان واحد هو غضبه ورضاه؟!!»

وقد أثمرت هذه الوقفة الجريئة نتيجة طيبة، إذ جعلت الكثيرين من المفكرين لا يسلمون بقيم مستعارة دون تقنينها «من الداخل لا من الخارج» حتى تدخل هذه القيم فى باب القيم الأدبية التى توارثناها عن نقاد قدامى عاشوا فى زمان غير زماننا وتأثروا بأوضاع فنية واجتماعية غير التى نعرفها اليوم، ولم يكن ذنبهم نظرتهم إلى الأدب بذوق عصرهم وخضوعهم فى نقدهم لمزاج مجتمعهم ومستوى تفكيرهم» [٣٧] وكانت هذه المعركة الأدبية نقلة جديدة فى الصحافة الأدبية فى مصر فى ذلك الوقت، إذا يتبارى الجديد مع القديم على منبر واحد، فكانت

قصائد الشعر الحديث لعبد الصبور، وحجازى، وملك عبد العزيز وأمل دنقل، وغيرهم، تجد فرصتها الكاملة فى النشر بجانب القصيدة التى تحافظ على عمود الشعر للشعراء: محمود غنيم، ونزار قبانى - فى ذلك الوقت - ومحمد السيد الشريف، وعبد الرحمن صدقى، ومحيى الدين فارس، وعبد السلام حبيب (جزائرى) وكامل سعفان وغيرهم، وبذلك كان (الأهرام) صاحب مدرسة فكرية تأخذ بالتنوع فى المذهب والاتجاهات الأدبية والأخذ بكل جديد لا يصطدم بثوابتنا وتقاليدنا وأعرافنا.

ثقافة اشتراكية.. وانتهازيون أيضاً:

من الطبيعى أن تكون صحيفة (الأهرام)؛ خلال فترة الستينيات؛ معبرة عن وجهة نظر القيادة السياسية، شأنها شأن وسائل الإعلام المصرية فى ذلك الوقت، باعتبارها وسائل تعبوية[٣٨]، وأن ينعكس ذلك - أيضاً على الأدب وعلى نقاده الذين أصبح معظمهم يندفعون لتلبية احتياجات المرحلة الجديدة، فقد كانت موجة الاشتراكية قد غزت كل شيء تقريباً، وصارت مرتبطة فى أذهان العامة بأنها الشيء الرخيص لدرجة أن واحداً من الإعلانات؛ وقتها؛ قد احتل واجهة أحد المتاجر معلناً:

«اشتروا البطانية الاشتراكية ثمن ٥٠ قرشاً» [٣٩] وقد انعكس ذلك بالطبع على ما ينشر فى الصحافة، كما وضح تأثيره فى الاتجاه العام للتأليف وعلى جزء كبير من الإبداع نفسه، حيث تسرب سوء فهم الإشتراكية إلى الأدب أيضاً، حتى تصور بعض الأدباء الصغار أن هناك - فى الأدب - قصصا اشتراكية وأخرى رجعية » [٤٠] وكتب حسين فوزى مقالات عن «الاستعمار والإمبرالية» ونشر لويس عوض عن «أدب أوربا الجديد»، واهتم أحمد بهجت بأعلام الأدب فى البلاد المختلفة: ناظم حكمت، والشاعر الفرنسى سان جون بيرس والإنجليزى برتراند راسل، والإيرلندى صامويل بيكيت مؤلف (فى انتظار جودو Waiting for Godot، وشاعر أمريكا اللاتينية نيرودا[٤١]، وأصدر الملحق الأدبى للصحيفة أعداداً خاصة عن بعض أعلام الفكر فى العلم، أحدها عن برتراند راسل بمناسبة بلوغه سن الخامسة والتسعين؛ تضمن فصولاً من كتبه (سيرتى الذاتية) قبل نشره فى بريطانيا بشهر. وكانت وجهة النظر المستمدة من الدين الحنيف تكتبها بنت الشاطئ مدافعة عن الشعر الإسلامى و«اللغة الفصحى.. وأوهام الخواص» مؤكدة أن العيب كامن فى تدريس اللغة العربية وليس فى لغتنا ذاتها كما يزعم المستشرقون[٤٢].

وتصدر (الأهرام) فى السادس من يناير ١٩٦٤ - بياناً فى صفحتها الأولى موضحة أنها سوف تحدث تطوراً كبيراً فى مادتها وإخراجها، ومع هذا التطور التقنى يزداد اهتمامها بالثقافة، ثم تصدر المؤسسة مجلة (الطليعة) يناير ١٩٦٥ - اليسارية ذات الطابع الاشتراكى، وفى إطار هذا الوجه تخصص المجلة الجديدة الطليعة ملحقاً للأدب والفن ينشر الأدب الموجه والمعبر عن هذا الاتجاه.

وعندما تحدث عاصفة ٦٧، ويفاجأ الناس بالهزيمة - على غير ما تنشره وتقول به وسائل الإعلام - يبحث الأدباء عن سبب لتلك الهاوية التى جرفتنا، ويجتمع عبد الناصر بأسرة تحرير (الأهرام) - يناير ١٩٦٩ - مباركا خطها الفكرى.. وفجأة يختفى الملحق الثقافى وتحاول الصحيفة شغل الفراغ بنشر صفحة بعنوان (فكر وفن)، وعندما يموت عبد الناصر تكون (الأهرام) ملتقى للتعبير عن الفجيعة ، فيكتب الحكيم داعياً إلى «إقامة تمثال لعبد الناصر» ويتبرع - وهو من أشاع عن نفسه البخل - بخمسين جنيها لهذا المشروع، ويكتب لويس عوض عن «صديق الفقراء» وينشر فى ذكرى وفاة عبد الناصر قصيدة بعنوان «بنتاؤور» مستعيراً اسم شاعر مصر الكبير أيام

رمسيس الثانى والذى خلد معركة قادش بقصيدته المنقوشة على معابد الأقصر(٤٣) واستمر الحال هكذا حتى حرب رمضان / أكتوبر عندما كتب الجندى المصرى أروع قصة تضحية، إذ توالت بعد هذا الحدث الكبير كلمات عن «عبور الهزيمة» وقصائد عن الجندى الذى «أطل وجهه عبر الشاشة البيضاء يلثم العلم» وأصبح هناك ما يشبه «التعبئة العامة» فى صفحات الأدب والفن فى الصحافة وفى الإذاعة (راديو وتليفزيون) وفى الندوات والملتقيات بشكل عام.

ثم كانت أول هزة تتعرض (الأهرام) لها منذ قيام الثورة عندما أقيل هيكل من رئاسة الأهرام وتم تعيين على أمين - بعد عودته من منفاه الاختيارى فى الخارج - مديراً لتحرير الصحيفة، وبعد ستة أيام فقط أصبح رئيساً لتحريرها ، وتم ندب الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام - وقتها - لرئاسة مجلس إدارة الأهرام، لتواجه الصحيفة منذ ذلك الوقت منافسة على صدارتها الملموسة وتميزها المطلق بالنسبة للصحافة المصرية، تلك الصدارة التى اكتسبتها وعاشتها أكثر من ستة عشر عاماً - منذ تولى هيكل رئاستها - دون هزة واحدة.

• لليمين در:

تعرضت (الأهرام) لهزات متعددة بعد إقصاء هيكل عنها؛ إذ لم تعد الصحيفة التي تكاد تكون الوحيدة في ميدانها تقنية وتعبيراً عن النظام، ففي عام واحد تعاقب عليها ثلاثة رؤساء تحرير (علي أمين: في التاسع من فبراير ١٩٧٤، وأحمد بهاء الدين في الرابع والعشرين من مايو من العام نفسه، وعلي حمدي الجمال في الثاني من مارس ١٩٧٥) وكانت هذه التغيرات في الاتجاه الذي يسير فيه نظام الحكم والابتعاد عن الاشتراكية أو كل ما يذكر بها، والتعبير عن الاتجاه الذي سارت فيه الدولة منذ تولي الرئيس السادات الحكم.

ونتيجة لذلك تضاءل المد اليساري شيئاً فشيئاً حتى تقوقع على نفسه بتولي يوسف السباعي رئاسة مجلس إدارة (الأهرام) – في السادس والعشرين من مارس ١٩٧٦ – وتم ضم أنيس منصور إلى أسرة تحرير الصحيفة، ليكتب عموده اليومي «مواقف» بالإضافة إلى مقال كل يوم سبت [٤٤] وثروت أباظة كاتباً ومشرفاً على صفحة الأدب بها ثم مستشاراً لها [٤٥] وركز أباظة على إحياء التراث العربي والاسلامي منذ توليه مسئولية القسم الثقافي، فكتب تحت عنوان: «إن الكرام بحفظ العهد

تمتحن» يقول:

«أنا أعرف أن المدارس المصرية لم تعد تهتم باللغة العربية الاهتمام اللائق باللغة التى نعيش بها، ولكن الأديب الذى يريد أن يصبح أديباً من لا يجوز له أنه يعتذر بذلك، فإن عليه أن يعلم نفسه اللغة التى يريد أن يصبح أديباً من أدبائها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالدراسة العميقة للتراث العربى من شعر ونثر، ثم عودا إلى العنوان: إن الكرام بحفظ العهد تمتحن».. وتكون هذه الكلمة بمثابة المنهج الذى يحدد خط صفحة الأدب فى إحياء التراث وإعطاء الفرصة للكبار واستكتاب أساتذة النقد الجامعيين الذين ينتمون لهذا التيار.

ورأى السباعى الاستفادة من حشد الكتاب والمفكرين بالصحيفة، وأحدث تغييراً فى تبويب (الأهرام) وتم التمهيد لهذا التغيير بكلمة نشرها (الأهرام)؛ تقول:(٤٦) يبدأ (الأهرام) اليوم إضافة منه لقارئه سعياً وراء توسيع الخدمة الصحفية التى يقدمها له، وقد أدت هذه الإضافة إلى بعض التعديلات فى تبويب صفحات (الأهرام) هدفها توصيل الخدمة إليه بأقل جهد منه..»

وتستمر كلمة (الأهرام) قائلة:

«كذلك سيبدأ كتاب (الأهرام) المساهمة فى المزيد بأسلوب

جديد يغطى كل منهم تجاربه وآراءه، وأفكاره منقولة عن مفكرته اليومية.. سيجد القارئ يوم السبت الدكتور حسين فوزى، ويوم الأحد يوسف السباعى، ويوم الاثنين نجيب محفوظ، والثلاثاء ثروت أباظة، والأربعاء الدكتور يوسف عوض، والخميس الدكتور زكى نجيب محمود، والجمعة يوسف أدريس كما سيجد القارئ فى يوم السبت العمود الأسبوعى للأستاذ توفيق الحكيم، كما سيجد المقال الأسبوعي الذى يقدمه أنيس منصور على الصفحة الثالثة، كما سيجد القارئ (حديث الأحد) الذى يكتبه أحمد بهاء الدين صباح كل أحد..».

وعندما تولى السباعى رئاسة تحرير (الأهرام)[٤٧] مع على حمدى الجمال – بجانب رئاسة السباعى مجلس إدارة المؤسسة بدأت «المفكرة» تتسع لأسماء جديدة؛ منها : د. يوسف عز الدين عيسى، مرسى سعد الدين، اللواء فؤاد عزيز غالى، د. نعمات أحمد فؤاد، مصطفى بهجت بدوى، يوسف فرنسيس[٤٨].. وفى النصف الأول من أغسطس ١٩٧٦ أصدرت صحيفة (الأهرام) «ملحق الفن فى أسبوع» فى أربع صفحات، خصصت الصفحة الأخيرة منه للأدب بإشراف ثروت أباظة، الذى خصصها لنشر القصص والمسرحيات، ثم تقلص الملحق إلى صفحتين فقط وركز

اهتمامه بالمسرح والسينما والإذاعة ويشرف عليه يوسف فرنسيس.

وإلى جانب صفحة الأدب - كل يوم جمعة - ظهرت صفحة ثقافية يومية باسم (دنيا الثقافة) فى الأول من أكتوبر ١٩٧٨ - قدمتها (الأهرام) على أن المشرف عليها توفيق الحكيم، ومحررها فاروق جويدة الذى حدد الهدف - من إصدارها قائلاً:[٤٩] إن الفكر المصرى فى حاجة إلى بناء جديد نراجع فيه أشياء كثيرة، وحياتنا الثقافية تحتاج إلى هزة عنيفة تخرج بها من حافة الركود التى أصابتها وقد تنوعت الأشكال الصحفية التى تنشرها هذه الصفحة (خبر/ تحقيق/ مقال/ حديث) بالإضافة إلى الإبداع القصصى والشعر والمسرح، وأثارت قضايا فكرية متعددة، منها: مصادرة كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربى، وإلغاء وزارة الثقافة، وأزمة اللغة العربية، ومشكلة القراءة عند الأجيال الجديدة وغيرها[٥٠].

واستطاعت (الأهرام) أن تقدم أسماء متعددة على صفحاتها وبخاصة فى مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة، بعد أن كانت حكراً على الأجيال القديمة فقط.

. وكما كان (الأهرام) يسعى إلى تقديم المتميز في المجال الثقافي، كان له دوره الملموس أيضاً في المجالات المتخصصة الأخرى، فقد وافق المجلس الأعلى للصحافة برئاسة الدكتور مصطفى كمال حلمي رئيس مجلس الشورى - في السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٨٩ - على الطلب الذي تقدم به (الأهرام) لإصدار ثلاث مطبوعات أسبوعية جديدة وهي : [٥١]

- «الأهرام الرياضي» مجلة رياضية تصدر كل يوم أربعاء، وصدر عددها الأول في الثالث من يناير ١٩٩٠م.

- «نصف الدنيا» نسائية.. وتصدر الآن أسبوعياً منذ بداية عام ١٩٩٠م وتخصص أربع صفحات أسبوعية للثقافة ويشرف عليها أحمد الشهاوي .

- Al -Ahram Weckkly .. وصدر عددها الأول في الثامن والعشرين من فبراير ١٩٩١م..

ثم أصدرت المؤسسة نفسها (الأهرام) مجلة أسبوعية للأطفال باسم «علاء الدين».. وظهر عددها الأول يوم الخميس ١٥ من يوليو ١٩٩٣م ثم أصدرت صحيفة أسبوعية باللغة الفرنسية (الأهرام إبدو) التي صدر عددها الأول في الرابع عشر من سبتمبر ١٩٩٤ وتعددت المطبوعات وتنوعت بشكل

كبير. وهذه المطبوعات جميعها التى تصدرها المؤسسة قد خصصت بعض صفحاتها للأدب ونشرت كتابات قصصية وشعرية مهمة، وجذبت عدداً من المبدعين للكتابة فى هذه الصفحات، ليكون ذلك تواصلاً بين (الأهرام) كمؤسسة صحفية عريقة من جهة والأدب والأدباء والمفكرين من جهة ثانية، والقراء من جهة ثالثة لتكتمل دائرة التواصل.

وإذا كانت مؤسسة (الأهرام) قد تعددت مطبوعاتها نظراً لإمكاناتها الكبيرة؛ فإن هذه المطبوعات وفى مقدمتها (الأهرام) تعد مدرسة صحفية متميزة تعيد إلى الأذهان أصحاب الأساليب فى الأدب العربى الحديث: المنفلوطى، والمازنى، وطه حسين، وغيرهم.. وإذا كانت الصحيفة قد قدمت الرواية الصحفية بنشرها بعض الأنماط الصحفية التى تجمع بين الصحافة من جهة والأدب من جهة أخرى حتى فى الأبواب الصحفية الصرفة؛ مثل كتابات المستكاوى فى الرياضة وبريد القراء الذى يحرره أسبوعياً؛ كل يوم جمعة الكاتب الصحفى عبد الوهاب مطاوع والذى جعل من فقراته قوالب قصصية متميزة.. وهذا كله يجعلنا نعيد النظر فى الأشكال الصحفية بناء على هذا الجديد الذى استحوذ على اهتمامات القراء.

لقد أصبحت (الأهرام) مدرسة صحفية متميزة لها إمكاناتها وأثرها الملموس؛ ليس فقط فى مجال نشر الثقافة وتنمية الإبداع؛ ولكن - أيضاً - على المستويات جميعها: اقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وتعليمياً وصحياً، حيث أصبحت مطبوعات مؤسسة الأهرام المتنوعة فى المجالات المتعددة مركز ثقل وطاقة نور لاتخاذ القرار، وإذا كان للصحفيين سليم وبشارة تقلا فضل إنشاء «الأهرام» فى القرن قبل الماضى لتصبح أقدم صحيفة عربية مستمرة دون توقف حتى الآن؛ مروراً بهيكل الذى جعل منها صحيفة عالمية بالفعل؛ فإن إبراهيم نافع قد جعل ثمار هذا الصرح تتعدد وتتنوع بشكل يجعلها عدة مؤسسات فى مؤسسة واحدة(٥٢).

الهوامش

١ – راجع الدراسات المتعددة التى نشرت عن الصحافة العربية: وبالأخص عن صحيفة (الأهرام) ومنها: The Arab Press لوليام رو..

٢ – عبد اللطيف حمزة، مستقبل الصحافة فى مصر، جـ ١ (القاهرة، ١٩٦١) ص٥.

٣ – منير بكر التكريتى، نظرات فى الأدب والإعلام (العراق، مطبعة الجامعة: ١٩٧٨) ص٧٢.

٤ – إبراهيم عبده، جريدة الأهرام: تاريخ وفن (القاهرة، مؤسسة سجل العرب: ١٩٦٤) ص ١٥.

٥ – عبد العليم القبانى، نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية، العدد ١٩٥ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ص ٧٠.

٦ – إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٥٢.

٧ – المرجع السابق، ص ٢٥.

٨ – محمد مندور، فى الأدب والنقد (القاهرة، دار النهضة العربية: ١٩٧٣) ص ٤٤.

٩ – محمد فهمى عبد اللطيف، مرجع سابق، ص ١٨.

١٠ – عبد العليم القبانى، مرجع سابق، ص ١٩.

١١ – إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٣٤.

١٢ – أحمد المغازى، الصحافة الفنية فى مصر، مرجع سابق ص ٧٥.

١٣ – عبد العليم القبانى، مرجع سابق، ص ١٦.

١٤ – إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٦٧.

١٥ – المرجع السابق، ص ٢٨٥.

١٦ – محمد فهمى عبد اللطيف، «كرمة بن هانى»، الأخبار، ١٩٧٦/٢/٢١.

١٧ – فاروق أبو زيد، أزمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية (القاهرة، مكتبة مدبولى: ١٩٧٦) ص ١٢٨.

١٨ – محمود فياض، مرجع سابق، ص ٥١.

١٩ – إبراهيم عبده، مرجع سابق ، ص ٤٦٤.

٢٠ – راسم محمد الجمال، عباس العقاد: رجل السياسة، رجل الصحافة: سلسلة اقرأ (القاهرة، دار المعارف: مارس ١٩٧٩) ص ٣٣.

* رحالة مصرى كانت له مكانة ملموسة فى القصر فى ذلك الوقت، تزوج لطيفة – كريمة الأميرة شويكار الزوجة السابقة للملك أحمد فؤاد – وأصبح صهراً للأسرة المالكة..

انظر:

– مجلة الاثنين، «عندما تغضب الصحراء»، العدد: ٣٩٠، فى ١٢/١/١٩٤١، ص ١٠ و ١١و ٢٨.

– مجلة الجيل، «مذكرات التابعى»، الأعداد: ١٦٦، ٢٦٧، ١٦٨، فى ٢٨ من فبراير و ٦و ١٣ من مارس ١٩٥٥.

٢١ – إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٥٧٧.

٢٢ – الأهرام ، ٢٢/ ١/١٩٢٨، ص ١.

** فى الرابع من نوفمبر ١٩٣٣..

٢٣ – الأهرام، فى ٩/١١/ ١٩٣٣، ومنهم يحيى حقى فى مقالاته التى جمعها فى كتابه «خطوات فى النقد» ضمن مؤلفاته الكاملة التى صدرت عن الهيئة العامة للكتاب فى مصر عام ١٩٧٦.

٢٤ – عبد الله حسين، مرجع سابق، ص ٥٥.

٢٥ – رجاء النقاش، أدباء معاصرون، مرجع سابق، ص ١٨٨، ويذكر أن مصطفى أمين – عضو مجلس الإدارة ورئيس قسم الأخبار بالأهرام وقتها – هو الذى تزعم معارضة هذا التعيين بشدة.

٢٦ – Marrin Walker, Powers of the Press, London, Quartet books, p.174.

٢٧ – غالى شكرى، ثقافتنا بين نعم ولا، ط١ (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر: ١٩٧٢) ص٨٧.

٢٨ – الأهرام، ٦/٨/١٩٧٥، ص ١٣.

٢٩ – الأهرام، ٢٤/ ٣/ ١٩٦١، ص ١٣، وقد فازت بنت الشاطئ بجائزة الملك فيصل العالمية فى العام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٠ – الأهرام، ١٨/١٢/١٩٦٤، ص ١٣.

٣١ – المصدر السابق نفسه.

٣٢ – الأهرام، ٧/٤/١٩٦١، ص ١٣.

٣٣ – الأهرام، ٢٣/٦/١٩٦١، ص ١٣.

٣٤ – الأهرام، ٧/٧/١٩٦١، ص ١٣، وكتب هذه القصائد: محمود سلطان المراكبى، والسيد محيى الدين الباز، وفوزى عرفة، وأبو زيد إبراهيم، وكلها على وزن (مستفعلن فعلن).

٣٥ – الأهرام، ٢٠/١٠/ ١٩٦١، ص ١٣.

٣٦ – المصدر السابق، ص١٣.

٣٧ – الأهرام، ٣/ ١١/ ١٩٦١، ص ١٣.

٣٨– William A. Rugh, The Arab Press (U.S.A Syrause Iniversity Press : 1979).

٣٩ – الأهرام، ٢٢/١٢/ ١٩٦١، ص١٣..

٤٠ – المصدر السابق، ص ١٣.

٤١ – الأهرام، الأعداد: ١٢/ ٩و ٣٠/ ١٠و١٥/ ٩ و ٨/٩ / ١٩٦١ و ٣٠/٧/ ١٩٦٢، صـ١٣.

٤٢ – الأهرام، ٧/٧/ ١٩٦٢.

و الأهرام، ١/١٢/١٩٦١، ص ١٣.

٤٣ – الأهرام، ٢٨/٩/١٩٧٢.

٤٤ – الأهرام، ٢٦/٣/١٩٧٦.. ولم يستمر أنيس منصور فى كتابة مقاله الأسبوعى، واكتفى بعاموده اليومى، ثم تولى رئاسة تحرير مجلة (أكتوبر) التى أسسها واستمر رئيساً لتحريرها حتى وصل إلى سن التقاعد، ثم تولى رئاسة تحرير صحيفة (مايو) الحزبية فى ١٠/٨/١٩٨٩ بناءً على قرار من الرئيس مبارك رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى.

٤٥ – انضم إلى (الأهرام) وكتب أول مقال له فى ٢٣/٤/٧٦ بعنوان (الرجل والكبرياء) ثم أشرف على صفحة الأدب ابتداءً من ٣٠/٤/ ١٩٧٦.

٤٦ – الأهرام فى ٨/٥/١٩٧٦، ص ١.

٤٧ – الأهرام فى ٣/٧/١٩٧٦.

٤٨ – بدأ يكتب «المفكرة» كل يوم جمعة، ولم تنتظم مفكرة يوسف إدريس الذى ذكر (فى حوار معه فى مكتبه بالأهرام) فى ذلك الوقت – أن أغلب مقالاته تمنع من النشر، ومنها مقال بعنوان (هل تحترق القاهرة مرة أخرى) كتبه فى ١٢/١/١٩٧٧

قبل مظاهرات ١٩/ ١٩ يناير ١٩٧٧.

٤٩ - الأهرام، الأول من أكتوبر ١٩٧٨.

٥٠ - الأهرام، ٣٠/ ١٠/ ١٩٧٨ وبها تقويم لصفحة (دنيا الثقافة) في شهر، كتبه محررها فاروق جويدة. وقد بدأت الإشراف عليها سناء صليحة منذ ٣ من مارس ٢٠٠٢م، كما تولى بهاء جاهين منذ ٢٢ من يناير ٢٠٠٢م الإشراف على صفحة «الأهرام الأدبي» بدلاً من سامح كريم.

والأهرام، ٣/ ١٠/ ١٩٧٩ وبها حصاد الصفحة في عام: تحت عنوان (دنيا الثقافة.. وعامها الأول).

٥١ - الأهرام، ٢٦/ ١٢/١٩٨٩.

٥٢- تشمل هذه المطبوعات : جريدة الأهرام ـ الطبعة الدولية للأهرام/ الأهرام الاقتصادي/ الأهرام ويكلي/ الأهرام المسائي/ الأهرام إبدو/ مجلة نصف الدنيا/ الأهرام الرياضي/مجلة الشباب/ علاء الدين/ السياسة الدولية/ الأهرام العربي/ مجلة البيت.. بالإضافة إلى مطبوعات مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٩)

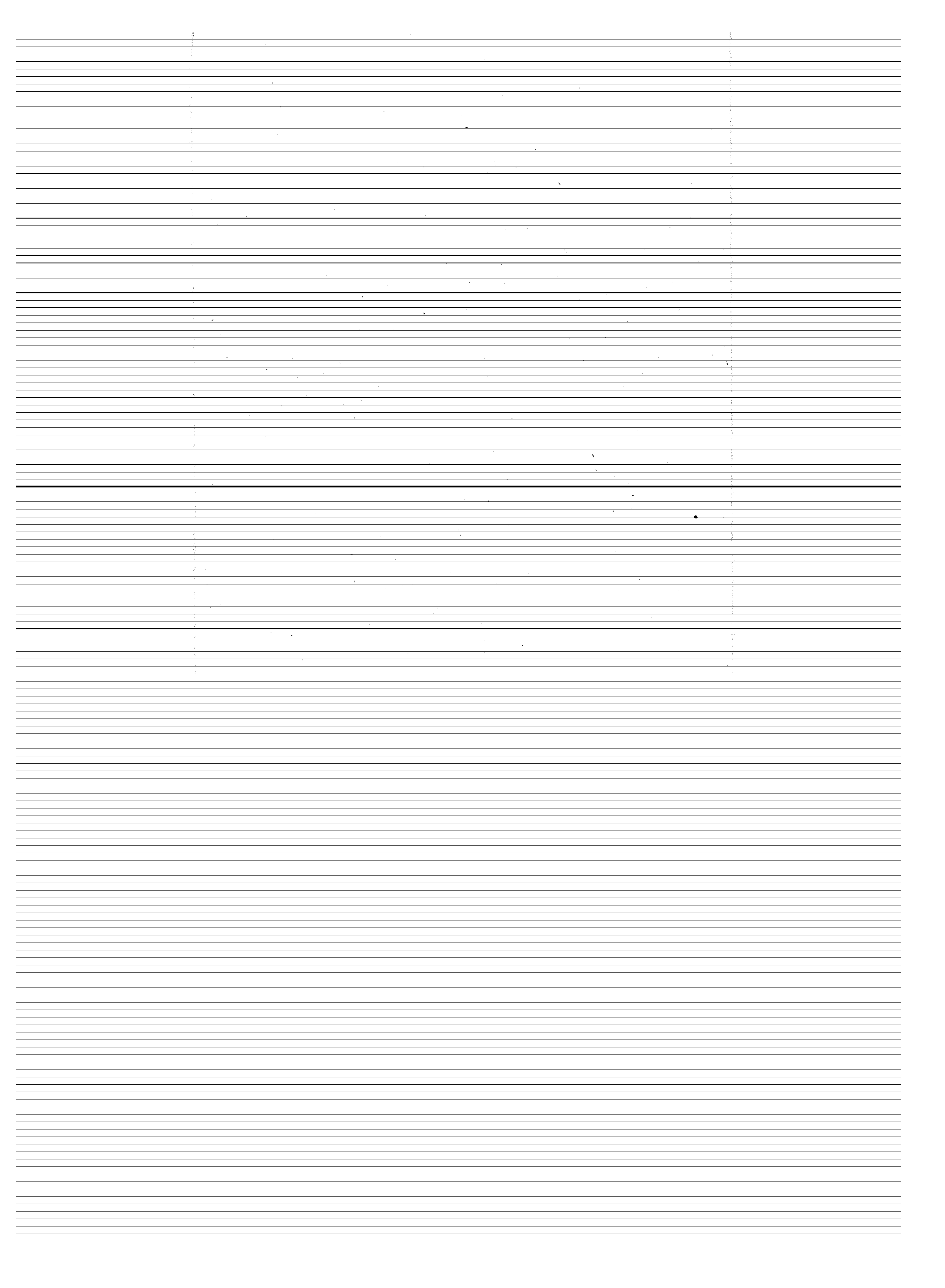
الأدب فى صحافة «أخبار اليوم»

مدرسة جديدة وعبارات وثابة

كل ما أرجوه الآن أن لا تحدث أى هزات فى المنطقة، وأن نركز قوانا على كسب قلاع جديدة فى الرأى العام العالمى على حساب إسرائيل التى فقدت جزءاً كبيراً من العطف الذى كانت تتمتع به، ولا زلت ألح فى وجوب إرسال عدد من المطلعين إلي عواصم العالم لشرح وجهة نظرنا، ومحاولة كسب الذين يتشككون فى نوايانا، وينسون أن اليهود يرمون مليون فلسطينى فى البحر.

*** على أمين ***

من رسائله إلى شقيقه مصطفى أمين



عندما طالع قراء (الأهرام)- فى الأول من نوفمبر ١٩٤٤- إعلانا عن صحيفة مصرية جديدة؛ يقول:

«أخبار اليوم

يصدرها قريباً مصطفى أمين

بعد استقالته من مجلة (الاثنين)»

لم يكن القراء ولا الصحفيون ولا أصحاب الصحف - فى ذلك الوقت- يتوقعون للصحيفة المنتظرة مثل هذا النجاح الكبير أو التأثير الواضح على الصحافة المصرية والعربية بشكل عام.

فقد صدر العدد الأول من (أخبار اليوم) الأسبوعية فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩٤٤م ليمثل قفزة جديدة فى عالم الصحافة وحصاد تجربة طويلة عاشها مصطفى أمين - رئيس التحرير- وعلى أمين؛ مدير التحرير؛ حيث بدأت أولى محطات هذه الرحلة من جريدة (الجهاد) لتوفيق دياب، و(المصرى) لمحمود أبو الفتح، و (كوكب الشرق) مروراً بـ (الوادى) المسائية،

ومجلة (آخر ساعة) التى ترأس تحريرها مصطفى أمين أيضاً، ثم قيام جبرائيل تقلا بتعيين مصطفى أمين رئيساً لقسم الأخبار بصحيفة (الأهرام) بجانب رئاسته تحرير مجلة (آخر ساعة).

وفى الصحيفة الجديدة عمل الأخوان: مصطفى أمين وعلى أمين، واجتهدا أن تكون صحيفة (أخبار اليوم) تمثل «صحافة الملايين»[١] بخلاف أن تكون «صحافة الخاصة» والتى كان جمهورها من المثقفين وكبار الموظفين، فهذه الصحافة الجديدة «تزأر ولاتهمس»[٢] وتعتمد على الإثارة؛ كما يقول رئيس تحريرها الذى يؤكد «أن الاسلوب الذى يسمونه إثارة هو أسلوب الحياة، هو التلغراف الذى حل محل الحمار»[٣] وأن تكون «صحيفة تقدمية بمعنى التجديد والخلق والابتكار»[٤]..

وقد ساعدت الصلات القوية للأخوين مصطفى أمين، وعلى أمين على تحقيق حلمهما فى إصدار صحيفة قوية الانتشار؛ فصلاتهما فى ذلك الوقت بالسياسة والمشاهير كانت قوية منذ أن تربيا فى «بيت الأمة»، كما أن الأمير محمد على – ٧٠ سنة – ولى عهد المملكة المصرية فى عهد فاروق (والذى اشتهر بولائه للإنجليز ومهاجمة المصريين) كان يعرف والدهما وزاره فى بيته عدة مرات[٥]، وعلى أمين عمل عام ١٩٤٣« مديراً لمكتب معالى

أمين عثمان باشا» [٦] صاحب الدور الملموس فى السياسة المصرية حتى اغتياله فى الخامس من يناير ١٩٤٦.. ومصطفى أمين له صلاته بالقصر - كما يذكر - لدرجة تجعله يقترح على الملك أن يعقد مؤتمراً صحفياً كل أسبوع؛ يرد فيه على أسئلة الصحفيين، وقد استفاد من هذه العلاقات بدرجة كبيرة وبخاصة بعد خلع فاروق ونشر (أخبار اليوم) الأسرار الخاصة للملك - كما ذكرت الصحيفة - مع خليلاته [٧]!!!..

ونتيجة لهذه العوامل مجتمعة، ولدت (أخبار اليوم) مختلفة عن الصحافة السائدة وقتذاك « وغلب عليها طابع الصحافة من أجل الصحافة» [٨] ومثلت مدرسة الخبر الصحفى: هذه المدرسة التى تنظر إلى الصحافة على أنها حرفة لا تشترط الموهبة الأدبية للعاملين فيها، فلم يعد الأدباء الذين يعملون فيها - يسمون « ما يكتبون فى قالب المقال باسم المقال، وإنما أطلقوا عليه تسميات أخرى كالصورة واللوحة واليوميات» [٩] فتوفيق الحكيم عندما يكتب فى أخبار اليوم فإنه يوقع ما يكتبه بصفته (توفيق الحكيم الصحفى) والمازنى يجارى الطابع العام للصحيفة ويكتب عن «كيف تتحبب الزوجة إلى زوجها»[١٠].

واستقطبت (أخبار اليوم) جيلاً جديداً دخلها ليس عن طريق الأدب كما فعل الجيل الذى سبقه، وإنما عن طريق الخبر المثير والتفتت فى جذب القارىء للارتباط بالصحيفة... وهكذا نجحت (أخبار اليوم) – منذ عددها الأول – فى توسيع دائرة انتشارها.

من الأدب الى الصحافة :

إذا كانت (أخبار اليوم) قد صدرت وهى تحمل سمات مدرسة جديدة فى الشكل الصحفى؛ قوامها الخبر؛ إلا أنها من حيث المضمون كانت تثير اعتراضات كثيرة، فقد كان ينظر إليها على أنها مدرسة «الرجل الذى عض كلباً»[١٢] لاهتمامها بالإثارة إلى درجة كبيرة[١٣] هذه الإثارة التى جعلت منها زاداً مهماً للقراء وجعلها منذ بدايتها تخرج باسم كبير وصورة ذهنية غير مسبوقة[١٤].

وفى الوقت الذى كانت فيه تضم حشداً من الأقلام اللامعة؛ كانت هذه الأقلام تتسابق فى مجاراة الصحيفة وحسها الصحفى بحثاً عن الذى يشد القراء، فتوفيق الحكيم (الصحفى) يكتب عن مشاهداته فى أسوان[١٥] والمازنى يكتب صحافة لا أدباً، وكامل الشناوى ينشر خواطره، وهذه الأقلام كلها تصبح

مجندة لخدمة الحدث الصحفى والخبر المثير.

فعندما يقوم الملك عبد العزيز آل سعود برحلة إلى مصر، تجند الصحيفة كتابها وتضيف إليهم كريم ثابت (أحد أفراد الحاشية والمستشار الصحفى للملك فاروق والباشا والوزير ضمن وزارة حسين سرى التى استمرت من ٢٩ /٦ / ١٩٥٢ حتى ثورة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢) وقد استفادت الصحيفة كثيراً من علاقتها بكريم ثابت القريب من القصر*، ويكتب بيرم التونسى فى (أخبار اليوم) عن رحلة «الملك سعود» قائلا [١٦]

عبد العزيز اللى عرشه قام بيمينه
وساس رعاياه بشرع الله وقانونه
وأرهب المجرمين والليث فى عرينه
وعشش البوم والغربان فى سجونه
أصبح وكافة طغاة الأرض هايبينه
من قبل ما يظهر البترول وعيونه
لكن هو الله ينصر من نصر دينه
واليوم يصافح أخوه فاروق وقرينه
فى رفع شأن العرب والشرق وشئونه
حتى يتم المراد اللى احنا قاصدينه.

فكانت (أخبار اليوم) تستفيد من علاقتها برجال القصر فى تحقيق أمجاد صحفية تتفوق بها على الصحف الأخرى فى ذلك الوقت وذلك بالإضافة إلى الأقلام المعروفة التى استقطبتها للكتابة على صفحاتها .

عدالة معصوبة العينين :

انتهت الحرب العالمية الثانية ولم تحصل مصر على استقلالها - كما وعدتها بريطانيا - فحدثت حالة غليان سياسى فى الديار المصرية؛ كانت نتيجتها موجة اغتيالات سياسية احتجاجاً على معاهدة ١٩٣٦، وعلى فساد الحكم، وعلى الأسلحة الفاسدة وصفقاتها التى أبرمها مندوبو الجيش المصرى، وأثار النائب مصطفى مرعى هذه القضية فى مجلس الشيوخ ونشرها إحسان عبد القدوس على صفحات (روز اليوسف) [١٨] ووقفت صحف كثيرة إلى جانب (روزاليوسف) تدافع «عن تمثال العدالة المعصوبة العينين؛ فى يسارها ميزان وفى يمينها سيف»[١٩].

ووزع الشعراء قصائدهم - المخنوقة - سراً:

فالشاعر الغنائى اسماعيل الحبروك يتحسر على ليل القاهرة قائلاً: [٢٠]

سأنام قبل العاشرة ... وتنام مثلى القاهرة
نمنا وظلت بعدنا ... عين المفاوض ساهرة
وضعوا النصوص وجهزوا ... نعشاً؛ لمصر الثائرة

والشاعر الغنائى مأمون الشناوى يواسى نفسه قائلاً:

قلت للحارس: قل من أنت يا حارس قل بربي
أنت يا مسكين مغلوب على أمرك.. مثلي
هب حكامى وقوادى وأعدائى... لقتلي
وغداً ينفجر المرجل.. فالمرجل يغلي

ووسط هذا الغليان كانت (أخبار اليوم) تحذر – بعد مقتل أمين عثمان – من أن «هناك مؤامرة بين عدد من الشبان وأنهم أقسموا على قتل عدد من أصحاب المعالى الوزراء»[٢١] وينصح توفيق الحكيم الشبان قائلاً إن «من واجبنا أن لا نشجع الشبان على العنف ولكن من واجبنا أيضاً أن ننبه إلى أن الشرق قد تغير»[٢٢] وتتوسع دار (أخبار اليوم) وتضم إليها مجلة (آخر ساعة) بعد أن «رأى الأستاذ التابعى – صاحب المدرسة الصحفية أن يتفرغ للكتابة، وتم الاتفاق بينه وبين مصطفى أمين وعلى أمين على أن تقوم دار (أخبار اليوم) بإصدار مجلة (آخر ساعة) وتخلى عن امتيازها لزميليه القديمين»[٢٣]، وتصدر (آخر

ساعة) أسبوعياً كل يوم أربعاء، وتسير فى خط (أخبار اليوم)..

وينضم إلى الدار محمد زكى عبدالقادر بعد انتقاله إليها من (الأهرام) وتشترك (أخبار اليوم) مع الصحف الكبرى في العالم فى شراء «مذكرات دوق وندسور» و «إيفابراون خليلة هلتر»، وغير ذلك من مذكرات مثيرة «لترقص الجماهير - كما يذكر مصطفى أمين - على أنغامها»[٢٤]!!! فهذه هى صحافة «أخبار اليوم» صحافة شعبية بالدرجة الأولى .

وتشتهر (أخبار اليوم) بأسلوبها المثير والمؤثر، وتستكتب الشخصيات المرموقة، وإذا عجزت هذه الشخصية اللامعة عن الكتابة يكتب لها مصطفى أمين - كما يقول - وعلى أمين المقالات التى تعبر عنها!! بالإضافة إلى المقالات التى كان يوقعها مصطفى أمين بتوقيعات مختلفة، مثل: (مصمص) و(جو) و(م) و(الصحفى المجهول) و(الجبرتى الجديد) [٢٥] وغيرها.. وقد انتشرت هذه البدعة - بدعة التخفى وراء أسماء مجهولة - وأصبحت هذه الظاهرة آفة من آفات الصحافة المعاصرة تخفى خلفها في أحاديين كثيرة أصابع متعددة للإبتزاز والتجريح والشائعات.. وخصصت (أخبار اليوم) صفحة للسينما والمسرح والفنون؛ غلب عليها الطابع الإعلانى لدرجة أن ما كان «ينشر

فى هذه الصفحة - كما يقول رئيس التحرير وصاحب الدار - يجب أن يكون إعلاناً»(٢٦)!!

وفى الوقت الذى كانت فيه صحافة «أخبار اليوم» تتحدث عن الفساد فى مصر، وتستخدم كلمة (باشا) بمعنى (لص)(٢٧) كانت «الدار» وكبار كتابها غير منغلقين على أنفسهم، فمحمد زكى عبدالقادر يكتب عن «الهواية العجيبة» فى عد طوابق العمارات والمنازل، وسلامة موسى يكتب عن» «الانتحار السيكولوجى» وإبراهيم المصرى ينصح السيدات قائلا: «كونى سيدة بيت كاملة»(٢٨) ومحمد التابعى يراسل الصحيفة من باريس، تحت عنوان «ماذا لو سرق طلبة جامعة فؤاد ملابس طالبات الجامعة الداخلية» عن طلبة إحدى الجامعات الأمريكية الذين احتفلوا بنهاية العام الدراسى «باقتحام عنابر نوم الطالبات وخطف ملابسهن (الأنتيم)» ويستمر التابعى فى سرد أسماء الملابس الداخلية للطالبات فى إثارة كبيرة حتى يصل إلى القطعة «التى استعملت أمنا حواء بدلاً منها ورقة التوت»(٢٩)!!!

أما محمد توفيق دياب فيكتب فى العدد نفسه - الذى يتضمن الرسالة الصحفية للتابعى- عن عظمة سرى باشا رئيس الوزراء مشيداً بالحديث «المشهور الذى أدلى به حضرة صاحب

المقام الرفيع حسين سرى باشا قبل توليه الوزارة إلى الأستاذ كامل الشناوى فى جريدة (الأخبار).... إلخ»[٣٠]

وهكذا كانت (أخبار اليوم) تعيش جواً صُحفياً غير مسبوق فى ابتكار الأفكار الصحفية وتنفيذها والبقاء على خط واحد مع ما يريده القراء، وتوسل بكل ما يجذب القراء من هوايات وغرائب ويانصيب[٣١] فى عرض صحفى جذاب ومثير، وفى الوقت نفسه كان الغليان السياسى فى البلاد فى أقصى درجات حرارته: هذا الغليان الذى تفجرت عنه ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ التى أحدثت بدورها تغييراً جذرياً فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والصحفية فى المقام الول.

فى ركب الثورة :

عندما نجحت ثورة الجيش فى مصر؛ كانت مؤسسة «أخبار اليوم» تمثل قوة انتشار. صحيفة لا يستهان بها : (أخبار اليوم) و(آخر ساعة) بالإضافة إلى (الأخبار الجديدة) التى أصدرتها الدار قبيل الثورة – ١٥ يونيو ١٩٥٢ – ورأس تحريرها فى وقت واحد سبعة من كبار الصحفيين؛ هم: أحمد الصاوى محمد، وجلال الدين الحماصى، وعلى أمين، وكامل الشناوى، ومحمد

التابعى، ومحمد زكى عبد القادر، ومصطفى أمين.

وخرجت (الأخبار) فى تبويب وإخراج جديدين تماما عن الصحف الموجودة وقتها، كما أوفدت كبار محرريها إلى دول العالم: توفيق الحكيم إلى سوريا، ومحمد حسنين هيكل إلى الهند وتركيا وإيران وكوريا، وناصر النشاشيبى إلى بلاد الشرق الأوسط، وموسى صبرى إلى إيران وأمريكا، وأنيس منصور - بعد انتقاله من (الأهرام) - إلى الدول الأوربية وراسلها الدكتور محمود عزمى من أوروبا وأمريكا، واستكتبت عبد الحميد عبد الغنى - السكرتير بوزارة الخارجية وقتها والذى تولى رئاسة تحرير (أخبار اليوم) عام ١٩٧٦م - والدكتور حسين فوزى الوكيل الدائم لوزارة الثقافة والإرشاد، ويحيى حقى مدير مصلحة الفنون، وأحمد رامى شاعر الشباب، وفائق السامرائى سفير العراق فى مصر، فكانت فى مقدمة الصحف المصرية التى تهتم بالمراسلين فى داخل البلاد وخارجها سواء مراسلين مقيمين أو متجولين أو مراسلى مهمات محددة.

واستغلت «دار أخبار اليوم» هذا الانتشار والنجاح الذى حققته لتأييد الثورة ورجالها تأييداً مطلقاً، واحتلت صورة اللواء «محمد نجيب بك» الصفحة الأولى فى (أخبار اليوم) بدلاً من

الملك السابق.. وتحمل (أخبار اليوم) - إلى الشعب المصرى والجنود - رسالتين بخط اللواء «محمد نجيب بك» تفيدان أنه قد «انتهى العهد الماضى ولن يعود، وليس من المعقول أن يبقى على المسرح المسئولون عن كل ما حدث، وواجبهم أن يتواروا ليحل محهم دم جديد».

وتتبارى أقلام (أخبار اليوم) فى الوقوف بجانب الثورة، فالتابعى صاحب الرسالة الباريسية الشهيرة قبل الثورة بأيام والتى تتساءل: ماذا لو سرق طلبة جامعة فؤاد ملابس طالبات الجامعة الداخلية...؟!! يكتب أنه «قد وقع ما كان لابد أن يقع» وجلال الدين الحمامصى يقول إنه «كانت أمنية هذه الدار أن تقوم حملة تطهير شاملة لا تبقى فاسداً دون عقاب» وتتأول الكتابات السابقة على الثورة - كما يفسرها أصحابها - إلى نضال فى نضال، فمصطفى أمين يكتب أن الملك السابق سأله من هو الخطاف الذى يقصده فى كتاباته.. ويذكر - مصطفى أمين - أنه كان يقصد الملك حين كتب فصلين فى «كتاب اليوم» أولهما بعنوان (مرآة) قال فيه:

«حار الناس فيه!.. أهو ذكى أم غبى، له عبقرية الأذكياء وتصرف المجانين.. أهو مظلوم أم رئيس عصابة.. فيه براءة

المجنى عليه وسمات الشجاع «وهو كلام عام يمكن أن يكون مدحاً - أيضاً - وليس قدحاً فى أى شخص وليس ضد شخص بعينه.. وكانت الأحداث المتلاحقة بعد الثورة والتغييرات الجديدة - كما يذكر أحد رؤساء تحرير (الأخبار) - «فرصة للإسراف فى المانشيتات والعنوانات الضخمة المثيرة ونشر القصص والمحاكمات والجرائم التى تجعل الصحيفة فى مقدمة الصحف المصرية فى ذلك الوقت من حيث التوزيع، فيكتب مصطفى أمين فى (الأخبار) و(أخبار اليوم) سلسلة بعنوان «مذكرات فاروق» استمر نشرها عدة حلقات، حتى ينهيها كاتبها قائلاً: «وفقد فاروق إلى الأبد وجوده كشىء يتحدث عنه الناس، أما القيود فقد فقدتها مصر».... وما إن ينهى مصطفى أمين هذا المسلسل الجماهيرى، حتى يبدأ - فى الأسبوع الذى يليه مباشرة - نشر سلسة أكثر إثارة ؛ عنوانها «مذكرات الملكة غير المتوجة» والتى بمجرد نشر الفصل الأول منها فى (أخبار اليوم) أحدثت ضجة ونفد العدد بعد صدوره» وفى هذه المذكرت روت خلية فاروق لمصطفى أمين - كما يذكر - أسرارها الشخصيه كلها مع الملك.

وهكذا كانت الثورة منجم أحداث مثيرة ومسلسلات استفادت منها (أخبار اليوم) بدرجة كبيرة فى زيادة مساحة انتشارها

ورفع معدل توزيعها وإثبات أنها الصحيفة الجماهيرية الأولى فى ذلك الوقت.

وبجانب هذه المسلسلات المثيرة التى تربط القراء بالصحيفة؛ كنت هناك الأعمدة الصحفية والأركان الثابتة لكل من : محمد زكى عبدالقادر «نحو النور» وأحمد الصاوى محمد «ما قل ودل» وكامل الشناوى «وجهة نظر» وعلى أمين «وجلال الحمامصى «دخان فى الهواء».

وكانت (الأخبار) من أسبق الصحف فى تخصيص أركان صحفية على صفحاتها، فبدأ ركن (أخبار الفن) يظهر يوم الأربعاء من كل أسبوع، بإشراف كمال الملاخ، ثم تغير الركن - فى ٧ /١١ / ١٩٥٢ - ليصبح عنوانه (أخبار الأدب) وينشر كل يوم فى الصفحة الأخيرة فى مساحة ربع صفحة بإشراف محمد زكى عبد القادر، ثم أشرف عليه - ابتداء من ٧ من ديسمبر ١٩٥٢ - أنيس منصور، وأثار فيه بعض القضايا والملاحظات الأدبية، وإن كانت هذه القضايا يغلب عليها المزاج الشخصى، نظراً لما درج عليه مشرف الباب منذ عمله فى (مطبوعات أخرى) من الكتابة تحت أسماء مستعارة؛ منها: «سلفانا ماريللى و«أحلام شريف» و«شريف شريف» و«منى جعفر» مما أعطاه

مساحه كبيرة من فرصة عرض رأيه وتسفيه الرأى الآخر فى بعض الأحايين، فها هو يرد على د. إبراهيم حفنى، الذى وصف أدبنا العربى بأنه «بنيان قديم»، وينشر أنيس منصور رده على الدكتور حفنى تحت اسم مستعار (شريف شريف) قائلاً «قل لى يا دكتور أنت دكتور فى ماذا؟.. وهل هذا النقد الذى تقدمت به حضرتك.. نقد وقائى أو نقد علاجى؟ نقد للوقاية من وباء القصة القصيرة؟ أنا وغيرى نشكرك على هذه النية الطيبة.. ولكن ألا يوجد علاج للنقاد من أمثال حضرتك؟ ألا يوجد(فلتر) تضعه فى قلمك وأنت تكتب هذا للنقاء من النيكوتين من الأفكار السامة؟»!!

ورغم غرابة ما ذكره الدكتور حفنى عن أدبنا العربى، إلا أن الموقف كان يتطلب المواجهة بأسماء حقيقية وبحجج منطقية وليس بالتهكم والسخرية والتجريح.. وكانت الصفحة الأخيرة فى (الأخبار) تنشر – يومياً – قصة قصيرة، مصرية أو مترجمة، بالإضافة إلى الركن الأدبى «أخبار الأدب» و«فكرة» لعلى أمين، ثم منوعات وخواطر بعنوان «وراء الأخبار والحوادث» التى تحولت إلى «يوميات الأخبار» ابتداء من الأول من ديسمبر ١٩٥٢م ويكتبها كبار الكتاب والصحفيين: مصطفى أمين، وكامل الشناوى، ومحمد زكى عبدالقادر، والتابعى، سلامة موسى،

وناصر الدين النشاشيبى، وعلى أمين، ثم - بعد ذلك - موسى صبرى، ومحمود أمين العالم، وحسين فهمى، ونعمان عاشور ورشدى صالح الذى انضم إلى الدار - فى الخامس من فبراير ١٩٦٦ - ورأس القسم الثقافى بها وقدم باب (فن وثقافة) ثم أشرف على (الملحق الأدبى مع أنيس منصور منذ ١٩٦٨ / ١٩٧٠، ثم استمر يشرف عليه بعد انتقال أنيس منصور إلى (آخر ساعة) حتى عام ١٩٧٦، وجاذبية صدقى، ومحسن محمد، ثم الجيل الثالث من أقلام الدار : وجيه أبو ذكرى، ومحمد مصطفى غنيم، ومحمد العزب موسى وجمال الغيطانى ثم الأبنودى.. وتعد «يوميات الأخبار» شكلا صحفياً مميزاً يجمع السياسة والأدب والتاريخ والصحافة حيث يجمع هؤلاء الكتاب والأدباء فى يومياتهم بين شخصية الصحفى وذاتية الأديب ومراعاة مقتضى الصحافة العامة وجمهورها غير المتخصص بشكل عام، بل لقد اعتبر البعض أن هذه اليوميات تميل إلى الأدب باعتبارها كتابة ذاتية أكثر من كونها صحافة .

اشتراكيون.. والله أعلم..!! :

«الاشتراكية الصحفية هى أن يقتسم القراء الأرباح مع

الصحف التى يقرأونها، وها هما (آخر ساعة) و(الجيل) يقدمان قنبلة الموسم الصحفى.. ليربح القراء ٣ آلاف جنيه». ومسابقات وأفكار جماهيرية وعوامل جذب تقدمها دار (أخبار اليوم) لكسب القراء، وتؤيد الوضع الجديد بشدة ولأقصى مدى، فعندما تحدث أزمة مايو عام ١٩٥٤م وتنقسم الصحافة إلى فريقين: أحدهما يرى عودة الجيش إلى ثكناته وإعادة دستور ١٩٢٣م وإعادة الأحزاب إلى الحياة السياسية وتتزعم هذا الاتجاه (روزاليوسف) و(المصرى) فإن «دار أخبار اليوم» تتزعم الاتجاه الآخر الذى يؤيد الوضع الجديد ويطالب ببقاء الجيش فى الحكم، وتستمر مؤيدة لكل قرار يتخذه رجال الثورة وشارحة له فى حماس كبير.

وعندما يصدر قانون تنظيم الصحافة، ويتم إبعاد مصطفى وعلى أمين عن دار «أخبار اليوم» يتم تعيين محمود أمين العالم رئيساً لمجلس إدارة الدار، ويرأس تحرير (الأخبار) أحمد الصاوى محمد وحسين فهمى ومحمد زكى عبد القادر وموسى صبرى.. وتسير الصحافة وقتذاك فى الاتجاه اليسارى البعيد عن خطها معبرة عن خط الدولة، وتكون صحف «دار أخبار اليوم» فى مقدمة الصحافة المعبرة عن الخط الحكومى

الاشتراكى وقتذاك والتعبئة القومية له، وعندما يطرح عبد الناصر برنامج ٣٠ مارس للاستفتاء الشعبى عليه؛ تقوم الدار بطبع البرنامج وتوزيعه هدية مجانية مع الأخبار ويتحول كتاب الدار إلى مفسرين للبرنامج، ويكتب محمود أمين العالم عن النظرة الانفعالية التى تسيطر على الصحيفة وتحتم أن يكون لها «المانشيت» الزاعق، وضرورة أن تسلك الصحيفة مسلك العمل والبناء الأصيل» وأن تقوم بدور ملموس فى التوجيه الفكرى، وكانت هذه الفترة غريبة على توجه مدرسة «أخبار اليوم».

صحافة أدبية متخصصة :

تُعد صحيفة (الأخبار) أكثر الصحف المصرية اهتماما بالأعمدة الثابتة والأركان المتخصصة وأسبقها فى ذلك وقد كانت الصفحة الأخيرة بها - ولا تزال - من أكثر الصفحات التى تضم الزوايا والأعمدة والأركان المتخصصة، ثم ظهرت على صفحات الصحيفة (جريدة الجمعة) - ابتداء من أول يناير ١٩٦٨ - فى صفحتين: إحداهما للقضايا الدينية، والأخرى للثقافة والأدب حيث ركزت على القصة والنقد والرواية المسلسلة، ومن هذه الأعمال: رواية «جبل المغناطيس» لرشدى صالح،

وقصة «نداء المجهول» لتيمور مع تحليل نقدى لها قدمه فتحى الإبيارى، والقصة العلمية «رحلة الأسرار» للدكتور عبد المحسن صالح التى نشرتها الصحيفة فى حلقات مسلسلة. بعد ذلك تحولت (جريدة الجمعة) إلى ملحق الجمعة - ابتداء من ١٩ من أبريل ١٩٦٨ - ليصدر هذا الملحق فى أربع صفحات؛ اختصت إحداها بالثقافة والأدب، ثم صدر بعد ذلك باسم (الملحق الأدبى) فى أربع صفحات أيضاً: بإشراف أنيس منصور ورشدى صالح، وكان هذا الملحق يصدر بشكل منفصل ويوزع مجانا مع الصحيفة، وقد نشر الإبداع الأدبى والفكرى والندوات وعروض الكتب والأخبار الأدبية والصورة الجمالية، ويعد هذا الملحق من أهم الأركان والصفحات المتخصصة التى أصدرتها الدار، فقد التقى القراء على صفحاته بأعمال تيمور، وإبراهيم المصرى، وفاروق خورشيد، والدكتور يوسف عز الدين عيسى، وفتحى الإبيارى، كما قدم أسماء جديدة للحياة الأدبية، منها: رشاد بلال، وعبد الوهاب الأسوانى، وإبراهيم عبد المجيد وغيرهم، أيضاً اهتم الملحق بالفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى.

وعندما تم تعيين إحسان عبد القدوس رئيساً لمجلس إدارة «دار أخبار اليوم» وتولى أنيس منصور رئاسة تحرير مجلة (آخر

ساعة) تقلص (الملحق الأدبى) إلى صفحة واحدة تصدر باسم (الملحق الأدبى والفنى) بإشراف رشدى صالح وغلب عليه الجانب الفنى، فاهتم اهتماما أكثر بقضايا المسرح والسينما وبدأ يصدر يوم الجمعة من كل أسبوع. واختفى (الملحق الأدبى) فترة ثم بدأ يظهر كل يوم خميس - ابتداء من أكتوبر ١٩٧٥ - وعندما تولى موسى صبرى رئاسة مجلس الإدارة ورئاسة تحرير الأخبار، انقسم هذا الملحق إلى ثلاث شعب متخصصة تصدر كل شعبة فى صفحة أسبوعية، على النحو التالى :

- صفحة «أخبار السينما» وصدرت فى ٢١ من أكتوبر عام ١٩٧٥ وتظهر كل يوم ثلاثاء، ويحررها أحمد صالح.

- صفحة «أخبار المسرح» وصدرت فى بداية عام ١٩٧٦، وتظهر كل يوم خميس، ويحررها حسن عبد الرسول.

- صفحة «أخبار الأدب» وصدرت ابتداء من ١٣ من أكتوبر ١٩٧٦، وتظهر كل يوم أربعاء، وتحررها حسن شاه.. وظلت هذه الصفحة «أخبار الأدب» تركز على الأخبار وإثارة بعض القضايا الهامشية، حتى تولى الإشراف عليها جمال الغيطانى (ابتداء من ١٩٨٥/٩/٢٥) وأصبحت تضم - إلى جانب الخبر الأدبى - النصوص القصصية والشعرية والتراثية وحوارات مع الأدباء

والردود على استفساراتهم والاهتمام بكافة الإتجاهات والأجيال، وبخاصة جيل الستينات والاتجاه اليسارى الذى ظل مبعداً عن الأضواء منذ تولى السادات الحكم حيث وقع عدد كبير من أبناء هذا الجيل فى مهاوى التجاهل والغضب عليه، فهاجر من هاجر وانزوى من انزوى، وقد قدم الغيطانى هذه الصفحة – فى أول عدد أشرف عليه – قائلاً: «هذه الصفحة ستكون منبراً مفتوحاً لكل ذى موهبة حقة، ستعيد تقاليد مدرسة أخبار اليوم الأدبية، الاحتفاء بالموهبة وإتاحة الفرصة لها أياً كان انتماء صاحبها، فى الأربعينيات كان مصطفى أمين يتمنى أن ينشر لنجيب محفوظ، مع علمه أنه وفدى، وأنه ضد أخبار اليوم. وفى الخمسينات كانت يوميات الأخبار يكتبها سلامة موسى ومحمد التابعى وكامل الشناوى وغيرهم.

سنحاول مد البصر إلى مايجرى من تطورات أدبية فى العالم، إذ نكاد نكون الآن شبه معزولين بعد قصور حركة الترجمة، بل وأقول توقفها، وفى نفس الوقت نمد الجسور إلى التراث العربى المضىء.

بقدر ما ستتاح الفرصة لنشر إبداع الأجيال الجديدة من قصة وشعر، والأسماء الراسخة أيضاً بقدر ما ستعمق التواصل

بأساتذتنا الذين سبقونا، بذلك نؤكد استمرار الإبداع المشرف والحقيقى فى الثقافة المصرية، والعربية.. المهم أن الوقت لكى يسمع صوت جديد..».

ولا تزال الصفحة منذ ذلك التاريخ نافذة لأخبار الأدباء وبعض النصوص الإبداعية القصيرة وظلت من أنجح الصفحات الأدبية فى الصحافة المصرية فى الأعوام الأخيرة حتى أصدرت الدار صحيفة (أخبار الأدب)[٣١] بشكل أسبوعى، وفى أربعين صفحة من القطع النصفى Tabloid برئاسة تحرير جمال الغيطانى، وتعد هذه الصحيفة نافذة أدبية مهمة تحتاجها الساحة الأدبية، مع غيرها، بشكل ملح، وقد قدمت كافة الأشكال الأدبية والصحفية، وإن كانت جهود رئيس تحريرها جمال الغيطانى قد قللت من تميز صفحة «أخبار الأدب» خاصة فى الفترة الأخيرة بشكل ملموس نظراً لانشغال محررى القسم الأدبى فى (الأخبار) بتحرير الصحيفة (أخبار الأدب) والصفحة المتخصصة «أخبار الأدب» دون تنافس يدفع للتميز ثم تولى صفحة «أخبار الأدب» مصطفى عبد الله ليحولها إلى «أدب وثقافة»..

وكانت صحيفة (أخبار اليوم) طوال هذه الرحلة، ولا تزال،

بمثابة العدد الأسبوعى الذى يهتم بالتحليل والمقال السياسى والتحقيق المصور، وخصصت فى الستينيات بابا للكتب كتب فيه كبار صحفيى الدار وبعض المثقفين من خارجها، وفى السبعينيات كانت القضايا الأدبية فى الصحيفة يثيرها نعمان عاشور ومحمود عوض، وعندما عاد مصطفى أمين وعلى أمين أصدرا طبعة خاصة بالدول العربية تضم صفحة بعنوان «شئون عربية» وصفحة للأدب، وبالإضافة إلى مقالات وقضايا تناسب قراء هذه الدول (بدلاً من صفحات: الحوادث، شئون خارجية، المحليات) وعندما تم تعيين عبد الحميد عبد الغنى رئيساً لتحرير (أخبار اليوم) فإنه جعلها تهتم بالتحليل السياسى والشئون الدولية، وبدأت الطبعة المحلية تنشر صفحة أدبية بعنوان (أخبار الكتب.. وحكايات الأدب) ابتداء من يناير ١٩٧٧ - بإشراف نبيل أباظة قبل انتقاله رئيساً لتحرير «كتاب اليوم» ، وقدمت هذه الصفحة المقال الأدبى والحديث والخبر بجانب القضايا النقدية حول أحداث مطروحة فى وقتها كما اهتمت بعروض الكتب وبخاصة الكتب السياسية مع القليل النادر من النصوص الإبداعية.

وفى عهد إبراهيم سعده أصبحت مؤسسة «أخبار اليوم»

مُجمعا صحفياً لعدة إصدارات عامة، ونوعية، ومتخصصة، ما بين يومية، وأسبوعية، وشهرية.. حتى الصحيفة العامة «الأخبار» أو «أخبار اليوم» أصبحت صفحات متخصصة.. بالإضافة إلى أكاديمية أخبار اليوم التى تجمع بين تقديم التخصصات النادرة والأداء العلمى والمهنى المميز .

ومع تعدد نوافذ الأدب فى المطبوعات المصرية بشكل عام وفي صحف ومجلات «أخبار اليوم» بشكل خاص أصبح على (أخبار اليوم) وهى الصحيفة ذات الانتشار الكبير مسؤولية المشاركة فى الحياة الأدبية على صفحاتها بما يتناسب مع انتشارها ورصيدها من القراء، وبخاصة بعد أن خصصت منذ السادس من يناير ٢٠٠١م ملحقاً للآداب والفنون فى ست صفحات تشرف عليه الصحفية آمال عثمان رئيس تحرير مجلة «أخبار النجوم».

الهوامش

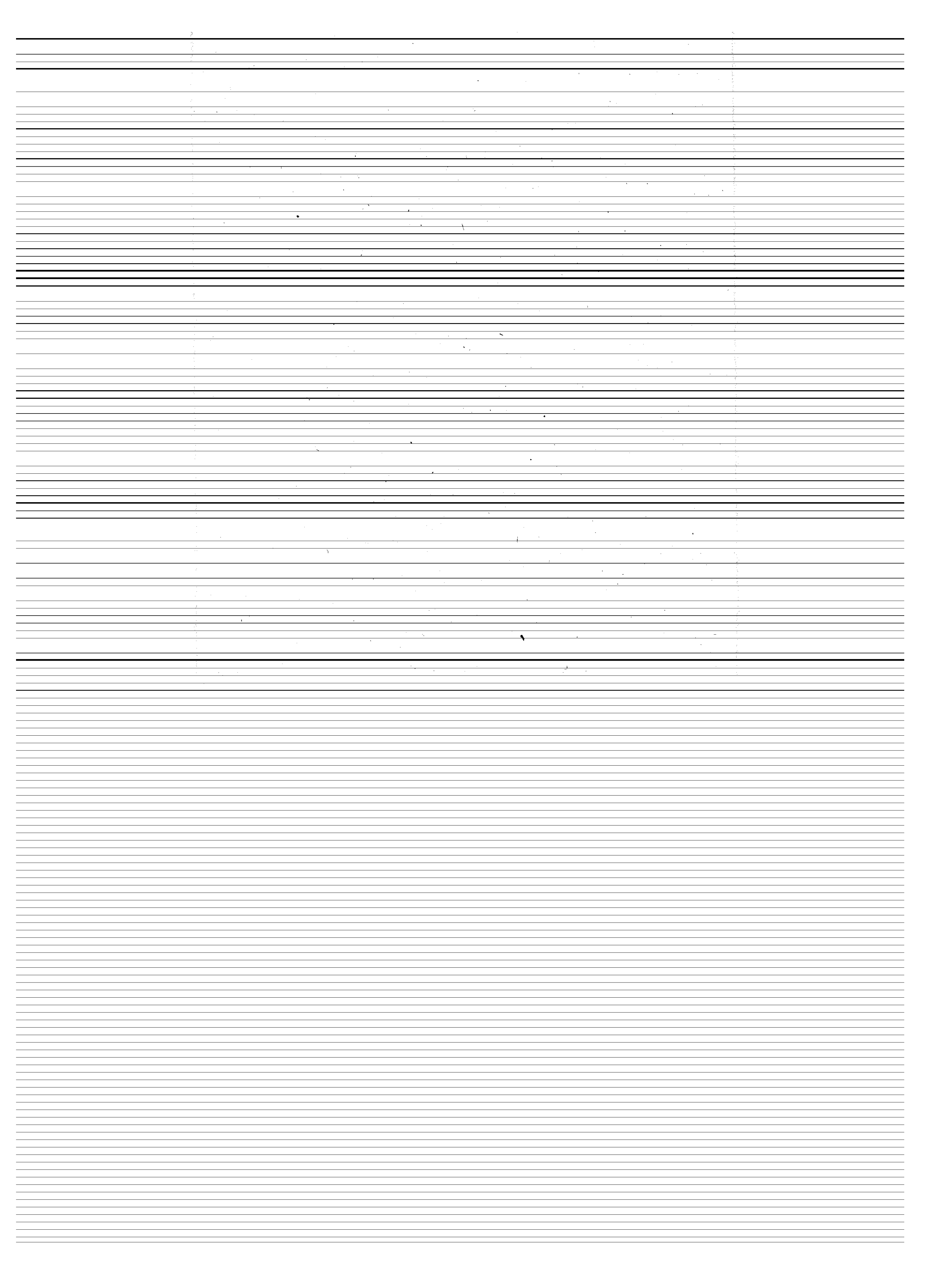
١ - مصطفى أمين، صاحبة الجلالة فى الزنزانة، ص ١١٦.
٢ - مصطفى أمين، فكرة، الأخبار، ١٠/ ١١/ ١٩٧٩.
٣- مصطفى أمين، صاحبة الجلالة.. مرجع سابق، ص- ١٢٣.
٤ - المرجع السابق، ص ١٠٥.
٥ - المرجع السابق، ص ٥١.
٦ - أخبار اليوم ، ١٢/ ١/ ١٩٤٦. وقد كان لأمين عثمان دوره فى معاهدة عام ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا، حيث كان وسيطاً دائماً بين الحكومتين: المصرية والبريطانية، وتمتع بنفوذ وسلطان كبيرين، مما جعله هدفاً للوطنيين المصريين أثناء مطالبتهم بإلغاء معادة ٣٦، وتم اغتياله على يد الشاب حسين توفيق ضمن موجة الاغتيالات التى كانت تهدف إلى الضغط على الحكومة والقصر.
٧ - أخبار اليوم ، ٢٠/١٢/ ١٩٥٢ وينشر مصطفى أمين (مذكرات الملكة غير المتوجة)«كما روتها لمصطفى أمين، فهى أغرب قصة فى حياة فاروق، ترويها بطلة القصة نفسها» ويستمر نشرها فى حلقات يومية مثيرة على صفحات (الأخبار) و(أخبار اليوم).
٨ - موسى صبرى، قصة ملك و٤ وزارات، كتاب اليوم، العدد ١٧ (مؤسسة أخبار اليوم: أكتوبر ١٩٧٣) ص ١٨.
٩ - فاروق خورشيد ، هموم كاتب العصر، ص ١٢٩.
١٠ - المصدر السابق نفسه.
١٢- الأهرام، ١٧ - ١- ١٩٦٩.
١٣ - أخبار اليوم، ١٢/ ٧/ ١٩٥٢..
- وانظر مانشيتات (الأخبار) و(أخبار اليوم) الخاصة بمذكرات الملك - السابق - فاروق ابتداء من ٢/١١ حتى ١٤/ ١٢/ ١٩٥٢.
١٤ -موسى صبرى، قصة ملك و ٤ وزارات، مرجع سابق، ص ١٨.

١٥ – أخبار اليوم، ١٩٤٦/١/٥.
١٦– نشر كتاباً عن الملك فاروق يتحدث عن «فضائل جلالته» وعطف جلالته على الطبقة الصغيرة.. أنظر:
– أحمد بهاء الدين، فاروق ملكاً (القاهرة، كتاب روزاليوسف) ص ٩٦.
– موسى صبرى، قصة ملك و ٤ وزارات، ومرجع سابق، ص ١٤٠.
١٧ – أخبار اليوم، ١٢/ ١/ ١٩٤٦.
١٨ – روزاليوسف، ١٩٥٠/٦/٦.. ويبدأ إحسان عبد القدوس هذه السلسلة من المقالات قائلاً: «كان لاستجواب الأستاذ مصطفى مرعى بك عن أسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة السابق، شهادة فخر لضابط الجيش المصرى، فقد أثبت المستجوب أن هؤلاء الضباط والجنود لم تهزمهم جرأة العدو وجنته، إنما هزمتهم جرأة موردى السلاح والذخيرة الذين تعاملت معهم وزارة الدفاع الوطنى.
١٩ – أحمد بهاء الدين، مرجع سابق ، ص ١٠٢.
٢٠ – المرجع السابق، ص ١٣٤.
٢١ – أخبار اليوم، ١٢/ ١٩٤٦.
٢٢ – أخبار اليوم، ١٩/ ١/ ١٩٤٦.
٢٣ – أخبار اليوم، ٢٠/ ٤/ ١٩٤٦.
٢٤ – مصطفى أمين، صاحبة الجلالة فى الزنزانة، مرجع سابق، ص ١٢٥.
٢٥ – المرجع السابق، ص ١٢٤.
٢٦ – المرجع السابق، ص ١٤٥.
٢٧ – موسى صبرى، قصة ملك و ٤ وزارات، مرجع سابق، ص ١٣٧.
٢٨ – أخبار اليوم، ١٩/ ٧/ ١٩٥٢.
٢٩– الأخبار، ١٩٥٢/٧/٢٢م.
٣٠ – المصدر السابق نفسه.
٣١– أخبار الأدب، العدد الأول فى ١٩٩٣/٧/١٨م.

الأدب فى صحيفة «الجمهورية»
من أيديولوجية الثورة إلى الخدمات العامة

الوظيفة الحقيقية للطبقة المثقفة على الأقل من المنطلق السـيـاسى هى أن تكون تلك الطبقة رأس الحربة للإرادة الوطنية، عندما تكون هذه الإرادة فى حاجة إلى استعادة نفسها.

* د. حامد ربيع *



منذ الحملة الإعلانية التى بدأت تنشر فى أغلب الصحف المصرية فى الأول من أكتوبر ١٩٥٣ عن قرب صدور صحيفة (الجمهورية) كانت صحيفة (الجمهورية) صوت الثورة ولسان حالها، فمؤسسة «دار التحرير للطبع والنشر» التى تصدر (الجمهورية) تُعد المؤسسة الصحفية الوحيدة التى أنشأتها الثورة، وهى - أيضاً - الصحيفة الوحيدة التى حظيت بدعم حكومى كبير منذ أول أعدادها حيث اشتركت القوات الجوية المصرية فى الدعاية والترويج لها باعتبارها «صوت الثورة إلى المواطنين» أو كما تقول شعارات حملة الإعلانات المكثفة عنها:

* جريدة الجمهورية تلهب ظهر الاستعمار.
* جريدة الجمهورية ثورة صحفية وصحافة ثورية.
* إن الصحفى الجمهورى هو الصحفى الملتزم بأخلاق المهنة الصحفية والملتزم بأخلاق الجمهورية.. أى بالحرية التى اعتنقها منذ زمن طويل.

كما أن صحيفة (الجمهورية) تعد الصحيفة المصرية الوحيدة التى تولى مجلس إدارتها ستة من العسكريين؛ من جملة رؤساء مجالس الإدارة الذين تعاقبوا على «دار التحرير للطبع والنشر» التى تصدر عنها الصحيفة، كما تعاقب على رئاسة تحريرها خلال فترة قصيرة نسبيا عدد كبير من الصحفيين (منهم حسين فهمى، وجلال الدين الحمامصى، وأحمدقاسم، وطه حسين، وموسى صبرى، وناصر الدين النشاشيبى، وكمال الدين الحناوى، وحلمى سلام، ومصطفى بهجت بدوى، وفتحي غانم، وعبد المنعم الصاوى، ومحسن محمد، ومحفوظ الأنصارى، وسمير رجب) لم يهاجم رئيس تحرير منهم - خلال فترة رئاسته التحرير - الثورة أو منجزاتها أو خطها العربى.. كما أنها الصحيفة المصرية الوحيدة - بعد الثورة - التى تولى رئاسة تحريرها صحفى غير مصرى «عربى» هو الكاتب الفلسطينى ناصر الدين النشاشيبى عندما كان يترأس تحريرها أثناء تولى صلاح سالم مجلس إدارتها - سبعة رؤساء تحرير فى وقت واحد، هم: صلاح سالم، وكامل الشناوى، وإسماعيل الحبروك، وطه حسين، وموسى صبرى، وناصر الدين النشاشيبى، وإبراهيم نوار.

حشد إعلامى :

صدرت جريدة (الجمهورية) لتكون حلقة إعلامية مهمة ضمن صحافة الثورة التى بدأت بمجلة (التحرير) ١٦ من ديسمبر ١٩٥٢ وصحيفة (الشعب) ٣ يونيو ١٩٥٦ التى أدمجت بعد ذلك مع (الجمهورية) فى ٢٦ من سبتمبر ١٩٥٩ لتصدر الصحيفة الجديدة باسم: «الجمهورية جريدة الشعب»، و«المساء» فى السادس من أكتوبر ١٩٥٦، ثم مجلة (الكاتب) التى صدرت فى إبريل ١٩٦١ عن «دار التحرير للطبع والنشر» وتتوالى مطبوعات الدار «كتاب التحرير» و«كتاب الجمهورية» و«كتب للجميع» و«الكتاب السياسى» و«الكتاب الدينى»، وكلها تعبر عن خط الثورة بشكل مباشر فى ذلك الوقت.

وبالإضافة إلى إصدارات «دار التحرير للطبع والنشر «كانت هناك حلقات إعلامية وتثقيفية أخري أنشأتها الثورة، منها : المجلس الأعلى للفنون والآداب، ووزارة الثقافة والإرشاد القومى، حيث أنشأت هذه الوزارة عدة أجهزة للنشر والتوزيع منها «مؤسسة التأليف والأنباء والنشر» التى كانت تضم عدة أجهزة فرعية أهمها «الدار القومية للطباعة والنشر» و«الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر».

ومنذ إنشائها، مروراً بسنوات المد الثورى؛ كانت صحيفة (الجمهورية) معبرة عن الثورة وإتجاهاتها، معتمدة فى ذلك على الدعم المعنوى والمادى لرجال الثورة، وعلى الأقلام المتعددة التى كتبت المقال السياسى والرأى فى مواجهة صحافة الخبر والصورة (مؤسسة أخبار اليوم) والخبرة الطويلة والتقاليد العريقة (الأهرام) والحزبية (المصرى) وصحافة الإخوان المسلمين التى تعتمد على الوازع الدينى المترسخ لدى المصريين (الدعوة)

وكانت هذه الصحيفة تتكامل مع القنوات الإعلامية الأخرى فى اطلاع الرأى العام على المتغيرات الجديدة والمتلاحقة آنذاك، وشرحها عن طريق «الافتتاحيات والكاريكاتير والأعمدة والخطابات الموجهة إلى المحرر والمقالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنقد الأدبى والفنى»[١] بل إن اعتماد الثورة الأساسى فى توصيل صوتها داخلياً وخارجياً كوسيلة من وسائل السياسة الخارجية كان يقع على صحيفة (الجمهورية) نظراً لصدورها بشكل يومى ولانتشارها ولارتباطها باسم «الجمهورية» – الدولة التى أعلنت فى مصر شعاراً وتعبيراً من خلال: [٢]

* إبراز الإنجازات الثورية ومتابعتها وتوضيح آثارها، وتأكيد الدور الذى يجب على العاملين القيام به لدعم المكاسب الثورية والحفاظ عليها وتنميتها.

* نشر القيم والأفكار والثقافة الاشتراكية وتنمية الشعور بالمسئولية الفردية والاجماعية وبالهدف المشترك والمصلحة الواحدة.

* الممارسة الواعية للنقد والنقد الذاتى وتأكيد الرقابة الجماهيرية على أجهزة الإدارة والإنتاج وكشف الانحرافات وسوء استغلال السلطة.

وكانت أقلام أعضاء الثورة تجد فى (الجمهورية) مكانها الطبيعى للإعلان عن آرائها وأفكارها باعتبار أن هذه الصحيفة صحيفة الثورة منذ أن أصدرتها «هيئة التحرير» ووقع عن الهيئة جمال عبد الناصر، وتولى إدارتها أنور السادات.

فقد كتب عبد الناصر افتتاحية العدد الأول تحت عنوان «فلنصارح ولا نجامل عن دور الاستعمار فى ضرب القوات العربية» وتعاقب أعضاء هيئة التحرير على كتابة مقال ينشر بالصفحة الأولى فى عمود ثابت تحت عنوان (رأى)، بالإضافة إلى المقالات الأخرى داخل العدد (٣).. وطوال مسيرة الصحيفة

وحتى ١٥ من مايو ١٩٧١ كانت منبراً لكتابات أعضاء التنظيمات السياسية المختلفة، منذ مجلس الثورة حتى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي «لضرب الفئة التي مستها القوانين الاشتراكية والتي تؤلف – كما يقول علي صبري في «رأي الجمهورية» الجناح الأول للحزب الرجعي القائم في المجتمع»(٤).

وقد زادت هذه الكتابة بصفة خاصة عندما تولى فتحي غانم رئاسة المؤسسة (مجلس الإدارة ومجلس التحرير) منذ الأول من نوفمبر ١٩٦٦ حيث جعل صحيفة (الجمهورية) منبراً للاتحاد الاشتراكي العربي بنشرها مقالات علي صبري وضياء الدين داود ولبيب شقير وغيرهم بشكل مكثف اعتباراً من ١٩٦٦/١٢/٢٣، أي بعد شهر واحد من توليه مسئولية الصحيفة.. وكانت هذه المقالات تنشر أثناء تولي فتحي غانم تحت عنوان «رأي الجمهورية» موقعه بإمضاء أصحابها، واستمر نشرها حتى ١٥ من مايو ١٩٧١ عندما تغلب ما تم تسميته جناح الشرعية الدستورية بقيادة أنور السادات، حيث أوقفت الصحيفة نشر مثل هذه المقالات، ليس بسبب ما يجيء فيها من آراء، ولكن لأن أصحابها كما تذكر الصحيفة «تورطوا وساهموا

فى الصـراع على السلطة وسـقطوا فى خطأ واضح ومـحـدد وصريح»(٥).

وبعد أحداث مايو ١٩٧١ وتولى مصطفى بهجت بدوى للمرة الثانية اعتباراً من مايو ١٩٧١ ثم عبد المنعم الصاوى (مجلس الإدارة) منذ ١٢ من مارس ١٩٧٥ حتى ١٠ من مارس ١٩٧٧ ومحسن محمد رئيساً للتحرير فى ١٣ من مارس ١٩٧٥م ورئيساً لمجلس الإدارة منذ ١٠ من مارس ١٩٧٧م والذى تم تحويل الصحيفة فى عهده إلى صحيفة خدمات، ثم محفوظ الأنصارى لرئاسة التحرير فى الأول من يوليو ١٩٨٤ ثم تتوسع الدار فى عهد سمير رجب وتتنوع إصداراتها: حريتى، وعقيدتى، وشاشتى.. إلخ.. إلى جانب الملاحق المتعددة للصحيفة الأم*، واعتمدت صحيفة (الجمهورية) على نفسها تحريراً وتوزيعاً، شأنها فى ذلك شأن الصحف العامة الأخرى التى تعبر عن الدولة وتعد أيضاً صوتاً من وسائل تنفيذ سياستها داخلياً وخارجياً، ونجحت الصحيفة فى ذلك إلى حد كبير حيث ظهر تميزها كصحيفة خدمات، وفي تضاعف أرقام توزيعها فى السنوات الأخيرة - كما يذكر رئيس تحريرها الأسبق- حتى وصل إلى ٤٨٥ ألف نسخة فى العدد اليومى و٦٠٢ ألف نسخة

فى العدد الأسبوعى أثناء رئاسة تحرير محسن محمد [٦]، ثم استمرت الزيادة خلال تولى محفوظ الأنصارى رئاسة تحريرها ليرتفع توزيع العدد اليومى إلى ٥٧٠ ألف نسخة [٧]. ثم تحدث لها طفرة تحديثية في عهد سمير رجب .

ثقافة ثورية :

صدرت صحيفة (الجمهورية) والبلاد فى حالة استعداد تام للتغيير الذى جاءت من أجله الثورة، وحشدت الثورة لصحيفتها (الجمهورية) عدداً كبيراً من الكتاب أصحاب المذهبية السياسية المؤيدة لها بشدة، ومن هؤلاء الدكتور لويس عوض الذى عمل مستشاراً ثقافياً ومشرفاً على صفحة الأدب بالصحيفة؛ منذ صدورها حتى انتقاله إلى «الأهرام» فى الأول من فبراير ١٩٦٢، والدكتور مندور صاحب الكتابات التى «تؤمن بشيء واحد لا يتغير: هو أن الثقافة يجب أن ترتبط بالحياة»[٨] والذى جمع بين العمل السياسى والعمل الثقافى ككاتب يسارى وتم انتخابه عضواً فى مجلس النواب عام ١٩٦٠، وأصبحت كتاباته التى أسماها «المنهج الأيديولوجى» قد بدأت تتضح أهدافها بعد الثورة واتجاهها نحو الاشتراكية التى تدعو إليها، وإسماعيل

مظهر الذى يطالب بنبذ تمجيد الإمعات قبل الثورة وإحلال أدب (الشحن) وأدب (التعبئة)، الأدب الذى يستجمع كل أسباب القوة وكل أسباب القدرة على الخلق والإيجاد، الأدب الذى يستهدف المثل العليا والغايات السامية ولا يستقبل اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى[٩] والدكتور عبد الحميد يونس الذى يدعو إلى (أدب جديد) يقوم على توسيع «دائرة هذا التراث الأدبى بحيث يشمل الذين خرجوا على السلطان والذين عرفوا برأى أو نزعة أو مذهب يخالف مذهب السلطان»[١٠] والدكتور طه حسين الذى «لبس الثوب الصحفى ولم ينض عنه الثوب الجامعى»[١١] والذى قام بتطوير الكتابة الأدبية فى الصحافة وتطويعها لأشكال الكتابة الصحفية، فى وقت كان الناس مشغولين بالسياسة عن الأدب[١٢] ورشدى صالح صاحب (فنون الأدب الشعبى) ومترجم (الاستعمار البريطانى فى مصر) لإلينور بيرنز، وصاحب الكتابات المتعددة حول المجتمع الاشتراكى والأدب الحى من خلال مجلته اليسارية (الفجر الجديد)، بالإضافة إلى الأقلام المتعددة الأخرى التى لمعت على صفحات (الجمهورية)، ومنها: عباس الأسوانى، وإسماعيل الحبروك، ويوسف إدريس، ومختار الوكيل، وإبراهيم الوردانى، وكامل الشناوى، وجلال

الدين الحمامصى، وناصر الدين النشاشيبى، وعبد الرحمن الشرقاوى، ويحيى حقى، وعبد الرحمن الخميسى، ونعمان عاشور، وألفريد فرج، ومصطفى بهجت بدوى، وفتحى غانم، وإبراهيم نوار، وعبد السميع عبدالله، وإسماعيل المهدوى، وبيرم التونسى، ثم : خالد محمد خالد، وأحمد عباس صالح، وأمير إسكندر، ومحمد عودة، ود. محمد أنيس، وجلال السيد وبعدهم جيل رأفت الخياط، ومحمد صدقى، ود. فتحى عبد الفتاح وغيرهم، وصولاً إلى جيل مصطفى القاضى ويسرى السيد..

ونجحت هذه الكوكبة من الأقلام فى شحن المناخ الثقافى بكتابات تميل بمعظم ثقلها نحو السياسة؛ إذ كانت الصفحات الثقافية كما يقول الدكتور لويس عوض المشرف عليها وقتذاك «أقرب الجرائد المصرية إلى ماكنا فى الثلاثينات والأربعينات نسميه (صحافة الرأى) وقد احتشد فيها طوائف ضخمة من أنضر الأقلام وأنضر القلوب وأنضر الآمال»(١٣) والتى تجهر برأيها وتوظفه لرسالتها حتى ولو كان ما تنشره خبراً، إذ كان هذا الخبر «يحمل الرأى الخفى أو الصريح »(١٤) الذى يعضد اتجاهها بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومنذ صدور الصحيفة كان اهتمامها بالأدب محدد الاتجاه،

فحين تنشر خبراً عن تخصيصها مساحة للأدب، نجدها تحدد نوع الأدب الذى تعينه؛ وهو «الأدب الهادف الذى يدعو إلى الإشتراكية» (١٥) وقد عكفت منذ صدورها على نشر القصص المترجمة لتشيكوف، وجوركى، ودستويفسكى وغيرهم، والتى كان يترجمها غالباً مندور وإسماعيل مظهر، وفى الوقت نفسه تتعامل مع الإتجاهات الأدبية الأخرى وتمنحها فرصة عرض وجهة نظرها، «ليس اقتناعاً بهذه الاتجاهات ذات الفرائص المرتعدة؛ وأدواتها شتى: أولها الحاكم المشرك، والمشرك نفسه بالله، وآخرها الشرطى ذو المخالب والأنياب، وبينهما سلسلة قصيرة من القانون المتألّه ومن الرقابة حادة البصر التى ترى مالا يرى ومن المباحث التى تبحث وتبحث حتى تنسى ما هى تبحث عنه، ومن العدالة العوراء» (١٦).

وتوضح صفحة الأدب أنها ليست مع أصحاب المفاهيم القاصرة والغارقة فى الجمالية Aestheticism أو الشكلية For-malism، وتعلن «باسم الجمهورية» أنها ليست لسان أحد بالذات، إلا ذات الحق والحرية والمبادىء الإنسانية العليا، فهى ليست لسان حال لويس عوض أو عبد الحميد يونس أو إسماعيل مظهر، بل هى ليست لسان حال أستاذ الجيل «طه حسين»

وتذهب إلى أكثر من ذلك بأنها «ليست لسان حال الأستاذ حسين فهمي رئيس تحريرها بل أفظع من ذلك هي ليست لسان حال الأستاذ أنور السادات مدير تحريرها رغم أنه عضو خطير في مجلس قيادة الثورة وعضو خطير في محكمة الثورة» و«ليست لسان حال مجلس قيادة الثورة ذاته رغم كل ماله من هيل وهيلمان بل هي لسان حال الشعب المصري كله بما فيه من يمين ووسط ويسار»[١٨]. وهذا الكلام الحماسي لا ينفي عن صحيفة (الجمهورية) أنها صحافة تعبوية Mobilization في الأساس، فقد كانت الوسيلة الإعلامية المطبوعة الأساسية في منظومة الأجهزة الإعلامية المطبوعة المختلفة التي أنشأتها الثورة منذ قيامها، بل إن هذا الحماس الذي يؤكد على استقلال الصحيفة عن الثورة وأنها ليست لسان حالها- مع أنها صاحبة امتيازها ومؤسستها- يثبت عكس ذلك عبر مضمونها قلباً وقالباً.

فرغم إعلان الصحيفة أنها تلتزم في النشر بتيار معين، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك، إذ اكتسبت صفحاتها الثقافية أطرها من رؤى مجموعة المثقفين المحترفين الذين وجدوا أنفسهم يعبرون على صفحاتها عن أفكار تكاد تكون «استراتيجية ثورية

لحزب سياسى ثورى»[١٩] فظهرت بوضوح تبعية الثقافة للسياسة بشكل عام. وطالع القراء على صفحات الأدب قضايا «الثورة الاشتراكية»[٢٠] و«الثورة الثقافية»[٢١] و«الرؤية الجدية الثورية للتراث العربى الفكرى والحضارى العام»[٢٢].. بل إن شعار «الأدب فى سبيل الحياة» الذى حملته صفحة (أدب وفكر ابتداءً من العدد الثانى عشر – ١٨ من ديسمبر ١٩٥٣ – هو نفسه يمثل دعوة النظام الجديد وقتذاك فى أن «توفر الأمة شيئاً مادياً معقولاً لكل فرد وبقدر عمله، وأن يتحرر كل مواطن عن طريق الثقافة والعلم من روح القبيلة إلى التفكير الحر المطلق فى نطاق الأمم العربية والإسلامية جميعاً وأن واجب كل فرد متعلم تدفعه وطنيته أن ينقل ثقافته إلى إخوانه المواطنين»[٢٣].

عام.. وخاص:

خصصت صحيفة (الجمهورية) منذ عددها الثامن – ١٤ من ديسمبر ١٩٥٣ – ملحقاً بعنوان (ملحق الجمهورية الفنى) لتتمكن هذه المجموعة من المثقفين أن تؤدى واجبها، وبدأ الملحق يصدر يوم الاثنين من كل أسبوع فى أربع صفحات، وغلب عليه منذ البداية الطابع الفنى واقتطع الإعلان مساحات كبيرة منه؛

لدرجة أن أحد أعداد الملحق شغلت صفحاته دعاية إعلانية(٢٤) ثم توقف الملحق عن الصدور، لتحل محله صفحة (أدب وفكر) التى بدأت الإعلان عنها فى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٣، لتصدر بعد ذلك بثلاثة أيام، تحت شعار «الأدب فى سبيل الحياة» لتكون ملتقى المثقفين ومنبراً لإثارة قضايا متعددة يتم حسم نتائجها دائماً لصالح الأدب الجديد الذى سيشترك فى وضعه – كما تقول الصفحة – أدباء الجيل، وقد تحاور حول هذا المفهوم الجديد للأدب: طه حسين ولويس عوض ومندور وإسماعيل مظهر.

ونظراً لأن قضايا محكمة الثورة كانت تستغرق صفحات متعددة من الصحيفة، فقد أصدرت (الجمهورية) ملحقاً ثقافياً فى الحجم النصفى Tabloid وأعلنت أن الدكتور طه حسين سيكتب مقالاً أسبوعياً لهذا الملحق، وتضمن العدد الأول الذى صدر يوم الجمعة ٨ من يناير ١٩٥٤ عدة موضوعات للدكتورة سهير القلماوى «ماذا بعد البديهيات» والدكتور عبد الحميد يونس «هذه هى المعهدية» عن بعض الذين يذكرون فى تعصب معاهدهم التى تخرجوا فيها، و«قصة حسن الزجى» كتبها يس العيوطى، وقصيدة لبيرون «عبرات الشاعر» ترجمها لويس

عوض.. لكن الملحق توقف صدوره بعد عدده الأول، واستمرت صفحة (أدب وفكر) اليومية.

وكان الاتجاه الرسمى فى ذلك الوقت يهتم بدعم الأدب والفكر، انطلاقاً من أن الثورة جاءت تتويجاً لأحلام هؤلاء الأدباء وربما بتأثيرات بعض كتاباتهم، كما صرح بعض قادة الثورة، فوزير الداخلية «يوافق على إنشاء جمعية للأدباء حسب الطلب الذى قدمه البكباشى أركان حرب يوسف السباعى»[٢٥] وتصدر (دار التحرير للطبع والنشر) المجلة الأدبية (الرسالة الجديدة)[٢٦] ويترأس تحريرها يوسف السباعى الضابط المتحمس للأدب، والذى يكتب عاتباً على صحيفة (الأهرام) عدم تخصيصها صفحة أدبية «تفسح صدرها لأدبنا العربى وما ينقل من أدب الغرب»[٢٧] وابتداءً من الثانى من سبتمبر ١٩٥٥ تخصص الجمهورية ركناً للأدب بعنوان «ركن الأدب»؛ كل يوم جمعة في الصفحة الأخيرة ويقدمه محمد حمودة، ثم يتغير عنوان الركن إلى (الأدب) ليقدمه رشدى صالح فى ثلث صفحة تتضمن الخبر والتعليق والصورة والمثل الشعبى، بالإضافة إلى الصفحة الثالثة المخصصة للرأى، إذ كانت تتحول بين حين وآخر إلى صفحة أدبية بعنوان (أدب) ويكتب فيها د. طه حسين وغيره

من النقاد والأدباء، هذا غير الأعمدة الثابتة مثل (نهر الحياة) للدكتور مندور، والذى كان ينشر يومياً فى الصفحة الرابعة منذ صدور الصحيفة ويتناول فيه شئون الحياة الثقافية من وجهة نظر اشتراكية و (باختصار) الذى يكتبه بالتناوب كل من : عباس الأسوانى، وعميد الإمام، وعبد المنعم السباعى، وإسماعيل مظهر، ود. مختار الوكيل.

وعندما يتولى أحمد قاسم جودة رئاسة التحرير - فى ٦ من أكتوبر ١٩٥٥ - يخصص عموداً بعنوان (موقف) بالصفحة الأولى يكتبه د. طه حسين، ويوجهه وجهة سياسية أكثر من كونه رأياً فكرياً (٢٨) وتتعدد الأركان والزوايا للكتاب وتتغير مع تعدد رؤساء التحرير، وابتداءً من الثالث من أكتوبر ١٩٥٩ تصدر الصحيفة عدداً أسبوعياً - السبت - لتزداد مساحة الثقافة والأدب بها، فيكتب د. طه حسين عموداً يومياً بالصفحة الأولى تحت عنوان (جنة الشوك)، كما خصصت الصفحة الرابعة للأدب والثقافة تحت شعار «الثقافة للشعب» لتكون صفحة يومية تهتم بالقصة والنقد والشعر.

بعد ذلك بدأت الصحيفة تستقطب كبار الكتاب لنشر خواطرهم ويومياتهم فى أبواب وزوايا متفرقة على الصفحة

الأخيرة، منها «أحاديث الأسبوع» و«يوميات الأسبوع».. ثم توالى انضمام الكتاب والصحفيين إلى (الجمهورية) وإدماج صحيفة (الشعب) مع (الجمهورية) ليصدرا باسم (الجمهورية: جريدة الشعب) وتصبح الصحيفة فى عهدها الجديد تضم فيلقا كبيراً من الكتاب للتعبير عن تلك المرحلة التاريخية فى حياتنا الثقافية.

رُقى .. أم انحطاط؟ !!.

– هل تهبط الصحيفة إلى مستوى القراء أم تعمل على الارتفاع بمستواهم؟

– وهل تلبى رغبات القراء، أم لاتلتفت إلى الإثارة وأرقام التوزيع، إذا كان ارتفاع هذه الأرقام قائماً على التهييج والمبالغة والإغراق فى الخيال؟

– وهل تغلق الصحيفة صفحاتها على كتابها وآرائهم، أم تفتحها أمام الرأى الآخر والحجة المقنعة، حتى وإن لم تتفق مع سياستها؟

وأسئلة أخرى متعددة أثارها د. طه حسين على صفحات (الجمهورية) محدداً دور الصحيفة فى أنها «لا تهبط إلى القراء، وإنما ينبغى أن ترتفع بهم من الجهل إلى المعرفة، ومن السخف

إلى الجد، فهى أدوات رقى فى البيئة الاجتماعية وليست أدوات انحطاط» [٢٩] ثم يؤكد طه حسين أن «حرية الرأى مكفولة.. ولكنها مكفولة للمواطنين جميعاً لا يحرمها إلا الذين يخالفون أمر القانون».

وانطلاقا من نظرة القائمين على الأدب فى الصحيفة للثقافة بشكل عام، يقوم طه حسين بمهاجمة إبراهيم الوردانى، الذى وصف الأدب اليونانى بأنه(أدب عفاريت)، ويصف كلام الوردانى بأنه «دعوة صريحة إلى الجهل» [٣٠]

وعندما يطلب موسى صبرى من الدكتور مندور أن يراعى التبسيط الصحفى فى كتابته للصحيفة، لا يؤيد طه حسين هذه الدعوة، وبخاصة أن (الجمهورية) - كما يذكر سامى داود فى ذلك الوقت - بها ثلث صفحة يومية مخصصة للمادة الثقافية، وصفحة كاملة للقصة والشعر فى عددها الأسبوعى، ومساحات حرة لمقالات الأدباء والمفكرين، وفيها أكبر عدد من الكتاب المتخصصين فى فنون الأدب وعلومه.

وتستمر الصحيفة فى دعوتها أن «الأدب فى سبيل الحياة» مفندة كل أدب يبعد عن الواقع ويتستر وراء مقولات «الفن للفن» أو «الأدب للأدب»، إذ لابد أن يكون الأدباء والفنانون على قدر

من الإنسانية والنزوع إلى المحبة والخير لشعبهم بحيث يستجيبون تلقائياً لحاجات هذا الشعب الذى طال به اسلم ويتناولون قضاياه »[٣١].

ومن هذا المنطلق يهاجم الدكتور مندور أحد أقطاب الصفحة الثقافية فى صحيفة (الجمهورية) فى ذلك الوقت – مسرحية الدكتور رشاد رشدى (لعبة الحب) ويصفها بأنها «أدب فحيح»[٣٢]، ويرد رشاد رشدى على ذلك واصفاً مندور بأن «له عقل طفل»[٣٣]، وتشتد المعركة حول ماهية الأدب، ويعقب مندور فى حوار له نشر فى العدد نفسه – ٢٧ من أبريل ١٩٦٢ – قائلاً إنه هاجم رشاد رشدى ليضعه «فى حجمه الحقيقى»! ورغم التغيرات المختلفة فى قيادات الصحيفة: مصطفى بهجت بدوى: ١٨ من مايو ١٩٦٥، وفتحى غانم: أول نوفمبر ١٩٦٩، ومصطفى بهجت بدوى (مرة ثانية) ١٨ من مايو ١٩٧١؛ إلا أن الصحيفة حتى وقت التغيير الأخير ظلت صوتاً معبراً عن الاتجاه السياسى فى البلاد – التيار الاشتراكى – ومنذ انحسار هذا التيار، رسمياً؛ بدأت الصحيفة تتجه إلى الخدمات وإصلاح أحوالها داخلياً، ومالياً، وإدارياً ومهنياً، وبخاصة عندما تولى عبد المنعم الصاوى رئاسة مجلس إدارتها ومحسن محمد رئاسة

تحـريرهـا فى ١٢ من مـارس ١٩٧٥، وتعـددت صـفـحـاتهـا المتخصصة، ومن هذه الصفحات صفحة يومية باسم (الفنون: سينما / إذاعة. تليفزيون / أدب موسيقى/ مسرح) بإشراف رأفت الخياط، لكن اهتمامات الصفحة كانت فى المقام الأول بالتليفزيون والراديو والفنون، ولم تهتم بالأدب إلا فى القليل النادر وبشكل لا يمثل تياراً ويفجر قضايا تجذب الانتباه أو تدفع للحوار والمناقشة، واستمرت (الجمهورية) لاتهتم كثيراً بالأدب وقضاياه حتى خصصت صفحة أدبية أسبوعية تصدر كل يوم اثنين ابتداء من ١٦ من يوليو ١٩٨٤ بإشراف د. فتحى عبد الفتاح الذى قدم هذه الصفحة للقراء قائلاً: (٣٤)

«اليوم، وكل يوم اثنين، تلتقى عزيزى القارئ بصفحة جديدة تقدم لك صورة من النشاط والإبداع الأدبى والثقافى فى مصر والعالم العربى»

ثم يقول.

«فما أحوجنا اليوم، قبل أى يوم آخر إلى إعادة استكشاف قيمنا الثقافية الأصيلة ورعاية الغرس والنبت الذى كادت أن تعصف به خماسين الضحالة والسطحية فى حياتنا الثقافية والأدبية».

وتستمر هذه الصفحة حتى الآن، وتنشر بعض الأخبار الأدبية، وأخبار أدباء الأقاليم وفى أحايين قليلة نماذج إبداعية، لكنها بشكل عام لم تجذب الانتباه كصانعة تيار أدبى فى حياتنا الفكرية فى وقت تعددت فيه النوافذ الأخرى بتياراتها المختلفة، وأصبح تميز الأدب فى صحيفة (الجمهورية) ما تنشره فى عددها الأسبوعى - كل يوم خميس - من قصة قصيرة فى الصفحة الأخيرة تمتد فى أحايين كثيرة على مساحة الصفحة كلها؛ لتغطى جزئيا نقصاً كبيراً تعانيه مطبوعات كثيرة بغياب الكتابة الأدبية الإبداعية بقوالبها المتعددة: القصة والشعر والمقال.

وقد انضمت مؤسسة دار التحرير مؤخراً إلى ركب التحديث بمنباها الجديد في شارع رمسيس والمكون من عشرين طابقاً تتسع لإصدارات الدار المتعددة..

الهوامش

* في ٢٤ من أغسطس ١٩٥٢ ... أنظر :
- ليلى عبد المجيد، تطور الصحافة المصرية (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع : د.ت) ص١٠.
- الحسيني الديب، «السياسات الإدارية في مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر»، دكتوراة (جامعة القاهرة، كلية الاعلام : ١٩٨٦).
- أحمد المنزلاوي، «٣١ شمعة في حياة الجمهورية»، صحيفة الجمهورية، ١٩٨٤/١٢/٧.

١ - مختار التهامي، الإعلام والتحول الاشتراكي، المكتبة الإعلامية، ط١ (القاهرة، دار المعارف ١٩٦٦) ص١٠.

٢ - المرجع السابق، ص٢٦.

٣ - الجمهورية، العدد السابع، ١٩٥٣/١٢/١٣، ويكتب فيه أنور السادات تحت عنوان «نحن في الشرق عاطفيون»، وزكريا محيي الدين تحت عنوان «رأي»، ويتناوب على كتابة هذا العامود أعضاء الهيئة، ومنهم :.

* حسن إبراهيم، العدد (٨) في ١٩٥٣/١٢/١٤.
* حسين الشافعي، العدد (٩) في ١٩٥٣/١٢/١٥.
* جمال عبدالناصر، العدد (١١) في ١٩٥٣/١٢/١٧.
* نور الدين طراف، العدد (١٢) في ١٩٥٣/١٢/١٨.
* عبدالحكيم عامر، العدد (٢٣) في ١٩٥٣/١٢/٢٩.

٤ - الجمهورية ٣ من ابريل ١٩٦٧.

٥ - الجمهورية ٢٠ من مايو ١٩٧١.

* ابتداء من ١٥ مارس ٢٠٠١م يصدر ملحق (محبوبتي) مع «الجمهورية» كل يوم خميس.

٦ - الجمهورية ٣٠ من يونيو ١٩٨٤، آخر مقال كتبه محسن محمد باعتباره رئيساً للتحرير، وقدم فيه كشف حساب عن فترة رئاسته الصحيفة.

٧ – الحسيني الديب، مرجع سابق .
٨ – رجاء النقاش، مرجع سابق، ص٧٨.
٩ – الجمهورية، ١٥ من ديسمبر ١٩٥٣.
١٠ – الجمهورية، ٨ من يناير ١٩٥٤.
١١ – سامي الكيالي، مع طه حسين، سلسلة «اقرأ» ، العدد ١١٢ (القاهرة، دار المعارف : ١٩٥١) ص٧٤.
١٢ – عبدالعزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، مرجع سابق، ص٢٨٧.
١٣ – الأهرام في ١٧ من يناير ١٩٦١.
١٤ – المصدر السابق نفسه.
١٥ – الجمهورية، في ١٥ من ديسمبر ١٩٥٣.
** إشارة إلى (لجنة النشاط المعادي لأمريكا) التي تزعمها جوزيف مكارثي في الولايات المتحدة في الخمسينيات، والتي أشاعت الإرهاب الفكري بتسليطها سيف «الإتهام في الوطنية» ضد غير المرغوب في أنشطتهم وكتاباتهم، والتشهير بهم أمام الرأي العام، مما عرف باغتيال الشخصية Character Assassination.
١٦ – الجمهورية، ٢٤ من ديسمبر ١٩٥٣.
١٧ – الجمهورية، ٢٢ من ديسمبر ١٩٥٣.
١٨ – المصدر السابق نفسه.
١٩ – طيب تيزيني، من التراث إلى الثورة، جـ١، ط١ (لبنان، دار ابن خلدون : ١٩٧٦) ص ٣٧٨.
٢٠ – الجمهورية، ١٣ من ديسمبر ١٩٥٣.
٢١ – الجمهورية، ١٥ من ديسمبر ١٩٥٣.
٢٢ – الجمهورية، ١٣ من يناير ١٩٥٤.
٢٣ – الجمهورية، ١٣ من ديسمبر ١٩٥٣.
تضمن العدد الأول من الملحق : مقالات لوجيه أباظة «من النيل إلى أبناء النيل»، ومحمد فتحي «للبناء»، وعثمان العنتبلي ويوسف وهبي «دفاع عن السينما المصرية»، بالإضافة إلى أخبار السينما والأدب والأذاعة والمسرح، وقصة قصيرة بعنوان «نفوس للايجار» لإبراهيم الورداني.
٢٤ – الجمهورية، الملحق الفني، ١٤ من يناير ١٩٥٤.

٢٥ - الجمهورية، ٢٢ من يناير ١٩٥٤.

٢٦ - الرسالة الجديدة، العدد الأول. أول ابريل ١٩٥٤.

٢٧ - الجمهورية، ١٧ من اكتوبر ١٩٥٦.

٢٨ - الجمهورية، ٦ من اكتوبر ١٩٥٥ وتحدث الكاتب فى العمود الأول عن «قدرة مصر على أن تفعل فتفعل؛ لا يصدها عن الإرادة خوف ولا حذر ولا تردد»، ثم انتقل العمود الى الصفحات الداخلية ابتداءً من ٢١ من أكتوبر من العام نفسه.

٢٩ - الجمهورية، ٧ من يناير ١٩٦١.

٣٠ - المصدر السابق نفسه.

٣١ - الجمهورية، ٣ من مارس ١٩٦٢.

٣٢ - الجمهورية، ٢١ من ابريل ١٩٦٢.

٣٣ - الجمهورية، ٢٧ من ابريل ١٩٦٢.

٣٤ - الجمهورية، ١٦ من يوليو ١٩٨٤.

***

أمـــا بعـــد

السياسة فى عمل أدبى مثل طلقة مسدس وسط حفل موسيقى، عالية الصوت وسوقية إلى حد «ما»، ولكنها شىء غير ممكن رفضه لجذب الانتباه

* ستندال *

الصحافة الأدبية ليست - فقط - مجرد واحة وارفة الظلال للتحليق فى أجواء الكلمات وآفاقها، ولكنها، فى أحايين كثيرة، بوابة خروج من مآزق متعددة : رقابة، وقوانين، وأحكام استثنائية تهدف إلى تحطيم أقلام، وهى ملاذ هؤلاء الواعين الواقفين بدروع أفكارهم فى وجه كل جور.

ومسيرة الصحافة الأدبية فى مصر هى - بشكل أو بآخر - ذلك كله منذ بواكيرها فى تلك الأعمال الشعرية التى كانت تنشر فى الصحيفتين الفرنسيتين اللتين أصدرتهما الحملة الفرنسية فى مصر عام ١٧٩٨؛ وهما تلك الأشعار المزيفة للوعى التى كان ينظمها نيقولا الترك تأييداً للاحتلال الفرنسى لمصر أو لتفسير وشروح قرارات سياسية، ونقيض ذلك من صيحات صادقة مدوية عبر كتابات الوطنيين الذين سرت الوطنية فى دمائهم وخاضوا معاركهم متخطين بريق الذهب أو رهبة السيف.

فعن طريق الصحافة الأدبية أدى «أدباتى» الثورة العرابية - النديم - دوره الوطنى، وعبر صفحاتها خرج محمد فريد من «سجن الأمة المصرية» الذى تحده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال وقتذاك إلى قضبان حديدية لمدة ستة أشهر مع النفاذ «بسبب كلماته الحادة فى مقدمة ديوان (وطنيتى) للغاياتى...!!... وعلى صفحات الأدب والفكر كان العقاد «كالإعصار من حيث القوة والبأس والقدرة على العصف»، وغيرهم وغيرهم حتى زماننا هذا.

لقد كانت الصحافة المتخصصة بشكل عام؛ والأدبية بشكل خاص؛ معبراً للخروج من أسر التضييق على الكلمات فى أحايين كثيرة، فقد خرجت أقدم صحيفة عربية موجودة حتى الآن (الأهرام) إلى الوجود بتصريح يفيد أنها «لاعلاقة لها بالمسائل البوليتيقية» - أى السياسة - ثم أصبحت (الأهرام) أهم المؤسسات الصحفية السياسية والفكرية فى المنطقة والعالم.

كما أن أقدم مجلة عربية تصدر حتى الآن (الهلال) أنشأها صاحبها قبل حوالى مائة عام لتكون «مجلة علمية تاريخية صحية أدبية» ثم تحولت مع مرور السنين لتكون فى طليعة الدور الصحفية المؤثرة وتصدر مطبوعات اجتماعية وسياسية وأدبية

ونسائية ومجلات أطفال وغيرها.

لقد تنوعت المطبوعات الصحفية وتعددت بشكل كبير، وأصبحت الصحافة صناعة حياة يومية لايمكن الاستغناء عنها فى مجال من مجالات الحياة، فإذا كانت قراءة الصحيفة العامة قد تحولت إلى عادة يومية لدى نسبة كبيرة من المتعلمين؛ باعتبارها همزة وصل بين الأطراف المتعددة فى مجتمعها؛ فإن الصحافة العامة - أيضاً - قد اقتربت من التخصص بشكل أدق، حيث تحولت أغلب صفحاتها الداخلية إلى صفحات متخصصة تقدم المعلومة المتخصصة والمعالجات والتحليلات المتعمقة التى تشبع ميول ورغبات المتخصصين من القراء.

وتعد الصحافة الأدبية - كصحافة متخصصة - ذات تأثير كبير فى مجالها من حيث صياغة وجدان الأمة وإشاعة الفكر؛ بصفتها تتضمن النشاطات الأساسية للمثقفين حراس هوية الأمة؛ مما يساعد بشكل كبير فى تقبل أو رفض التغيرات المستمرة فى المناحى الثقافية والاجتماعية.

فالصحافة الأدبية تعمل على إثارة التفكير، وكشف الحقائق الأدبية، ودرس النواحى الإبداعية، وتقويم المضطرب من معايير الفن الأدبى.

ومن هنا فالصحافة الأدبية - حتى فى عثراتها - فاعلة ومؤثرة وأبقى من ساعات يومها، وهى تاريخ معبر عن مراحلها وكيان نابض يحتاج منا إلى تقليب صفحاته بين حين وآخر، وبخاصة فى ظل هذا التعدد والتنوع والتقدم التقنى الكبير الذى يضع العالم كله تحت أصابعنا بلمسة إلى مفتاح تليفزيون أو راديو أو صحيفة إلكترونية...

الفهرس

صدر فى السلسلة

الأعداد القادمة

فن القصة القصيرة................................ فؤاد قنديل

رقم الإيداع : ١٠٤١٢ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)